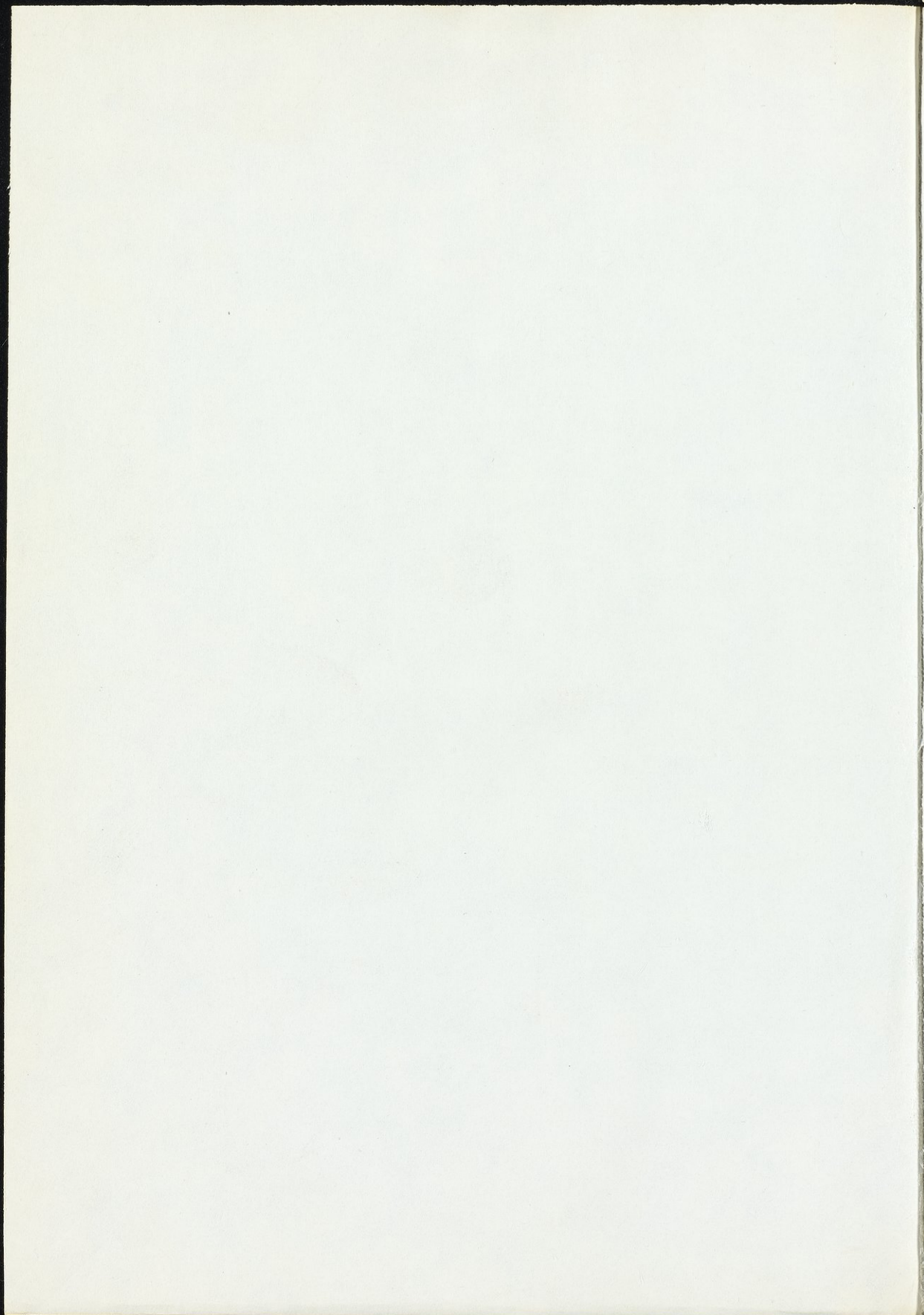
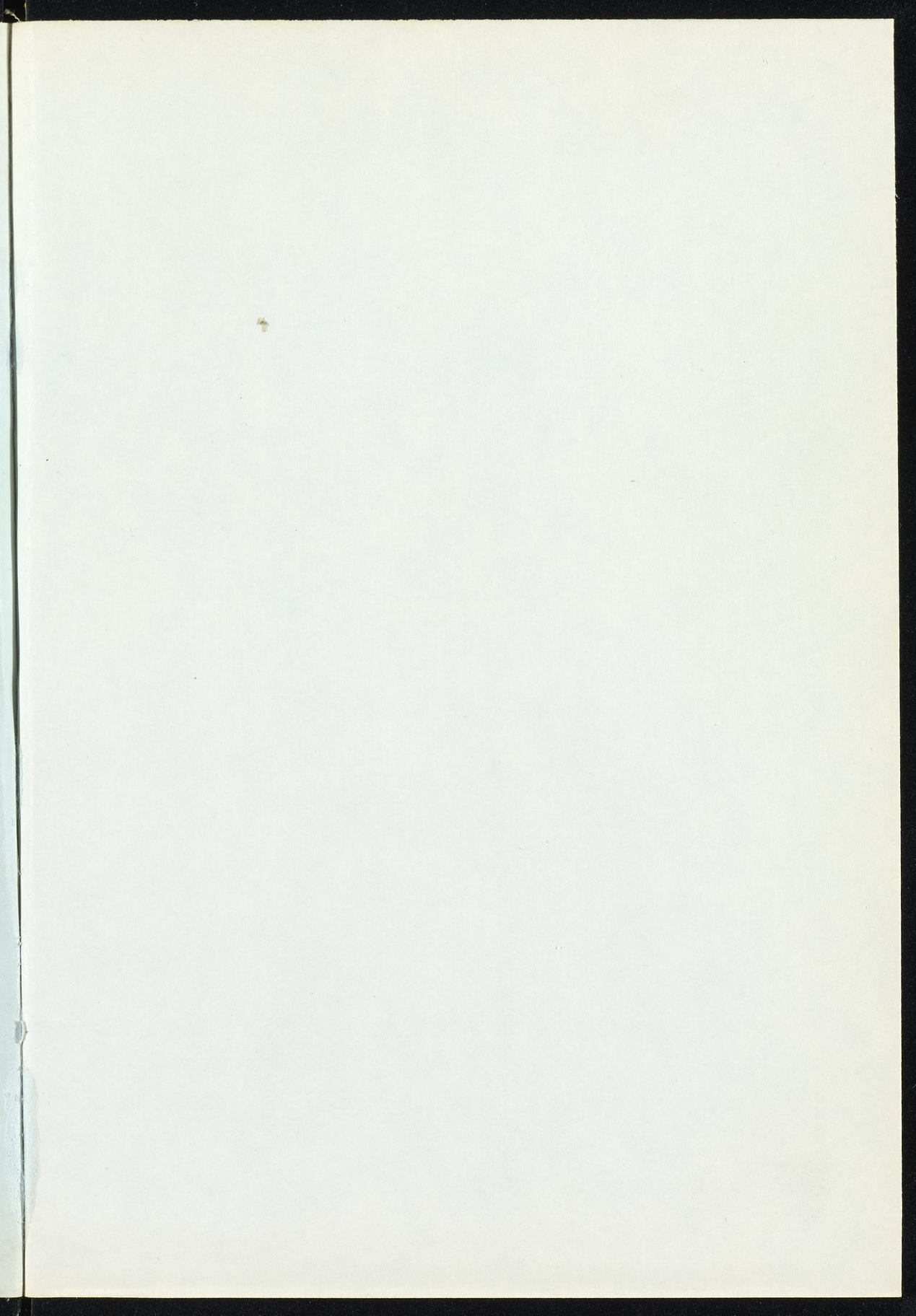


THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY



GENERAL LIBRARY





ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره

مقالات

فَهْمِي الْمَدْرَسِ

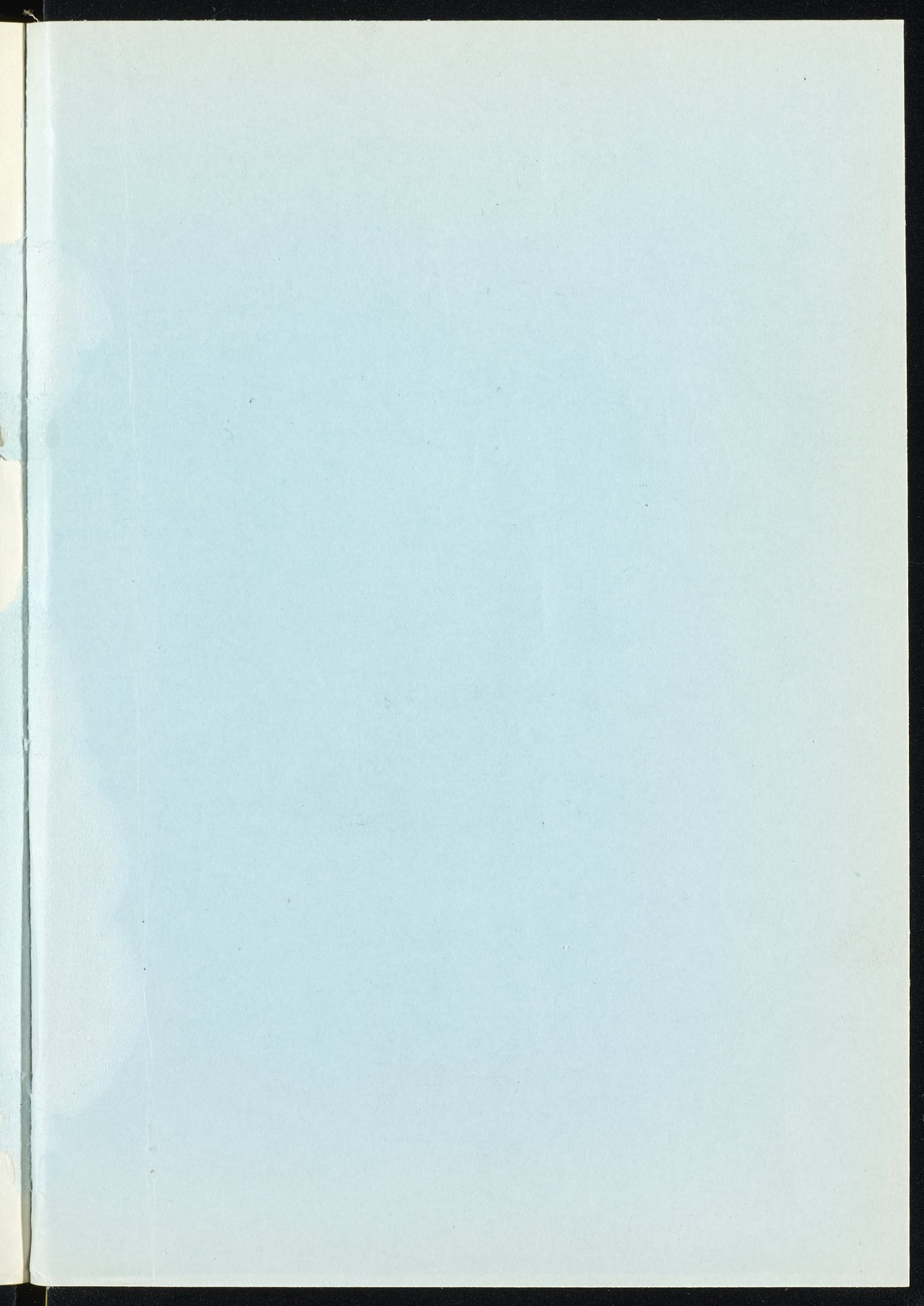
الجزء الثالث

جمعه وقدم له وعلق حواشيه

عبد المحمود الرشودي خالد محمد عبد السلام

الناشر

مكتبة الاندلس - بغداد



مقالات

فَهْمِي الْمَدْرَسِ

الجزء الثالث

جمعه وقدم له وعلق حواشيه

عبد الحميد الرشودي خالد محمد السعيد

ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره

مطبعة اسعد - بغداد

١٩٧٠

AC

106

.F28

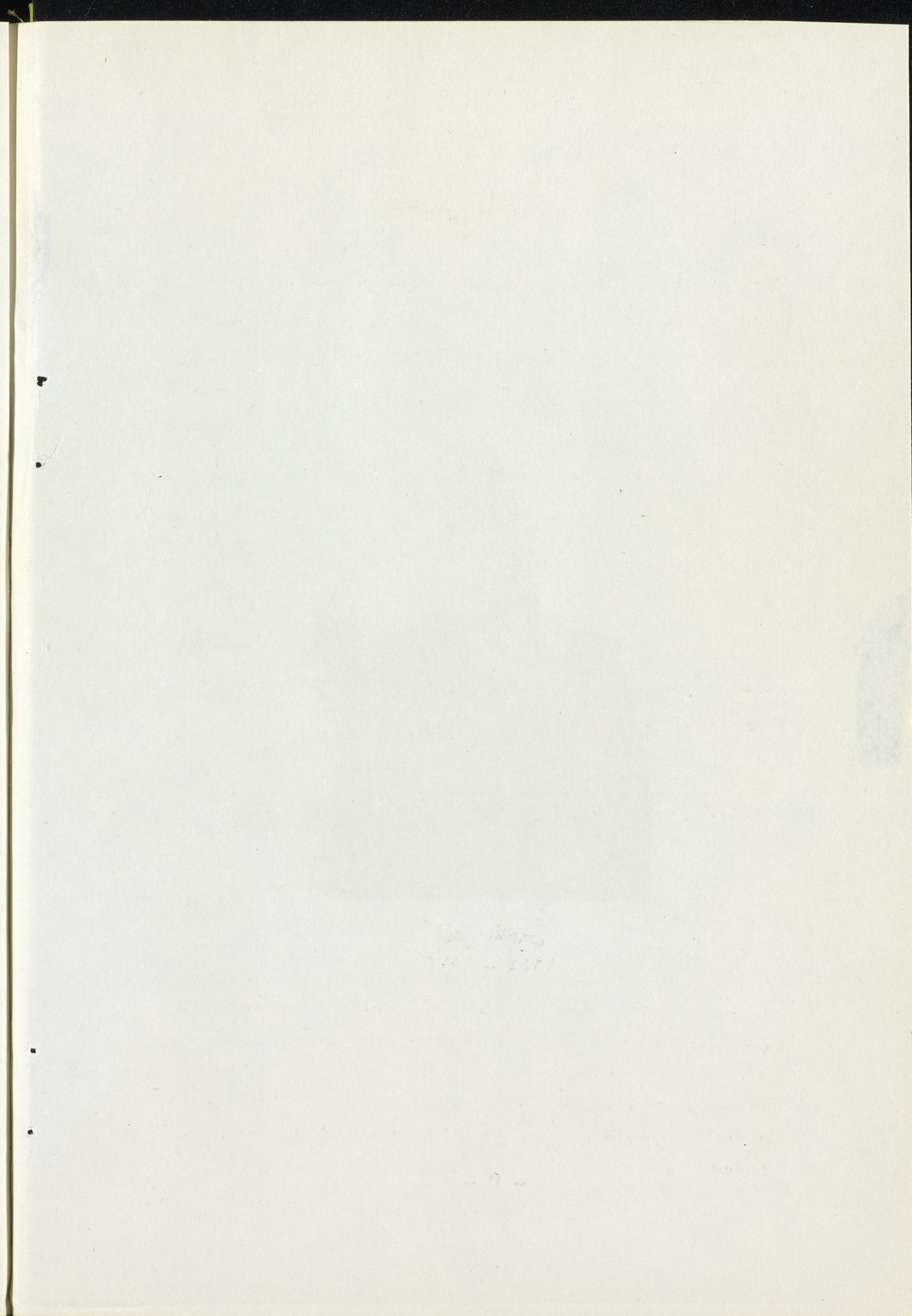
MR

FEB 1 1973

29848F



فهمي المدرس
١٨٧٣ - ١٩٤٤



فهيمى المدرس

يعتبر المرحوم الاستاذ محمد فهيمى المدرس من المع الكتاب السياسيين العراقيين الذين برزوا فى الميدان السياسى منذ اعلان الدستور العثمانى الى ما بعيد اندلاع الحرب الكونية الثانية ، فقد حاز مركزا ممتازا بين الكتاب السياسيين والمصلحين الاجتماعيين بما ألف من كتب وما دبع من مقالات كان يرفد بها الصحف العربية والتركية على حد سواء • وعلى الرغم من كثرة ما كتب عن المدرس فان هناك جوانب اخرى تستحق المدرس والتحقيق ، ولنا وطيد الامل فى أصدقاء المدرس المخلصين وتلاميذه الاوفياء ان ينبروا لملء هذا الفراغ وفاء للرجل الذي كرس أدبه لخدمة وطنه وأمته (١) •

مولده :

ولد فهيمى المدرس فى بغداد سنة ١٨٧٣م (٢) فى بيت علم وفضل وأدب ، حيث كان والده عبدالرحمن أفندي بن سليم المدرس قاضيا شرعيا دائما فى محكمة بغداد التجارية •

(١) فى كتابنا « ذكرى فهيمى المدرس » المعد للطبع استقصاء لما كتب

عن المدرس •

(٢) تعددت الروايات فى تاريخ ميلاد فهيمى المدرس ، فقد ذكر الاستاذ وفائيل بطى فى جريدة « البلاد » العدد ٢٣٠١ الصادر فى ١٥ آب ١٩٤٤ ، والاستاذ خيرى العمري فى جريدة « صدى الاخبار » العدد ١٢٤ الصادر فى ١٧ آب ١٩٥٤ أن المدرس ولد ببغداد سنة ١٨٦٩م • وذكر الاستاذ محمد ناجى القشطينى فى مقال له عن فهيمى المدرس لم ينشر بعد ان تاريخ ولادة المدرس هو سنة ١٨٧١م ، وذكر الشيخ هاشم الاعظمى فى الجزء الاول من كتابه « تاريخ جامع الامام الاعظم » ان ولادة المدرس كانت سنة ١٨٧٢م (١٢٨٩هـ) • وذكر المرحوم محمود فهيمى درويش فى جريدة « الاخبار » العدد ١١١٠ الصادر فى ١٥ آب ١٩٤٤ ، والدليل العراقى الرسمى لسنة ١٩٣٦ ، وجريدة « الزمان » العدد ٢٠٩٩ الصادر

وتنسب عائلة فهمي المدرس الى قبيلة خزرج القاطنة في الموصل
 وكان جده الشيخ سليمان اول من نزع من هذه العائلة الى بغداد فأخذها
 سكنا ومقاما^(٣) . وكان أول من لقب بلقب المدرس من هذه العائلة أحمد
 الحافظ مدرس مدرسة السليمانية ببغداد اذ كان اول « مدرس » فيها ،
 وقد عرف افراد هذه الاسرة فيما بعد « بأل المدرس »^(٤)

دراسته :

تلقى الاستاذ المدرس باديء ذي بدء مقدمات العلوم والقرآن الكريم
 عن والده ، ثم أخذ سمته الى المدارس العلمية التي كانت تعقد في المساجد
 فتلمذ على جلة علماء عصره كالعلامة عبدالسلام الشواف^(٥) والعلامة الشيخ
 عبدالرحمن القرهداغي^(٦) والعلامة الشيخ اسماعيل الموصل^(٧) والعلامة

في ١٥ آب ١٩٤٤ ، وكتاب « تاريخ الادب العربي الحديث للدراسات
 المتوسطة » بطبعته للسنتين ١٩٤٩ و ١٩٦٢ ، ذكر هؤلاء جميعا ان
 المدرس ولد سنة ١٨٧٣ ، وقد وجدنا في مقدمة الجزء الاول من « مقالات
 فهمي المدرس » ، وفي الجزء الثاني من كتاب « لب الالباب » لمحمد صالح
 السهروردي ان ولادة المدرس كانت سنة ١٢٨٨ رومية ، التي توافق سنة
 ١٢٩١ هـ و ١٨٧٣ م .

(٣) عبدالمنعم الغلامي : الانساب والاسر - الجزء الاول ص ١٢٤ .

(٤) عباس العزاوي : ذكرى أبي الثناء الألويسي ص ١٣ .

(٥) عبدالسلام الشواف : ولد ببغداد سنة ١٢٣٤ هـ ، وتوفي سنة

١٣١٨ هـ ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي ببغداد . كانت له

مؤلفات كثيرة ذهبت بها الايام . (لب الالباب) .

(٦) عبدالرحمن القرهداغي : ولد في (قرهداغ) يوم الجمعة لست عشرة

خلت من شوال سنة ١٢٥٣ هـ . وجاء بغداد عام ١٣٠٣ هـ وعين مدرسا في

مدرسة ابي يوسف في الكاظمية . توفي رحمه الله في اليوم الاول من

شعبان سنة ١٣٣٥ هـ ودفن في مدرسة (بابا كركر) الدينية عند مدخل

باب المصلي . ترك آثارا كثيرة . (لب الالباب) .

(٧) اسماعيل الموصل : توفي ببغداد في ٢٨ ذى الحجة ١٣٠٢ هـ ،

ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي ، بعد ان عاش أربعا وستين سنة .

(لب الالباب) .

نعمان أفندي الآلوسی^(٨) والعلامة الشيخ محمد سعيد أفندي^(٩) ، ثم أخذ فنون الخط عن العلامة السيد محمود شكري الآلوسی^(١٠)

ولما كانت ثقافة العصر أمشاجا من العربية والتركية والفارسية فقد عكف فهمي المدرس على اتقان هذه اللغات ، فتعلم التركية باعتبارها لغة الدولة ، وأتقن الفارسية^(١١) باعتبارها لغة أدب وشعر ، كما أصاب بسهم من اللغة الفرنسية^(١٢) التي أتاحت له اطلاعات واسعة على آداب الأمم الغربية ، فحصل تلاقح فكري بين ثقافته العربية الإسلامية والثقافة الغربية الحديثة مما ظهر أثره جليا في كتاباته وتحليلاته فيما بعد .

وظائفه :

وقد شاع فضله وذاع ذكره ولما يبلغ الحادية والعشرين فاختير مديرا

(٨) نعمان الآلوسی : هو نجل ابي الثناء الآلوسی ، ولد في ١٢ محرم سنة ١٢٥٢هـ ، وأخذ العلم عن والده ، وبرز فيه ، وتقلب فسي المناصب العالية ، وله مؤلفات كثيرة . توفي يوم الاربعاء ٧ محرم ١٣١٧هـ .

(٩) محمد سعيد النقشبندی : ولد في اليوم السابع عشر من رجب سنة ١٢٧٧هـ في محلة الفضل ببغداد وكانت وفاته في سنة ١٣٣٩هـ ودفن في جامع الفضل . (لب الالباب) .

(١٠) محمود شكري الآلوسی : علامة العراق المشهور ، ولد في اليوم التاسع عشر من شهر رمضان سنة ١٢٧٣هـ في محلة العاقولية برصافة بغداد . وتوفي ظهر اليوم الرابع من شوال سنة ١٣٤٢هـ ودفن فسي مقبرة الشيخ الجنيد البغدادي في كرخ بغداد . (أعلام العراق : للاثري) .

(١١) حدثنا السيد ناصر الدين الكيلاني ان الذي ساعد المدرس على تعلم الفارسية وحببها اليه هو « ميرزا موسى بن ميرزا هادي » أحد الامراء القاجاريين الذين نزحوا الى بغداد اثر اضطرابات وقعت في ايران واستوطنوا في بغداد قرب خان دلة .

(١٢) روى لنا السيد مهدي الرحال ان المدرس قد تعلم الفرنسية على يد القنصل الالماني في بغداد المدعو « ريتشارد » حيث كان المدرس يعلمه العربية .

لمطبعة الولاية فى بغداد مع تكليفه بتحرير القسمين العربى والتركى من جريدة « الزوراء » التى أنشأها الوالى مدحت باشا^(١٣) فى بغداد ، كما عهد اليه فى الوقت ذاته تدريس العربية والتركية والفارسية فى المدرسة الاعدادية الملكية . وكان بالإضافة الى ذلك يتولى الوعظ والارشاد فى مساجد بغداد ، ومما يؤثر عنه انه أول واعظ تولى وعظ الناس بغير كتاب اذ كان يعتمد حافظته وذاكرته الوقادتين ، ومن أشهر المساجد التى شهدت وعظه وارشاده جامع الوزير^(١٤) وجامع السراى^(١٥) .

ولقد استمر فهمى المدرس فى الاشراف على تحرير جريدة « الزوراء »^(١٦) الرسمية بقسميها العربى والتركى فترة تنوف على خمس

(١٣) مدحت باشا ١٨٢٢ - ١٨٨٣ من ولاة بغداد المصلحين الذين لا تزال تتعطر بذكر جميل أعمالهم الايام ولي منصب ولاية بغداد سنة ١٨٦٩ وأسس فيها أول مطبعة باسم مطبعة الولاية وأصدر أول صحيفة فى بغداد هى جريدة الزوراء ووطد الامن ووطن العشائر واصلح نظام الادارة وقد اسند اليه فيما بعد منصب الصدر الاعظم (رئيس الوزراء) ثم قلب له الدهر ظهر المجن فنفى مغضوبا عليه الى الطائف حيث مات هنالك غريبا ميتة غامضة يغلب عليها الاغتيال غدرا سنة ١٨٨٣ رحمه الله رحمة واسعة .

(١٤) جامع الوزير : يقع هذا الجامع فى وسط سوق السراى وهو مطل على نهر دجلة وقد جاء فى تاريخ مساجد بغداد تأليف السيد محمود شكرى آللوسى وتهذيب الاستاذ محمد بهجة الاثرى : ان هذا الجامع قديم العهد وقد جدد وعمر مرارا وممن عمره حسن باشا أحد ولاة بغداد السابقين سنة ١٠٠٨ هـ . وقد قامت مديرية الاوقاف العامة بتجديده بعيد الحرب العالمية الثانية بعد أن نقضت بناءه القديم باستثناء المدخل والمئذنة .

(١٥) جامع السراى (جامع حسن باشا) : ويقع مقابل وزارة الداخلية وكان يعرف بين الناس باسم مجده وموسعه (حسن باشا) وهو جامع كبير تقام فيه الجمع والاعياد وسائر الصلوات (مساجد بغداد للالوسى) .

(١٦) سألنا الاستاذ عباس العزاوى عن فهمى المدرس وعمله فى جريدة الزوراء فأفادنا بما يلى :

« ولى فهمى المدرس تحرير الزوراء بصفة مترجم ، ومحرر ، ومدير

سنوات موزعة على فترتين ، الاولى من سنة ١٣١٩هـ - ١٣٢١هـ والثانية من سنة ١٣٢٣هـ - ١٣٢٦هـ كما كان في الوقت ذاته يحزر بعض فصول الجريدة^(١٧) .

واختير عضوا في مجلس معارف بغداد ، وبذلك يكون قد دخل في عداد « خلفاء قلم المكتوبى^(١٨) » ، كما عين ناظرا لمدرسة الصنائع اضافة الى وظائفه الاصلية .

الى سنة حازم بك ، وفي أيامه ذهب الى استنبول ، ثم حدث الانقلاب . وكانت مدة بقائه في التحرير ١١ سنة . وصار - بعد الانقلاب التركي - مدرس الكتابة التركية والعربية في شعبة الالهيات من دار الفنون ، وبعد أشهر درّس (تاريخ الاداب العربية) و (حكمة الحقوق) في المدرسة الملكية ، و (الآداب العربية) في مدرسة الواعظين ، و (اللسان العربي) في شعبة اللسانيات في دار الفنون . وبقي هناك نحو ١٣ أو ١٤ سنة وعاد الى بغداد سنة ١٩٢٠ . وكان قد ولي ادارة الزوراء في أيام سرى باشا ودام فيها مدة طويلة مديرا ولكن الاسم لمصطفى أفندى . وقد علمت منه الشيء الكثير عن هذه الجريدة وهو أعرف الناس بها . وتاريخ هذه الجريدة مهم » .

أما جريدة « الزوراء » فيقول عنها الاستاذ عبدالرزاق الحسنى في الجزء الأول من كتابه « تاريخ الصحافة العراقية » ما يلي :
« أنشأها الوالى مدحت باشا في بغداد ، وجلب لها مطبعة آلية من باريس سماها مطبعة الولاية ، فكانت أول جريدة صدرت في العراق ، برز عددها الأول في يوم الثلاثاء الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٢٨٦ الهجرية (١٦ حزيران ١٨٦٩ الميلادية) ، واستمرت تصدر بانتظام مدة (٤٩) عاما أى الى ان احتل الجيش البريطاني مدينة بغداد في فجر اليوم الحادى عشر من شهر آذار ١٩١٧م فتواترت عن الانظار ، وكان مجموع ما صدر منها ٢٦٠٦ أعداد » .

(١٧) رزوق عيسى : تاريخ الصحافة في العراق - مجلة الحرية الجزء ان الثامن والتاسع ١٥ شباط ١٩٢٤ .
(١٨) خلفاء قلم المكتوبى أو المكتوبجى : السكرتير العام للولاية ، ودأثرته قلم المكتوبى ، وهى دائرة ممتازة يختار لها أحسن الموظفين من

لقد كان المدرس - رحمه الله - ميالا بطبيعته الى حب الاصلاح وكان كثيرا ما يطلق لسانه في نقد اعمال الولاة ويجرح تصرفاتهم المضادة لاماني الامة ، وكان يغشى مجالس الوجوه والاعيان المعروفين بميولهم المعادية للسلطة مما جعل عيون الولاة تترصده وتراقب حركاته وسكناته ، زد على ذلك ان المدرس كان يندفع في تلك المجالس بحماس الشباب المتعطش للاصلاح فيطلق العنان للسانه مما حمل جواسيس السلطة على الوشاية به وانهاء خبره الى السلطان عبدالحميد^(١٩) ، فاعتاظ السلطان منه وأصدر ارادته السنوية بتاريخ ١٠ تشرين الاول ١٣٢١ رومية (١٩٠٥م) بنقله الى جزيرة « رودس » لاشغال وظيفة مدير مطبعة الولاية هنالك ، وقد استطاع المدرس بذكائه ودهائه من التقرب والتودد الى الوالي وذلك بتطوعه لتدريس أبنائه وكسب رضائه مما حمل الوالي على ان يحسن الظن به فظهر ذلك في التقارير السرية التي كلف برفعها عن المدرس الى الاستانة فكان يثني على سلوكه وكفاءته واخلاصه للسلطة وولائه للسلطان مما جعل السلطان يصدر ارادته في ٩ تشرين الثاني ١٣٢٢ رومية (١٩٠٦م) القاضية بأرجاعه الى بغداد واعادته الى وظائفه السابقة التي كان يتولاها قبل نقله منفيًا الى جزيرة « رودس » .

وبعد عودته الى بغداد انتخب عضوا في مجلس اصلاح المعارف واستمر في وظائفه هذه الى تاريخ ٢٠ نيسان ١٣٢٤ رومية حيث سافر مجازا الى « فروق^(٢٠) » وكان يحمل معه كتاب توصية الى أبي الهدى

خريجي (الملكية الشاهانية) - وهي كلية لاعداد الموظفين - . وبعد ان يعين في قلم المكتوبى ثلاث سنوات يعين بوظيفة قائم مقام بدرجة ثالثة .
(فهمى المدرس - يوسف عزالدين) ص ٩٩ .

(١٩) السلطان عبدالحميد : ولد سنة ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م وتولى الحكم سنة ١٢٩٣ / ٣١ آب ١٨٧٦ وخلع في ٧ ربيع الثاني ١٣٢٧هـ / ٢٧ نيسان ١٩٠٩ . وتوفى الى رحمة الله في ١٠ شباط ١٩١٨ .
(٢٠) فروق : هي الاستانة .

الصيادى^(٢١) ليستعين بنفوذه وجاهه الواسعين فى الحصول على منصب يلىق بفضله وعلمه وكماله • فلم يمض على وجوده فى الاستانة شهران حتى قامت الحركة الدستورية فى ١٠ تموز ١٩٠٨ وخرجت الجماهير الغاضبة صباح ذلك اليوم الى الشوارع والساحات تخطب وتهتف ، فالتقى بها فهمى المدرس ••

وقد روى المرحوم ناجى الاصيل^(٢٢) هذا الحادث الطريف الذى عرض للمدرس فى سفرته هذه فقال :

« وقد روى لى الاستاذ فهمى المدرس انه بعد وصوله الى استانبول بآيام قليلة خرج قاصدا دار أبى الهدى الصيادى ، وكان فى العاشر من تموز سنة ١٩٠٨ وفى جيبه التوصية التى ستوصله الى تحقيق أمانيه عن طريق أبى الهدى ، بيد أنه رأى شيئا عجيبا فى الطرقات •• رأى جماهير الشعب حانقة ثائرة تهتف من أعماق نفوسها •• يشاسون حرية ••

(٢١) ابو الهدى الصيادى : (١٨٤٩ - ١٩٠٩) ولد فى قرية خان شيخون وهى قرية من قرى حلب وبدأ حياته منشدا صوفيا شهدته خانات الاستانة وهو ينقر بالدف وينشد الشعر الصوفى •
لقد استطاع محمد بن حسن بن وادى الذى عرف فيما بعد بابى الهدى الصيادى بطريقته الخاصة ان يصل الى ارقى مناصب الدولة وظل المهيمن الاول على السلطان عبدالحميد زهاء ثلاثين سنة وعندما قامت حركة الاتحاديين كان يعانى من آلام المرض فنقل على سريره الى جزيرة (الامراء) فلم تمض بضعة اشهر حتى لفظ انفاسه الاخيرة بعد حياة حافلة اختلف فيها المؤرخون اىما اختلاف فمنهم من يسلكه فى عداد الصوفية والزهاد ومنهم من يعده فى جملة الدجاجلة والمشعوذين •

(٢٢) ناجى الاصيل : ولد فى الموصل سنة ١٨٩٧ ودرس الطب فى الجامعة الامريكية ببيروت ثم اشترك فى الثورة العربية ومثل الملك حسين فى لندن ثم عاد الى العراق فاشغل عدة مناصب منها مديرية الخارجية العامة ورئاسة التشريعات فى البلاط ثم اسندت اليه وزارة الخارجية بعد الانقلاب البكري وبعد ذلك عين مديراً عاما للاثار القديمة واخر منصب أشغله هو رئاسة المجمع العلمى العراقى • توفى فى شباط سنة ١٩٦٣

يشاسون عدالت ♦♦ يشاسون قانون أساسي ، ومعناها تحيا الحرية ،
ولتحيا العدالة ، وليحيا الدستور ♦♦

كان الاستاذ فهمي يحمل التوصية في جيبه فوجد نفسه في دوامة
فهو لم يكن يصدق ان مثل هذا الهتاف يخرج ونصف استانبول جوايسس
السلطان كما كان يظن سابقا ، وبهدوء انسلت يده الى جيبه يتحسس
التوصية التي كانت معقد آمله فيرميها بعد أن يمزقها وينغمر بلا شعور
وسط هتافات الحرية والمساواة والعدالة بروح الشباب يهتف مع الهتافين
بحياة الحرية والعدالة والدستور ♦♦ وبسقوط الاستبداد ويعتلي أول
منصة للخطابة فيهاجم عهد السلطان وطغيانه وجبروته (٢٣) ♦

وفي الاستانة يبدأ المدرس حياة جديدة ، فيغير زيهِ ويرتدي البدلة
الافرنجية والطربوش بدلا من الجبة والعمة ويحلق لحيته ويحمل في
يده العصا ، ثم ينخرط في سلك التعليم العالي « فانتخب استاذا لاصول
الكتابة في اللغتين العربية والتركية في (كلية الالهيات) من جامعة
الاستانة ، فأستازا للآداب العربية في كلية الآداب ، وللغة العربية في كلية
اللسنة من الجامعة المذكورة في عين الوقت ، وعلاوة على ذلك عهد اليه
بكرسي استاذ « حكمة التشريع الاسلامي » في « ملكية شاهانة » مع تعليم
اللغة العربية وآدابها فيها ، وانتخب استاذا لتاريخ الآداب العربية في
جامعة الاستانة ، وللآداب العربية في مدرسة الواعظين العالية ، واستمر
على التعليم في هذه المدارس العالية اثني عشر عاما من غير انقطاع (٢٤) ♦

(٢٣) ناجي الاصيل : جريدة الايام العدد ١٠٣ الصادر في ١٦
آب ١٩٦٢ .

(٢٤) مقدمة الجزء الاول من مقالات المدرس ص ٤ (مطبعة الشعب
١٩٣١ بغداد)

مكانته في الاستانة :

لقد حظي المدرس بمكانة مرموقة في الاستانة^(١٥) مما جعله محط انظار العرافين الذين وفدوا الى الاستانة يلتمسون الاقامة أو الدراسة أو الوظيفة ، فكان المدرس خير معين لهم فيما كانوا يتبعون • ومما ينبىء عن نبل المدرس وكرم اخلاقه : ان الرصافي قد هبط الاستانة بعيد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٩ بدعوة من صاحب جريدة « اقدم » ليرأس تحرير قسمها العربي ، الا ان ذلك لم يتحقق ، فوجد الرصافي نفسه بحاجة الى مورد للرزق يستعين به في غربته ، وحز في نفس المدرس ان يرى أحد مواطنيه وقد ضاقت به سبل العيش فتنازل عن بعض محاضراته في دار الفنون ليتيح المجال لزميله ومواطنه معروف الرصافي ، وقد تم ذلك بالفعل من غير ان يشعر الرصافي بشيء قد يؤذي كرامته سوى ان مكانا في دار الفنون كان شاغرا فملأه^(٢٦) •

وهكذا ظل فهمي المدرس يرتقي معارج التقدم ومدارج الكمال في الاستانة فشارك في مجلس مدرسي جامعة الاستانة ، وكان هذا المجلس يضم اساتذة الجامعة وبعضهم من الالمان ، وكانت مهمته وضع تخطيط جديد لمناهج التعليم العالي في الدولة العثمانية بما يلائم تطورات المناهج والنظريات التربوية الحديثة •

ولم يقف نشاط المدرس العلمي عند حدود الاستانة بل تخطاه الى خارجها ، فوافدته الحكومة العثمانية سنة ١٩١٣ الى بيروت ودمشق للنظر في وضع حلول لمشاكل المؤسسات العلمية هناك وبخاصة كلية الحقوق ومدرسة الصنائع والكلية الوطنية في بيروت والوقوف على اتجاهات الكلية

(٢٥) روى لنا الاستاذ محمد ناجي القشطيني ان حياة المدرس في الاستانة كانت مترفة جدا ، اذ كان يتقاضى راتباً ضخماً ينفقه كله على داره وصالونه وملبسه ، وهو يومذاك وحده لا زوج له ولا ابناء ولا من يعيل •
(٢٦) رواية السيد ناصر الدين الكيلاني •

الاميركية والتحقق من موقفها قبل الحكومة العثمانية ، وكذلك دراسة حالة المعارف في دمشق • لقد وقف المدرس على مشاكل هذه المؤسسات عن كتب وقام بدراستها بروح علمية مجردة فوضع لكل مشكلة حلها ولكل علة دواءها ثم رفع بذلك تقريراً الى المسؤولين في الاستانة •

وبعد عودته الى عاصمة دولة الخلافة اثير نزاع في جامعة الاستانة حول جعل التعليم في البلاد العربية بلغة أهلها وتزويد المدارس السلطانية بالمؤلفات المصرية ، فاختر المدرس عضواً في المجلس الذي عقد في دار الفنون في الاستانة لحسم هذا النزاع •

ورغم كثرة مشاغله وتعدد وظائفه فانه كان يزود الصحافة التركية بشتى المقالات الادبية والاجتماعية والسياسية ، ومن الصحف التي كان يؤثرها بمقالاته « شهبال » و « ثروت فنون » •

الى الشام :

لقد استمر فهمي المدرس في الاستانة - كما قدمنا - اثني عشر عاماً لم يرحها الا بعد قيام حكومة الشام وتسلمه خطاباً شخصياً من تلميذه في دار الفنون فيصل بن الحسين يستقدمه فيه الى الشام للافادة من خبرته في شؤون التربية والتعليم في الحكومة الجديدة ، فيستجيب المدرس ويخفف في ١٨ حزيران ١٣٣٥ رومية (١٩٢٠) متوجهاً الى الشام • وكان في نيته الإقامة هناك فقد جلب معه - فيما جلب - مكتبته الضخمة الكبيرة (٢٧) ولكنه بعد سقوط حكومة الشام وتفرق رجالها على ايدي سبأ ترك المدرس الشام في ٢٤ أيلول ١٣٣٥ رومية متوجهاً الى البلاد الاوربية حيث سلخ عاماً

(٢٧) روى لنا السيد محمد الخضير انه بعد سقوط حكومة الشام استدعاه المرحوم الحاج عبد اللطيف المدلل وطلب اليه التوجه الى الشام والاتصال بالسيد محمد عبد الله البسام وياسين الهاشمي لجلب كتب فهمي المدرس من هناك حيث كانت في عهدة محمد البسام • فقام بجلبها على اربعة جمال واستوفى ١٦٠ ليرة اجرة نقلها • وسلمها الى الحاج عبد اللطيف المدلل في بغداد •

ونصف عام منتقلا بين مدريد و لندن وباريس • وقد ذكرت الاستاذة « بتول المدرس » نجلة المرحوم فهمى المدرس ان والدها قد أفاد كثيرا من رحلته هذه الى البلاد الاوربية حيث « درس فيها عادات وتقاليد الدول التي زارها وتعمق في دراسة حضارتها عن طريق المتاحف والآثار » (٢٨)

وفي كتاب الترشيح الذي رفعه المرحوم صالح باش أعيان (٢٩) وزير الاوقاف يومذاك الى مجلس الوزراء لاختيار فهمى المدرس امينا لجامعة آل البيت اشارة اخرى الى افادة المدرس من هذه الرحلة ، جاء فيه :

« ولقد تضاعفت مقدرته بمناسبة اقامته سنة ونصف في اشهر بلاد اوربا كباريس و لندن وغيرهما حيث اطلع على وضع اشهر الجامعات ك (الصوربون) و (كيمبريج) و (اوكسفورد) واجتمع باساتذتها ووقف على انظمتها ، وكذلك في القاهرة اثناء سفره الى الديار المصرية بمقابلة علمائها واطلاعه على جامعتها ونظامها » (٣٠)

عودته الى الوطن :

لقد مكث المدرس في البلاد الاوربية قرابة العام ونصف العام ثم عاد الى العراق قبيل تأسيس الحكم الوطني في ٢٣/آب ١٩٢١ ، حيث اختير رئيسا للامناء في البلاط الملكي ، الا انه لم يمكث في وظيفته هذه اكثر من سنة واحدة بسبب تهمة لفتت ضده عند زيارة المندوب السامي البريطاني « بيرسي كوكس » للملك فيصل الاول مهنتا بعيد التتويج الاول ، ذلك انه تجمعت في ساحة البلاط الملكي في ٢٣ آب ١٩٢٢ تجمعات

(٢٨) جريدة المنار البغدادية العدد ٣١٣٤ الصادر في ٢٢ آب ١٩٦٥

(٢٩) صالح باش أعيان : وزير سابق اشترك في وزارة عبد المحسن

السعدون بصفة وزير اوقاف خلال الفترة (٢٠-١١-٩٢٢ - ١٦-١١-٩٢٣)

ثم اختير عضوا في مجلس الاعيان خلال ست دورات • توفي في ١١ شباط ١٩٤٦ في البصرة ودفن فيها •

(٣٠) فهمى المدرس : بيان موجز عن جامعة آل البيت ، مطبعة

الاداب - بغداد ١٩٣٠ ص ٣٢

واسعة قادها الحزبان القائمان يومذاك وهما الحزب الوطني العراقي (٣١) وحزب النهضة (٣٢) بمناسبة الذكرى الاولى للتوحيد ، ثم لم يلبث ان صعد وفد يمثل قادة الحزبين لتهنئة الملك واسماعه مطالب الشعب ، وقد استقبلهم الملك غير انه اعتذر عن سماع كلماتهم وخطبهم لارتباطه بموعد مسبق مع المندوب السامي البريطاني ، وأمر رئيس الامناء الاستاذ فهمي المدرس بالتوجه مع الوفد الى الجمهور والاستماع الى خطبهم ومطالبهم وابلاغها اليه ، وفعلا انسحب الوفد يتقدمه رئيس الامناء وخرجوا الى الشرفه المطله على ساحة البلاط حيث الجموع المحتشدة ، وبدأ الخطباء يستعرضون اوضاع البلاد واطماع الانكليز وموقف الشعب من امانيه الغالية .. وفي غمرة هذا الجو المشحون ، حضر المندوب السامي السى البلاط ، وما كاد يرى ما يرى حتى اضطرب وامتعق لونه وتغيرت ملامحه ، وشقت سيارته - بصعوبة - طريقها بين صفوف الجمهور ، ولولا اسراع حرس البلاط واحاطتهم بالسيارة وصاحبها لاعتدى الشعب عليه ، وما كاد المندوب السامي البريطاني يترجل من سيارته ويرتقى السلم متوجها لمقابلة الملك حتى دوت هتافات تعلن سقوط الانتداب والانكليز والاستعمار ، (٣٣) واختفى المندوب السامي الحظاظ ثم لم يلبث ان خرج - بعد تهنئة الملك - وهو بادى الاضطراب وركب سيارته وقفل عائدا الى دار الاعتماد .. حدث كل هذا والخطيب يخطب (٣٤) والجماهير تهتف وفهمي المدرس يستمع ويرى ليوافى الملك بما سمع ورأى ..

(٣١) الحزب الوطني العراقي : اسسه محمد جعفر ابو الثمن فسى

٢ آب ١٩٢٢ - ١٩٣٣

(٣٢) حزب النهضة : اسسه محمد امين الجرججي فسى ١٩ آب ١٩٢٢

(٣٣) أخبرنا الاستاذ محمد بهجة الاثري ان صاحب الهتافات هو

السيد حسون ابو الجبين .

(٣٤) خطب فسى هذا اليوم الشيخ (الدكتور) محمد مهدي البصير

والشيخ محمد حسن كبة .

ويبدو ان المندوب السامي وجدها فرصة طالما انتظرها بغيظ دفين ،
فما كاد يعود الى مقر عمله حتى حرر كتاب احتجاج شديد ارسله الى الملك
في اليوم التالي للحادثة وهذا نصه : (٣٥)

سعادة رئيس الديوان الملكي المحترم

نرجو ان تخبروا جلالة الملك بان فخامة المندوب يحتج بعنف ضد
ما لاقاه من المعاملة في آن كان فخامته يمثل حكومة بريطانيا العظمى مارا
بباب غرفة الاستقبال ليؤدي مراسيم التبريك ، وان فخامته اخبر لندن عن
هذه الحادثة ويطلب ان يعتذر اليه وعزل فهمي المدرس اذا (٣٦) كان هو
المسؤول رسميا ، ويطلب فخامته بيانا عن الاجراءات التي نوى جلالة الملك
اتخاذها ضد الخطيئين اللذين حقرا مقام الملك بالقائهما خطبا مهيجتا .

جاين بيرسي

٢٤ أوكست ١٩٢٢

نائب سكرتير المندوب السامي

فلما وقف الملك فيصل الاول على كتاب المندوب السامي البريطاني
امر سكرتيره الخاص رستم حيدر (٣٧) بكتابة الرد التالي : (٣٨)

(٣٥) عبد الرزاق الحسني : العراق في دوري الاحتلال والانتداب -
الجزء الثاني ص ١٢

(٣٦) ورد في كتاب « العراق من الاحتلال الى الاستقلال » نص
هذا الاحتجاج باختلاف طفيف ولكنه جدير بالملاحظة حيث وردت العبارة
هكذا « اذ كان هو المسؤول ٠٠٠ »

(٣٧) رستم حيدر : ولد في بعلبك سنة ١٨٨٩ وتخرج في المدرسة
الملكية في استانبول ثم اتم دراسته في السوربون ومدرسة العلوم السياسية
في باريس . تقلد عدة مناصب في حكومة الشام وفي الحكومة العراقية
آخرها منصب وزارة المالية . وقد قتل في مكتبه الرسمي سنة ١٩٤٠ من
قبل مفوض شرطة يدعى حسين فوزي

(٣٨) عبد الرزاق الحسني : العراق في دوري الاحتلال والانتداب

ج ٢ ص ١٣ .

عزيزى المستر جانين بيرسى

أخذت كتابكم المؤرخ ٢٤ أوغست ١٩٢٢، وقد عرضته لانظار جلالة الملك وان كانت صحته غير ملائمة ، وقد تآثر جلالته كثيرا من الحادثة التي تشيرون اليها وقد امرني حالا لارجو منكم ان تخبروا فخامة المندوب السامى اسف جلالته العظيم ، وان جلالته سيعمل لل ماهو اللازم ويصلح الحادثة حسب رغائب المندوب السامى ، ويرجو جلالته ان لا يبقى اثرا في ذاكرته لهذه الحادثة التي لم توجه اليه شخصيا .

٢٤ أوغست ١٩٢٢ رستم حيدر

وهكذا تم للانكليز ما ارادوا ، فقد استطاعوا ان يعدوا فهمى المدرس عن البلاط « لانهم وجدوا بقاءه فى البلاط خطرا يعرقل مصالحهم ويخلق العشرات أمام سياستهم » (٣٩) ، كما هيا عملهم هذا الجو الملائم لشن حملة اعتقالات واسعة ضد المواطنين المعروفين بنشاطهم السياسى المضاد لهم ولمشاريعهم الاستعمارية لتمرير معاهدة ١٩٢٢ .
وبذلك انقطعت صلة المدرس بالبلاط منذ ١/ ايلول ١٩٢٢ . (٤٠)

المدرس وجامعة آل البيت :

لقد اختير المدرس بتاريخ ١١/كانون الثانى ١٩٢٢ عضوا فى لجنة التأسيس لجامعة آل البيت للنظر فى وضع اسس اول جامعة فى العراق واختيار المناهج الدراسية الملائمة لها ، وفى ١٣ نيسان ١٩٢٤ انتخب المدرس

(٣٩) خيرى العمري : مجلة الاقلام - العدد الرابع ، كانون الاول

١٩٦٤ ص ٧٨ .

(٤٠) آثرنا اثبات هذه الحادثة كاملة لسببين :

- الاول : بيان موقف الانكليز من فهمى المدرس .
- والثانى : تصحيح الروايات التى تناقلتها كتب معينة عن هذه الحادثة المشهورة فى تاريخ العراق الحديث والتى رواها لنا - بتفاصيلها - الاستاذ محمد ناجى القشطينى احد شهودها الثقات .

أمينا لجامعة آل البيت •• انتخب أمينا للجامعة بعد انزوائه عامين في عقر داره لاسباب لا يعلمها الا الله والراسخون في العلم • (٤١) وقد افرغ المدرس وسعه واستنفد جهده في سبيل ارساء الجامعة على مناهج علمية رصينة تستمد اتجاهاتها من ينابيع الثقافة الاسلامية ، فخطط للجامعة دروسا علمية ممتازة واختار لها اساتذة فضلاء ، وعمل على اصدار مجلة باسم « الجامعة » حفلت بمحاضرات الاساتذة ودراساتهم التي كانوا يلقونها على الطلبة •

وقد عارض هذا الاتجاه الاسلامي الذي كان يرغبه المدرس ان يجعله الطابع المميز للجامعة نفر من رجال السياسة والتربية كانوا يرون وجوب الفصل بين التعليم والدين ، زاعمين ان التعليم علم يستند الى العقل والتجربة وان الدين عقيدة في القلب ! وقد كان على رأس هذا الاتجاه نوري السعيد وفاضل الجمالي وساطع الحصري ، فوضعت العراقيل في سبيل الجامعة منذ بدايتها (٤٢) الى ان تم اغلاقها بموجب قرار مجلس الوزراء في ٢٤ نيسان ١٩٣٠ القاضي بسد الشعبة الدينية سدا مؤقتا • (٤٣)

في حين كان المدرس حريصا على استمرار الجامعة واتجاهها الاسلامي ، وقد انعكس هذا الحرص في المقالات والمخابرات الرسمية التي كان يتولى تحريرها بنفسه ، والتي يجد القارئ بعضا منها في هذا الكتاب •
لقد اثر اغلاق جامعة آل البيت في نفس المدرس تأثرا بليغا مما حدا به الى تحرير بيان جامع تناول به الجامعة والظروف التي احاطت بها •• وقد

(٤١) فهمي المدرس جريدة العالم العربي ، العدد ١٢٤ الصادر

في ١٩ آب ١٩٤

(٤٢) تأمل اول كتاب رسمي صدر من امانة الجامعة لتعرف مكان

« اجهزة الرصد » منها •• !

(٤٣) للاستاذ حسن الدجيلي دراسة مفصلة عن جامعة آل البيت في

كتابه « تقدم التعليم العالي في العراق » •

نشر في رسالة بتاريخ ١ - كانون الثاني ١٩٣٠ • (٤٤)

المدرس والحزب الوطني :

بعد ان تم لخصوم المدرس ما ارادوا من اغلاق جامعة آل البيت - فلذة كبده - وخروجه مغاضبا من جراء هذا العمل المتسم باللؤم والحقذ انخرط في صفوف الحزب الوطني المعارض الذي كان يتزعمه المرحوم جعفر ابو التمن ، وقد ساهم مساهمة فعالة في الحزب حيث انتخب عضوا في الهيئة الادارية المركزية ، واعد جريدة « الاخاء الوطني »^(٤٥) بمقالات ضافية تعتبر نموذجا عاليا في الادب السياسي •

ولم يقتصر نشاطه على هذه الجريدة حسب بل امتد الى صحف المعارضة الاخرى ، وقد كان لمقاله « الاستفتاء ومصيره » الذي نشرته جريدة « البلاد » بعدها المرقم ٢٩١ الصادر في ٢٦-١٠-١٩٣٠ اثره المباشر في الاوساط السياسية والشعبية مما ادى الى ان يغضب الملك ويوعز الى حكومة نوري السعيد بأن ترفع الدعوى على رفائيل بطي صاحب الجريدة باعتبار ان المقال لم يذيل بتوقيع (المدرس) وان كان الجمهور يعرف كاتبه • « وكان فيصل يحسب ان هذه الاشارة تكفي لتهديد المدرس فلما توالفت مقالاته وكلها سخرية بالوضع وتديد سياسته لم يطق صبراً • فأوعز الى رجاله بالبحث عن وسيلة تشمل قلم المدرس عن مواصلة الكتابة ، فابتدعت حكومة نوري السعيد حيلة قانونية ، فطبقت على « فهمي المدرس »

(٤٤) يراجع البيان المذكور للوقوف على القصة الحقيقية لاول جامعة

عراقية في العصر الحديث بقلم أمينها الأمين •

(٤٥) جريدة الاخاء الوطني : يومية سياسية جامعة لسان حال حزب الاخاء الوطني • صدر عددها الاول في بغداد في يوم الاحد ١٨ ربيع الاول ١٣٥٠هـ/ ٢ آب ١٩٣١ • (عبدالرزاق الحسنی)

و « رفائيل بطي (٤٦) » نظام دعاوي العشائر وأبعدهما في شتاء عام ١٩٣٢ الى السليمانية (٤٧) .

وقد أثر هذا النفي أثرا بعيدا في نفسية المدرس ، فقد أخذ يتخيل ان الحكومة ومن ورائها الانكليز يدبرون له مكيدة تأتي على حياته ، يقول الاستاذ خيري العمري : « وقد حدثني رفائيل بطي الذي نفي معه الى السليمانية عن تلك الوسوس التي استولت على المدرس فقال : كنا نقيم في تكتة عسكرية في السليمانية وكان فهمي المدرس يمضي الليل ساهرا لا ينام خوفا من ان يتعرض خلال نومه الى الغدر وكلما لاح له شبح من النافذة أو سمع وقع أقدام اضطرب وحسب ان ساعة البطش بنا قد دنت (٤٨) » .

وبالنظر لمكانة المدرس في نفوس العراقيين فقد أثار نفيه موجة استياء شديدة في الاوساط السياسية انعكس أثرها في مجلس النواب ، فطالب نواب المعارضة باعادة المدرس من منفاه في شمالي العراق الى بغداد واطلاق حريته ليزاول عمله السياسي في جو مليء بالحرية والطمأنينة . وبالفعل استجابت الحكومة - تحت تأثير الرأي العام - الى طلب المعارضة فأعدت المدرس الى بغداد . فعدا الى مزاولته نشاطه السياسي والادبي الذي بلغ فيه الذروة حتى رفع استقالته من الحزب الوطني (٤٩) في شباط ١٩٣٤

(٤٦) رفائيل بطي : « ولد في الموصل عام ١٩٠١ واصر في بغداد في ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٩ مع جبران ملكون جريدة (البلاد) . وقد انتخب مرات عديدة نائبا في المجلس النيابي . ثم اختير وزيرا للدولة لشؤون الدعاية والصحافة في ١٨ ايلول ١٩٥٣ . وتوفي في الساعة العاشرة والدقيقة العاشرة من صبيحة يوم ١٠ نيسان ١٩٥٦م له عدة آثار مطبوعة . (٤٧) خيري العمري : مجلة الاقلام - العدد الرابع ، كانون الاول ١٩٦٤ ص ٨٣

(٤٨) المصدر السابق ص ٨٤

(٤٩) تجد نص الاستقالة في هذا الكتاب .

على أثر الخلاف الذي دب بين زعمائه واعتزال المرحوم جعفر أبو التمن
العمل السياسي *

اثنا عشر يوماً في المعارف :

وفي ١٥ آب ١٩٣٥ صدرت الارادة الملكية بتعيين فهمي المدرس
مديراً عاماً للمعارف براتب الدرجة الاولى وقدره (٧٠) ديناراً ، وقد
باشر المدرس وظيفته الجديدة هذه بتاريخ ١٨ آب ١٩٣٥ ، الا انه لم
يستمر فيها مدة طويلة ، فقد وجد في طريقه من العراقيين والمضايقات
ما يجعل من المستحيل عليه الاستمرار وتحقيق المنهج الاصلاحى الذى
يشده ، فاستقال بتاريخ ٢٨/٨/١٩٣٥^(٥٠) .

وظفق ينشر مقالات ضافية حول المعارف واصلاحها يكشف فيها
للرأى العام العراقى حقيقة الامور فى وزارة المعارف ويشير على المسؤولين
- الذين حاربوه - بالوسائل الناجعة لانقاذ معارف البلاد من أعاصير
التسيب والانحراف والفساد *

فى دار العلوم :

وبعد وفاة الحاج نعمان الاعظمى^(٥١) مدير دار العلوم فى سنة
١٣٤٥هـ - ١٩٣٦م أختير المدرس خلفاً له ، وقد استمر فى وظيفته الى
سنة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م^(٥٢) .

المدرس فى أعوامه الاخيرة :

لقد اصطلحت على المدرس فى أعوامه الاخيرة كثير من الهموم

(٥٠) تجد نص الاستقالة فى هذا الكتاب .

(٥١) نعمان الاعظمى : ولد فى الاعظمية سنة ١٢٩٢ هـ وقد اشتهر
بالوعظ والارشاد وشارك فى مؤتمر القدس الاسلامى سنة ١٩٢٨م واصدر
مع عبد الهادي الاعظمى فى ٢٠ شعبان ١٣٢٨هـ مجلة (تنوير
الافكار) . وتوفى سنة ١٩٣٦ م - تاريخ جامع الامام الاعظم ج١
الشيخ هاشم الاعظمى

(٥٢) هاشم الاعظمى : تاريخ جامع الامام الاعظم - الجزء الاول ص ١٣٨

والهواجس والاهام التي كان مبعثها شيخوخته وجهاده الطويل وبوار سعيه ، زد على ذلك ما كان يقاسيه في بيته من مشاكل ومتنصت مردها التفاوت الكبير بين سنه وسن زوجه^(٥٣) ، مما جعله يركن الى الصمت في أغلب الاوقات ، فلم يؤثر عنه في هذه السنوات من النشاط الادبي والسياسي شيء يذكر اللهم الا اذا استثنينا ما كان يكتبه بمناسبة المولد النبوي وخطبه الوطنية التي أذاعها من محطة اذاعة بغداد غداة حركة مايس ١٩٤١^(٥٤) التي اندفع في تأييدها وتأييد القائمين بها رغم اعتقاده بفشلها الاكيد ، فقد علل هذا التأييد وذلك الاندفاع بقوله «انها فرصة عرضت عليّ لاثب مبدئي واذود فيها عن عقيدتي وأهاجم أعداء أمتي وقومي فيجب ان أعتمتها ، وليس الشرط ان تنجح القضايا الوطنية حالا انما المهم التضحية بالقضايا الفردية ، فاذا انتهت حركة رشيد عالي سنعود ثانية الى عراقنا مع نوري السعيد لاني واثق من نصرهم لان قواعدهم في البلد ، وهذه الاردن قريية بجيشها لنصرة الانكليز ، فلم لا أشارك في الدفاع عن كرامة وطني وقومي وأمتي وليكن ما يكون بعد ذلك^(٥٥)» .

وبعد فشل حركة مايس ١٩٤١ أغلق فهمي المدرس مجلسه وأوصد بابه دفعا لجوايسيس السلطة المتواطئة مع الانكليز ، الا ان بعض أصدقاء المدرس ومريديه لم يشتمهم ذلك عن زيارته والاستفسار منه عما يجري في البلد ، فكانوا يدلّفون اليه من بوابة خلفية بعيدة عن عيون الجوايسيس

(٥٣) تزوج فهمي المدرس في شهر آذار ١٩٢٦ من الأنسة فاطمة ابراهيم فأعقبت له اولاده : بتول ، وأنور ، وهويد .
(٥٤) ذكر الاستاذ كمال ابراهيم في مقاله عن فهمي المدرس المنشور في جريدة « البلد » بعدها المرقم ٣٨٨ الصادر في ٢٩-٨-١٩٦٥ ان المدرس ظل يواصل خطبه الحماسية حتى بعد قصف محطة الاذاعة الحالية ونقل المرسلات سرا الى دار في ضاحية الاعظمية .
(٥٥) ناجي الاصيل : جريدة «الايام» العدد ١٠٣ الصادر في

ويتداولون معه أوضاع الشعب واحداً • وكان رحمه الله رغم كل ذلك ذا ثقة وأمل في مستقبل بلاده ، فقد كان يعتقد « ان هذه حلقة من سلسلة كفاح طويل على الشعب ان يحتمله ويصطبر حتى يبلغ أمانه الوطنية (٥٦) » •

وهكذا استمر المدرس في عزلة وصمته لم يخرج على الناس بمقال أو حديث حتى قامت الضجة حول كتاب « رسائل التعليقات » الذي أصدره المرحوم معروف الرصافي ، فقد تسلم المدرس من مديرية الاوقاف العامة كتابها المرقم ٢٢٧٨ والمؤرخ ٢٦/٢/١٩٤٤ والذي رجته فيه ان يبدي رأيه في كتاب الرصافي ، فاستجاب المدرس وأرسل إليها بجوابه في ٦/٣/١٩٤٤ وطلب الى المديرية المذكورة الا تنشره (٥٧) •

وفاته :

لقد أصيب المدرس في آب ١٩٤٤ بمرض ألزمه الفراش ، وقد حاول كثير من أصدقائه وتلاميذه حمله على مراجعة المستشفى ولكنسه رحمه الله أبي ان يفعل خوفاً من غدر الطبيب الانكليزي في المستشفى ! وقبل أن تسلم ليلة الاثنين الرابع عشر من آب ١٩٤٤ (٥٨) فاضت روح

(٥٦) كمال ابراهيم : جريدة « البلد » العدد ٣٨٨ الصادر في ٢٩ آب ١٩٦٥

(٥٧) تجد نص الجواب في هذا الكتاب •

(٥٨) من الغريب ان تنسب عدوى اختلاف المؤرخين الى تاريخ وفاة المدرس بعد ان تسربت الى تاريخ ولادته ! فقد ذكر المرحوم ابراهيم الدروبي في كتابه « البغداديون اخبارهم ومجالسهم » في الصفحة ١٤٠ ان وفاة المدرس كانت سنة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م ، وكذلك حدد الاستاذ عبد المنعم الغلامي في الجزء الاول من كتابه « الانساب والاسر » الصفحة ١٢٤ سنة ١٣٦٧ هـ تاريخاً للوفاة ، وذكر الشيخ هاشم الاعظمي في الجزء الاول من كتابه « تاريخ جامع الامام الاعظم » الصفحة ١٧٩ ان الوفاة كانت سنة ١٣٦٤ هـ ، أما شاهد القبر الرابض في مقبرة الشيخ عبد القادر الكيلاني فيقول : « هو الباقي ٠٠ انتقل الى جوار ربه المغفور له أمين جامعة آل البيت سابقا الاستاذ الكبير فهمي بك المدرس وذلك ليلة الاثنين ١٤ آب ١٩٤٤ الموافق ٢٤ شعبان سنة ١٣٦٣ ٠٠ الى روحه الفاتحة » •

المدرس الى بارئها ♦♦ فطويت صفحة ناصعة نظيفة من الخلق الرضي
والادب الجم والعلم الغزير ♦♦

وفي اليوم التالي خرجت ثلة من أصدقاء المدرس وتلاميذه وعارفي
فضله تشييعه الى متواه الاخير في مقبرة الشيخ عبدالقادر الكيلاني فسي
الجانب الشرقي من بغداد ♦

مؤلفاته :

تقسم مؤلفات فهمي المدرس الى قسمين :

القسم الاول - مؤلفاته باللغة التركية : وتشمل ما كتبه في العهد

العثماني وهي :

١ - تاريخ أدبيات عربية - الجزء الاول خاص بالعصر الجاهلي ،
وهو مجموعة المحاضرات التي ألقاها على طلاب دار الفنون في استانبول ،
ويقع في ألف صفحة ، وقد طبع في مطبعة العامرة (٥٩) في الاستانة
سنة ١٣٣٢ هـ ، ومما يجدر ذكره ان المؤلف كتب الشروح والتعليقات
باللغة التركية أما النصوص الشعرية والثرية فقد أبقاها بنصها العربي ،
وقد يعمد بعض الاحيان الى ترجمتها الى اللغة التركية ♦

٢ - حكمت حقوق اسلامية - وهو مجموع محاضراته في تاريخ
التشريع الاسلامي وحكمته التي ألقاها على طلبة دار الفنون في الاستانة ،
ويعد من مؤلفاته المفقودة ♦

٣ - مقالاته في الصحف التركية - لقد كان نتاج المدرس الادبي
والسياسي ثرا ثجاجا ، فرغم انهماكه في التدريس الجامعي ، فقد كان
يتحف الصحف التركية بالطريف المبدع مما يدبجه يراعه ك «شهبال»

(٥٩) مطبعة العامرة مطبعة خاصة بجامعة الاستانة ♦

و « ثروت فنون (٦٠) » وجريدة « بغداد (٦١) » التي أصدرها حزب الاتحاد والترقي في بغداد لتكون لسان حاله ، وقد رأس تحريرها المرحوم مراد سليمان •

القسم الثاني - مؤلفاته باللغة العربية : وتشمل ما كتبه في الصحف العراقية والعربية وما حاضر به طلاب جامعة آل البيت وهي :

١ - مقالاته - وهي مجموعة مقالات في السياسة والاجتماع والتاريخ ، وقد قامت بجمعها لجنة مؤلفة من الاساتذة : محمد ناجي القشطيني ، ورفائيل بطي ، وعبدالقادر الزهاوي ، وعبدالغفور البدرى ، وطبع الجزء الاول منها في مطبعة الشعب ببغداد سنة ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م ، كما طبع الجزء الثاني منها سنة ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م في المطبعة ذاتها •

٢ - محاضراته في جامعة آل البيت ، وتتضمن :

أ - فلسفة المواريث في الاسلام : وتقع في حوالي ستين صفحة كان قد ألقاها على طلبة الصف المتقدم - وقد نشر بعضها يومذاك في مجلة « الاقلام (٦٢) » - ويجدها القارئ في ثنايا هذا الكتاب •

(٦٠) يقول الاستاذ عباس العزاوي في كتابه « تاريخ العراق بين احتلالين » الجزء الثامن ص ٨ عن مجلة « ثروت فنون » ما يلي :
« مجلة مهمة جدا تعرضت لبعض ولاة بغداد وفصلت أحوالهم وتصدت لنواح مهمة من العراق ، وهي من الصحف المعنى بما تكتب في تقدير القيمة العلمية والادبية » •

(٦١) صدر العدد الاول من هذه الصحيفة في ٦ آب ١٩٠٨ وكتب في ديباختها انها (جريدة سياسية علمية ادبية اسبوعية واسطة لنشر افكار جمعية الاتحاد والترقي) •

(٦٢) مجلة شهرية اصدرها المرحوم علي ظريف الاعظمي ، وقد صدر العدد الاول منها في شعبان ١٣٤٦ (شباط ١٩٢٨) ولم تعمر طويلا اذ لم يصدر منها سوى عشرة اعداد •

ب - بحث في الديانة الزردشتية : لقد وجد المدرس رحمه الله ان ما ألقاه المرحوم طه الهاشمي في موضوع الديانات الفارسية القديمة مبسّر فقام بكتابة بحث تكميلي في نشأة الديانة الزردشتية وأصولها (٦٣) .

٣ - بيان موجز عن جامعة آل البيت والشعبة العالية الدينية : فسي دورين من حياتها دور التأسيس ودور الجهاد العلمي وهو يقع في (٥٦) صفحة من القطع الكبيرة وقد تم طبعه بتاريخ ١ كانون الثاني سنة ١٩٣٠م في مطبعة الآداب ببغداد .

٤ - الجزء الثالث من مقالاته - ولما كان الجزء الاول والثاني من « مقالات » المدرس المطبوعان ببغداد قبل ما يقرب من الاربعين سنة لسم يرضا جميع مقالاته فقد قمنا باستقصاء آثار المدرس المنشورة في الصحف العراقية وبعض الصحف العربية على مدى اربعين عاما ما وجدنا الى الاستقصاء سيلا ، وكان حصيلة ذلك الجهد المتواصل . . هذا الكتاب . مع العلم باننا لم نقصر تتبعنا على الصحف وحدها بل استطنقنا الملفات والوثائق الرسمية واتصلنا بجمهرة فاضلة من اصدقاء المدرس وتلاميذه ودارسيه ممن خالطه أو زامله أو تتلمذ له أو تتبع آثاره ووقف على سيرته ، كل ذلك من أجل لقاء أضواء جديدة على شخصية المدرس رحمه الله .

ونحن لا نجزم بان هذا الكتاب قد أتى على جميع ما دبجته يراعة المدرس من مقالات وبحوث مما لم يضمه الجزء الاول والثاني ، فمن المحتمل جدا ان تكون له مقالات آخر لو سمحت الظروف وواتت الفرص لكونت جزءا رابعا لمقالاته ، بل اننا عمدنا في بعض الاحايين الى استبعاد

(٦٣) أعلمنا الاستاذ كمال ابراهيم ان المدرس قد استدعاه ذات يوم واعطاه هذا البحث وطلب اليه أن يستنسخه ثم يقدمه للطلاب ليقوموا باستنساخه من غير علم المرحوم طه الهاشمي .

بعض المقالات لسبب او لآخر ومن تلكم المقالات المقالة المطولة (جامعة آل البيت وساطع بك الحصري) المنشورة في العدد ١٢٤ من جريدة « العالم العربي » الصادر بتاريخ ١٩ آب سنة ١٩٢٤ . ولمن يروم الوقوف عليها فليراجعها في كتاب « فهمي المدرس - من رواد الفكر الحديث » للدكتور يوسف عز الدين ، من مطبوعات جامعة الدول العربية - قسم الدراسات العليا - القاهرة سنة ١٩٧٠ .

تواقيعه :

لقد كان الاستاذ المدرس ينشر مقالاته في الصحف العراقية بنوعين من التواقيع :

• الاول : اسمه الصريح

والثاني : التواقيع المستعارة التي تواترت في ذكرها الاخبار وأجمع المتصلون به والمتبعون لأفكاره على معرفة صاحبها حتى عدت وكأنها الاسم الصريح له ، وهي : حارث ، الحارث^(٦٤) ، عراقي ، العراقي ، الكاتب الكبير (العراقي) ، ومن المحتمل ان المدرس كان ينشر بعض مقالاته بغير هذه التواقيع .

وقد ذكر الاستاذ كمال ابراهيم ان المرحوم أحمد عزة الاعظمي^(٦٥)

(٦٤) : أفادنا الاستاذ عبد الآله حافظ ان المرحوم يوسف غنيمة كان يذيل بعض مقالاته بتواقيع « ابو الحارث » .

(٦٥) أحمد عزة الاعظمي : ولد ببغداد سنة ١٨٨٠ ، واكمل دراسته في مدارس الاستنائة ، ثم اصدر هناك في ١٧ آذار ١٩١٣ مجلة (لسان العرب) و (المنتدى الادبي) في ٢٧ شباط ١٩١٤ ، كما اصدر في بغداد (اللسان) سنة ١٩١٩ و (المعرض) سنة ١٩٢٥ . وقد اشتهر بمواقفه الصلبة في الجهاد الوطني والثورة العربية ، وقد اخرج عن الثورة كتابه المهم (القضية العربية) في ستة اجزاء مابين عامي ١٩٣١ - ١٩٣٤ . توفي يوم الاربعاء ٢٢ تموز ١٩٣٦ .

صاحب جريدة « لسان العرب »^(٦٦) كان ينشر للمدرس مقالات بأسماء مستعارة ولكننا لم نقف عليها •

مجلسه :

ولن نكوّن للمدرس صورة متكاملة في الاذهان ما لم نوميء الى مجلسه الفريد •• أحد مجالس بغداد الشهيرة • فلقد أجمع الذين حظوا بمجالسة المدرس والاستماع الى أحاديثه وأسماؤه على انه رحمه الله كان محدثا نادر النظر •• فقد كان ذلق اللسان بليغا الى حد الاعجاز طلي الحديث الى درجة السحر ، يستأثر باعجاب جلسائه فيشدهم اليه شدا ، وكان اذا خاض في جدال أو مناقشة كان له القدح المعلى •• فهو بليغ منطيق قد أوتي من الحكمة وفصل الخطاب ما يجعل سامعه أو محدثه يهيبه ويحسب له كل الحساب ••

ويصف الاستاذ أحمد حامد الصراف مجلسا مع المدرس فيقول :
«•• واذكر انه حدثنا في أمسية من أمسيات تشرين الثاني والبدر مطل والنسيم السجسج العليل يهب فيحمل الينا شذا الورود المحيطة (بالحوض) الصغير ، حدثنا عن نفيه الى جزيرة (رودس) فوصف لنا الجزيرة وقلاعها وساتينها وأرباضها ورياضها والبحر المحيط بها حتى خيل لنا ان أمواج البحر حول أقدامنا فادخلنا في عالم اخر •• عالم (وجد واستغراق) عالم (اليوكي) الناسك الهندي ، وقد مر انزمن مرور البرق ولو لم نخبرنا (الساعات) انها الحادية عشرة من الليل لما تركنا المجلس ، والسلم يتببه صديقي الراشد^(٦٧) من عالم وجده الا عندما كوته جمرة سيكارتته فانتفض فصحا »^(٦٨)

(٦٦) مجلة (لسان العرب) : مجلة شهرية اصدرها احمد عزة الاعظمي في الاستانة ، وقد ابدل اسمها في سنتها التالية الى (المنتدى الادبي) •
(٦٧) هو المرحوم اسماعيل الراشد •
(٦٨) احمد حامد الصراف : جريدة الايام - العدد ١٢١ الصادر في ٦ أيلول ١٩٦٢ •

لقد كان المدرس يعقد مجلسه في داره الكائنة في محلة البارودية
أو في حديقته الخاصة في الاعظمية ، وكان يرتاد مجلسه أعيان البلد ،
وعلية القوم من رجال الفكر والادب والسياسة ، وكان المدرس رحمه الله
يتخذ من مجلسه كوة ينفس بها عن همه وكربه ، فكان يسلق رجال
الحكم وينتقد أعمالهم ويكشف عن سوء الحكم ومناكبته لمصالح الامة ،
فكأنما كان مجلسه ندوة برلمانية تمثل جناح المعارضة في البلد ، فلا غرو
إذا ما كان للحكومة في مجلسه أكثر من عين وأكثر من أذن !

•• وبعد

فقد كان فهمي المدرس أمة وحده ، في علمه وأدبه ، في خبراته
ومعرفته ، في شخصيته ومجلسه ، منح وطنه أعلى مايملك •• شبابه
وفكره وجهه • ونأمل ان يحفز جهدنا هذا همم الباحثين والمعنيين بالادب
العراقي وأعلامه ليكرموا فهمي المدرس ، ويحيوا آثاره ، ويحتفلوا
بذكراه ، تلبية لداعي الوفاء وخدمة للجيل المعاصر المتلفت يمنة ويسرة
للبحث عن القدوة الصالحة والاسوة الحسنة •

وختاماً نتقدم بجزيل الشكر ووافر الاحترام الى المجمع العلمي
العراقي الموقر لاحتفائه بالكتاب وتقديم المساعدة على نشره •• أبقاه الله
حامياً للمعلم ونصيراً للادب •

خالد محسن اسماعيل

عبدالحמיד الرشودي

الكرخ ١٤-٨-١٩٦٩

المقالات

1910

التجنس العراقي

والتوظف

لقد ذهبت الصحف في أمر التجنس بالجنسية العراقية مذاهب كثيرة ، بحسب ما اقتضته مبادئ أصحاب الاقلام . . . وان تلك المذاهب وان كانت متفاوتة في الشكل لكنها متحدة في الغاية . . . وهي - على ما ظهر لنا - حرص الباحثين في القضية على الوظائف من أن تكون من مطاعم الغرباء بهذه الطريقة الحديثة .

فمن مستقرىء قوانين الدولة ومستخرج منها اراء علمية وقواعد تشريعية تناسب الحال ، وتنطبق على روح الاجتماع ، ومن مفكر في وجوب اقامة غير العراقيين في العراق مدة عشر سنوات أو أزيد من ذلك أو أقل ليبرهن أولاً على صدقه واخلاصه لهذا الوطن ، وارتباطه به ارتباطاً يخوله حق التمتع بالمنصب ، ومن قائل بالتأجيل الى انعقاد المجلس النيابي حذر البت به فيأخذ كل غريب مقعده ، ولات حين مناص . . . ومنهم من اباح للغرباء ان يتقلدوا قسماً من الوظائف الثانوية دون الرئيسية . . . وقد منع البعض ذلك القسم القليل ايضاً خشية ابعاد العراقيين عن الوظائف ابعادا تدريجياً فتصبح الدولة يوماً في أيدي الغرباء ، وفيه من الخطر ما أثبتته التاريخ بالوقائع . . . لاسيما وان البلاد في دور الانتقال والتجربة ، وفي مثل هذه الادوار لا يحرص على المصلحة العامة ولا يتفانى في سبيلها الا ابو المصلحة وابن المصلحة ، والغريب لا يهمه الا نفسه وصالحه ، واذا ما دنا الاجل ابجر ، أو افقر او طار . . . وكم من غريب فعل فعلته هذه ولم يخش عاقبة أمره ، وما عهد الغرباء بعيد . . .

اما المسألة فهي من أهم المسائل الحيوية ، وهي مسألة لا تقبل التقليد أو القياس لانها من المسائل المقيدة بشروط ربما توجد في محل ، وتفقد في آخر ، لاسيما في مثل دولتنا الحديثة المفردة في شكل ادارتها . . . فمن

الواجب تفريقها الى قضيتين : قضية التجنس ، وقضية التوظيف ، والثانية
منهما تهمة كل عراقي لما فيها من التعرض بحقوقه الموروثة والمكتسبة معا ،
وما من أحد الا ويعدرنا على دفاعنا عن حقوقنا ، كما انا لا تأخذنا في الحق
لومة لائم ♦♦ ولا عذر لمن يعرف حقه ولا يدافع عنه ، وان من واجبات
الفرد في المجتمع ان يعرف ماله وما عليه ، والحق احق ان يتبع ♦♦ ولا بد
لكل حق من علل واسباب تحققه ♦♦

فأنا اذا عللنا توظيفنا البريطانيين لافتقارنا الى الاختصاصيين فبماذا نعلل
توظيفنا غيرهم من الشرقيين الذين لا يفوقونا علما ومقدرة ؟ أما نكون قد
أقمنا على أنفسنا حجة باننا لا نصلح لعمل من الاعمال ؟ وكيف يصح حينئذ
للأمم ، بل وكيف يصح لنا ايضا القطع بأننا قادرون على ان نحكم انفسنا
بأنفسنا ، ومن يتعهد بأستقلالنا اذا أصبحنا تحت وصاية كل امة من امم
العالم غربية كانت أو شرقية ، مستقلة أو غير مستقلة ، وكيف تتمكن حليقتنا
من ترك الحكم لنا بعد أربع سنوات اذا لم نكن من الان قد استلمنا زمام
الادارة واثبتنا كفاءتنا في كل شعبة من شعبها وفي كل عمل من الاعمال
جزئيا كان او كليا ♦ ومن يضمن لنا نجاح حليقتنا في عصبة الأمم يوم
العرض اذا لم نكن قد اقمنا البراهين على استغنائنا عن المساعدة وهل
يثبت ذلك الا بالتجربة وهل التجربة الا باستلام الادارة ؟

ولسنا نريد بقولنا (الغرباء) العرب من ضيوفنا أو السوريين كما
ذهب اليه البعض ، فجعل يحدث في الامر منافرة بل انا نقصد بالغريب اكل
من يطلق عليه (غير عراقي) بعد الموظفين البريطانيين ♦♦

نصرح بذلك لثلاثي يبقى محل للمغالطة او سوء الظن ، وليشهد العالم
بأننا لانفرق بين احد منهم ، مهما كانت جنسيته ، ومهما كانت نزعتهم ،
وعقيدته ♦♦ كما انا لانخص غير القديرين منهم ، بل القديرين ايضا ، لان
مقدرة الغريب لاتخوله حق الحكم في بلد هو غريب عنه فالغريب غريب

ولو كان أقدر اهل الأرض .. والغريب عدا كونه لا يشفق على المصلحة
كالوطني المرتبط بوطنه بروابط لاتزعزعا الحادثات فانه لايعرف حاجة
البلاد ولا عاداتها ولا ذهنيها ، ولا (عنعناتها) فيضطر الى ان يسلك طرق
التجربة فيمحو ، ويثبت ، ثم يثبت ويمحو الى ان تقوت الفرصة ويضيع
الوقت ويخسر المال ويقضى على المصلحة وجبله على غاربه . هذا اذا كان
حسن النية .. اما اذا كان الامر بالعكس ، فكيف يرجى من رجل مرتزق
دفعته صروف الدهر الى ان يلقي رحله في بلد لا ناقة له فيه ولا جمل
فراحم أهله ، فتحكم وتسيطر ، ثم عتا واستكبر ، ان يفسح المجال لاعمال
من شأنها توليد أمثال له فيكون كالباحث بظلفه عن حتفه ؟ وان قانون تنازع
البقاء يدفعه الى ان يقضى على حياة كل قدير ، وعلى تحطيم بكل عمل من
شأنه توليد القدرة لتبقى البلاد في حاجة اليه فيحيا بها حياة ابدية !

على ان في المسألة امراً آخر يرجع الى عز النفس ، فان العراقي
اذا منع حق التوظف في بلاد الغرباء بمقتضى القوانين السنونة هنالك ،
ومنح غير العراقي حق التوظف في العراق بحسب القوانين الموضوعه هنا ،
افلا يظهر من هذا المنع ، وهذا المنح ان العراقي أقل منزلة من غيره ؟
فان قيل : ان السلطة هي التي منعه هناك وان سلطة أخرى سمحت
به هنا ، ولا رأى للشعيين في الامرين - ولا نعتقد ذلك - فعندئذ يجب
على العراقي ان يفكر في جنسية تضمن له حقوقا عوض التكاليف التي
يفرضها عليه قانون التابعة والا يصدق عليه المثل (يتعب ابو كلاش ياكل
أبو جزمة) (١) .

(١) (يتعب ابو كلاش ياكل ابو جزمه) : مثل شعبي يضرب للجهد
الضائع الذي يستولى عليه غير صاحبه ومنه المثل الفصيح : (رب ساع
لقاعد ٠٢ وقول الشاعر :

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه

وان قيل : ان ذلك من كرم الاخلاق فليكن العراقي محروما من
هذا الحق في غير العراق ، وليكن غير العراقي ممتعا به في العراق ،
قلنا : ان القضية ليست من القضايا الاخلاقية وانما هي من المسائل
الحقوقية ، فالحق شيء والكرم شيء آخر فهل يجوز لرب البيت أن
يترك اهل بيته يتضورون جوعا ، وينفق على غير اهله اموالا استقرضها
بالفائض المضاعف؟!

أم هل يجوز لرب البيت ان يكل أمور بيته الى من هو غريب عنه ، وعن
اهله، وهو حى يرزق، وهو يسمع ويرى، وهو ليس بالمقعد، ولا بالمفلج؟!
وبما ان الوظائف حق من حقوق العراقيين وحدهم ، فالعراقيون لا يريدون
ان يزاحمهم فيها مزاحم ماعدا الموظفين البريطانيين المحدودين ولا يريد
العراقي ان يعود نفسه على التأخر في كل شيء حتى عن حقه الصريح ♦♦
وهو اذا لم يتوغل بالعمل ولم يتطبع عليه يصبح خائفا وجلا من كل أمر
كالطفل الذي يجفل عندما يجابهه أقل حادث ، فلا يقدم على شيء مالم يستند
الى غيره ، ويكون حينئذ قانعا من نعم بلاده بالاعمال الخسيسة ، والامثلة في
هذا الباب كثيرة ♦♦

وان قيل فيما يخص العرب من ضيوفنا : ان ذلك مما يؤيد الوحدة
العربية ، قلنا نعم انا من دعائها وانا من المتفانين بحبها ♦♦ ولكن الوحدة
العربية أجل من ان تباع وتشترى ، الوحدة العربية شعور يشعروا
به العربي بدافع القومية ، لا بتأثير المؤثرات ، فالعربي يحب العربي مثلما
يحب نفسه ، والعربي يذب عن العربي كما يذب عن نفسه ، وذلك بدافع
الفضيلة لا بحكم القوانين وانا لا نرضى لضيوفنا العرب ان يكونوا من
المؤلفة قلوبهم ، كما انهم لا يرضون ذلك لانفسهم ♦♦

ولنا في الوحدة العربية كلمة نوردها على سبيل الاستطراد ♦♦ كان

الواجب على العرب قبل ان يحل بهم ما حل ان يوحدوا كلمتهم ، ويجمعوا أمرهم ويؤلفوا دولتهم على اساس الوحدة العربية ♦♦ فلم يفعلوا ، بل اندفعوا بدافعي الجهل والطمع الى ان يتفرقوا شيعا ويفتوا في ساعد القائمين بالحركة حتى وقع ما كنا نحذره ، وقضى الامر واصبحوا على ما فعلوا نادمين ♦♦

أما وقد سبق السيف العذل ، فلم يبق لتكوين الوحدة الا أمر واحد وهو تكوين الوحدات التي تتكون منها الوحدة العمومية ♦♦ ولا تتكون الوحدات ما لم تتكون كل وحدة منها على حدة ، ولا تتكون كل وحدة ما لم تتحد اجزاؤها التي تتألف منها ♦♦ والوحدة العراقية هي من جملة الوحدات التي تتكون منها الوحدة العمومية وهي لم تتكون بعد بل هي في حالة التكون ♦♦ فمن المروءة ان نترك وشأننا ، لنجمع شملنا ونلم شعنا ونأسو قروحنا ونقوى على تكوين وحدتنا ، ثم لندع الى تكوين الوحدة العمومية ♦♦ فان ايننا فعند ذلك يحق القول علينا ♦♦ واذا قالوا : انما جئنا لنقوى وحدتكم قلنا : ان وحدتكم - على ما ترون لنا - أحوج الى التقوية ، فقوموا اولاً وحدتكم ، وكفى ما قاسيناه ، وقاسته الامة العربية من الاغلاط ، ودعوننا نقوً وحدتنا وعندما نقوى جميعاً ندعوكم وتدعوننا ونجمع قوانا على تكوين الوحدة المطلوبة ان شاء الله ♦♦ والا نخسر وحدتنا وتخسروا وحدتكم ، و (ذلك هو الخسران المبين)^(٢) ♦

حارث*

(٢) الحج : ١١

(*) جريدة «العالم العربي» العدد ١٤٥ الصادر في ١٢ أيلول ١٩٢٤

الوحدة والحكم المطلق

[أما وقد اتيح لنا الحصول على حكم دستوري قائم على اساس العدل والاخاء فعلينا أن نسعى الى اصلاح كل ما أفسدته يد الاستبداد المتأصلة روحها فينا منذ قرون وإلى جمع الكلمة وتأليف البين اذا كنا نريد حقا الوحدة التي ننشدها] •

ضدان لا يجتمعان ، الوحدة والحكم المطلق •• فحينما يكون الحكم المطلق فهناك تقوم قيامة الخلاف بين العناصر ، وبين الطوائف والجماعات بل وبين الشخصيات البارزة ، وبين الافراد أنفسهم ••

فتارة يظهر الخلاف اولا بين الافراد ثم يتسرب الى روح الجماعات فينتقل الى الطبقات العالية • وتارة بالعكس وذلك بحسب ما تقتضيه مشارب الحكام المطلقين ••

والحكومات المطلقة في ذلك على حد سواء ، لا فرق بين شريقيهما وغربيتهما • وما من حكومة مطلقة الا وقضت على اكل ما من شأنه تكوين الوحدة ، وجمع الكلمة •• فالتفريق والحكم المطلق رضيعا لبان ، وفرسا رهان ، وقرينان لا يفترقان ••

يسود الحكم المطلق على اثر التفرقة ، وتدوم التفرقة مادام الحكم المطلق ، وما اجتمعت الكلمة الا وزال الحكم المطلق • والاجنبى احرص من غيره على التشتيت والتفريق لاسيما اذا كان اجنبيا من وجوه شتى •• كأن يكون اجنبيا في الدين والجنس ، وفي اللغة ، وفي غير ذلك ، فان لكل من هذه المؤثرات ما يشجعه على تفكيك عرى الوفاق فيجعل له قلبا كالحجارة ، او أشد قسوة ••

وان شعبا لا يدرك هذه الحقيقة لحرى بان يهزأ به ، ولن يدرك
الشعب هذه الحقيقة مادام الحكم المطلق مسيطرا عليه ، لان الادراك يولده
العلم ، والعلم انما تحققه الوحدة ، والوحدة يعارضها الحكم المطلق ،
فحيثما يحل الحكم المطلق يخيم هنالك الجهل المطبق ••

فكيف يرجى من شعب تعاقب عليه الحكم الاجنبى قرونا اثر قرون
ان يدرك حاجته الى جمع كلمته ، وتكوين وحدته ، وهو لم يصبه من
الاجيال السالفة غير ما كان ينتقل اليه فى البطون والارحام من جرائم الجهل؟!
وان من الحقائق ما تلجج لها اللسان ولا تجرى بها الاقلام ، ولكنها
من حيث انها حقيقة يجب التصريح بها لتعالج معالجة حذق فلعل هنالك
ما يصلح للمعالجة ••

انى لا انكر على الذين يهزأون بنا ويسخرون منا هزءهم وسخريتهم،
بل انى ارى ان نهزأ بأنفسنا قبل كل هازىء ، فلربما تتوصل الى ما يجعل
الهازيين بنا والساخرين منا يفكرون فى احترامنا كما تحترم الشعوب ••
وكيف يحترمنا الغير ونحن على ما يعلمه منا من التشتت الذى ادى بنا الى
ألا نحترم أنفسنا ، والا نعرف لها حقا ، ولا شأننا ، ولا موقعا؟!!

تتزاحم على الاشياء ، وتباغض على الاشياء ، وان الذى تزاحمنا
وتباغضنا عليه هو جزء من ألف جزء مما ناله الغرباء من خيرات بلادنا ،
بدون مزاحمة ، وبدون مشاحنة •

ولا تتعظ بالذين جاؤا هذه الديار من مشارق الارض ومغاربها
متفرقين ، متباينين فى الجنسية ، وفى الدين ، وفى النزعة ، وفى اللغة
فأصبحوا اخوانا على سرر متقابلين • واذا ظفر أحدنا بشيء من ماله - كما
يظفر لاعب الياصيب - حنق عليه بنو جلدته ، فوشوا به ، وشددوا عليه
التكبير ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ••

وفاتهم ان الغريب المتأصلة روحه في هذه البلاد منذ اجيال يسره ان تقع بينهم العداوة والبغضاء ليختلفوا ، فيتنازعوا ، فيفشلوا ، فذهب ريحهم ، فيكون له الفضل على من يعطف عليه عطف السيد على مولاه بتوليته أمرا من جزئيات الامور على ان يكون بين الخوف والرجاء منتظرا في كل لحظة أجله الذي يستغنى به عنه فيصبح هو وأهله في داره من الجائمين ♦♦
فهل كان من العقل ان نطلعهم على ما في قلوبنا فنفسح لهم المجال لان يتسمنوا أعلى المساند ، ونبقى على فضالتهم - كما تشتهي أنفسهم متحاسدين ، متباغضين فيصبحوا هم الاولين ، ونصبح نحن الآخرين ، وتكون يدهم هي العليا ، وتكون يدنا هي السفلى ، ويكونوا هم المتفضلين ونكون نحن المتطغين ، ويعيشوا هم وعترتهم عيشة راضية ، ونعيش ومن معنا عيشة القانع والمعتر!؟

نعم ذلك مما عرسه الاجنبى ومما جنته يد الاباء والاجداد من ثمرات الحكم المطلق ، فورثها ابناء لا ذنب لهم غير انهم من نطفة كونتها جراثيم الجهل الذى كان ينتقل في الاصلاب منذ قرون ♦♦

فلقد حكم هذه الديار أقوام مختلفة جنسياتهم متفاوتة دياناتهم ، متضاربة سياستهم : فمن الكلدان ، الى الآثور ، الى الرومان ، الى اليونان ، الى العجم ، الى العرب ، الى التاتار ، الى الترك ، الى الانكليز ♦♦

ولقد ترك كل حكم له أثرا في النفوس ، وبقية باقية في طبقات المجتمع ، تعزز بهما الحكم المطلق ، وتمهدت السياسة الاجنبية ، ولم تسمح الاقدار بفرصة تمكن الشعب من ان يفكر في تأليف وحدته فيكون شعبا متضامنا ، فيأخذ نصيبه من الحياة ، لان الحكم كان يستلمه أجنبي عن أجنبي ، والاجنبى لا يمكن من ذلك ♦

ولقد بلغت حداقة الاجنبى في سياسة هذه البلاد ما جعل الخلف يأخذ عن السلف ، والسلف عن قبله ♦♦ فمن خلاف الى نزاع ، الى نضال ،

الى نقص فى الاموال والانفس ، الى قهر ، الى عظمة الى جبروت ، الى
دمار ، الى خراب * * * والحجائل ممدودة لاقتناص الشعب ، فديسيه كانت
تجذبه واخرى تدفعه ، وهو ما بين هذه وتلك ينازع حالتى جهل ، وشقاء * * *
فلكم خسر مالا ، ولكم فقد رجالاتا بما كان يعده لقتال ذوى القربى ،
واطماع الاجنبى فى سبيل الانتصار * * * وهو لم يخسر ما خسره ولم يفقد
ما فقدته باختياره ، وانما كانت تضطره سياسة الحكم الاجنبى الى ذلك ،
سياسة التفرقة وتشيت الشمل * * *

وهذه التفرقة هى التى جعلت الشعب مفطورا على حب الغريب ، وهى
التى جعلت الغريب مسيطرا عليه جيلا بعد جيل * * * ولقد بلغ ذلك الحب
بالعراقيين مبلغا جعلهم يتفاخرون به ، ويتسابقون اليه كما تتسابق الامم الى
الخيرات * * * وهذا الحب هو الذى قضى عليهم وعلى بلادهم بالويل والثبور *
فلهم يذكر التاريخ من المناقب ما يدل على وفاء الغريب آثرناه ،
فأكبرناه ، فعبدناه * * * والشعب العراقى على ما فطر عليه من وضع الامانة فى
غير موضعها ، تعود ان يجود بنفسه ، وبماله ، وبملكه على من لا يعرف
له إلا ولا ذمة * * *

ومما جراً الغرباء الحالة الروحية التى لم نجد لها أثرا فى غير هذا
الشعب كالاتصار للغريب عندما يحدث بينه وبين أحد من الاهلين ما يوقضهما
فى موقف الحاجة انتصارا يجعل الغريب قانعا بأن كل عراقى عدو ولكل
عراقى ، وبان كل عراقى له ثأر عند كل عراقى ، لان العراقى فى مثل
هذه المواقف لا يجد له وليا ولا نصيرا ، والغريب على كل حال يكون
هو المؤيد المنصور * *

فاذا كانت هذه هى حالة وحدتنا فهل يرجى منها خير اذا دعيت الى
الاشترك بتكوين الوحدة العامة ، وان الوحدة العامة - كما عرضنا فى
مقالتنا الاولى - لا تتكون الا بعد ان تتكون كل وحدة من وحدتها على حدة!
على انا من الموقنين بأن باقى الوحدات أيضا لا يقل تذبذبا عن وحدتنا

غير ان الاختلاف فيها ربما هو فى الشكل وفى العلل .. والا لظهر لها
اثر ، فأين الوحدة ؟ واين الموحدون ؟! وكيف يرجى توحيد تلك الوحدات
المبعثرة ، وكل وحدة منها بقبضة من قلبها كيف يشاء ، وان القابضين على
تلك الوحدات مختلفون فى المنافع والمآرب ، والوحدات لا يجمعها الا
الاتحاد فى الغاية والمنفعة .. وهل سمع بأجنبى ألف وحدة لاجنبى آخر ..
ومن ذا الذى ألف وحدة فى قطر ساد عليه باختلاف الين ، وهل اذا
تكونت الوحدة يبقى للحكم المطلق باقية ، وهل من مسيطر لا يدرك هذا
الامر الين ؟

نعم انا كنا من القائلين بالوحدة ومن الذين كانوا يمنون أنفسهم
بتحقيقها .. أما الآن فقد ظهر ان الذى كنا نؤمله كان كسراب ببيعة
يحسبه الظمان ماء ..

فن القوم لا يكادون يفقهون حديثا ، يبنى أحدهم قصرا ، ويهدم
الآخر مصرا . وانا لا تنكر ما للعلل والاسباب من تأثير ، وانه متى زال
السبب . عاد المسبب ، ولكن الذى صرنا نخشاه وتوقعه الا يكون زوال
السبب بعد زوال المسبب .

أما الآن وقد حصص الحق ، وأخذنا تبعه الامر على عاتقنا ، ولم تبق
لاحد سيطرة علينا فلم نجد عذرا يعتذر به المفكرون والمتنورون على تغافلهم
عن اداء واجبهم من ارشاد الشعب وايقاظه وتعليمه ما له وما عليه والاخذ
بيده الى الطرق الموصلة الى اصلاح ذات الين ، وتأليف الوحدة المنشودة ..
لانه اذا بقيت الحال على ما هى عليه من التذبذب والشتات فلا ينجو أحد من
المؤاخذة أمام الله وامام التاريخ .. « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم » (١) .

حادث*

(١) الرعد : ١١
(*) جريدة «العالم العربى» العدد ١٥٥ الصادر فى ٢٤ أيلول ١٩٢٤

التربية الابتدائية والوحدة العراقية

[التربية اساس الوحدة

والوحدة اساس الملك]

يتألف الشعب العراقي من عناصر وجماعات متباينة فى الديانة ،
والعادات ، والطبائع ، والاخلاق ، والمذاهب ، والمشارب .. كالعرب ،
والكرد ، والترک ، واليهود ، والكلدان ، والسريان ، والارمن ،
والنسطوريين ، واليزيديين ، والصابئة ، وغيرهم من أصحاب العقائد المنفردة
من اصول تباعدت عنها تباعدا كليا ..

وتنقسم العناصر من حيث البيئة الى قسمين : بدو ، وحضر ..
والبدو يختلف عن الحضر فى جميع الاحوال الروحية والاجتماعية ..
وينقسم البدو فى نفس البادية الى عدة أقسام ، كل منها يفترق عن الباقين
فى المذهب والمشرى وغيرهما ..

وان قطرا يختلف سكانه على نحو ما عرضنا اختلافا يخرججه عن
الحالة الطبيعية يصعب جمع الكلمة فيه .. على ان اختلاف الدين وحده
كاف لتفريق بينهم ، فكيف وقد تعاقب عليه الحكم المطلق عدة قرون ، ولم
يقيض الله له من يصلح أمر دينه ودنياه ، وتوالت عليه النوائب والآفات
جيلا بعد جيل .. فمن استيلاء الى استيلاء ، ومن وباء الى وباء ، ومن
غرق الى مجل ، الى حرب ، الى نهب ، الى قتل ، الى عسف ، الى
هلاك ، الى تبار ؟!

والنوائب مما يتطلبها الحكم المطلق لتأييد سياسة التفريق ، وان هو
يظهر بمظهر العطف كالذى يريد تأليفا وتوحيدا .. فلقد أثبتت التجارب
ان الحكم المطلق يقف فى موقف الاختلاف وقفة المانع المتردد ، لا وقفة
الوازع المصلح ..

أما الحكم الدستوري فإنه وان يكن مخففا لوطأة الاختلافات المذهبية والعنصرية بحسب الحدود القائمة على أساس العدل والاخاء ، الا انه لا يكون كافلا لنزع ما في الصدور من غل مالم تكن تلك الحدود مستندة الى قواعد الوحدة في التربية : فقد يكون الحكم الدستوري مفرقا بين العناصر تفرقا أبديا ، كما ظهر في أواخر عهد الدولة العثمانية بعد اعلان الدستور ، ذلك لان الدستور يمنح كل عنصر حق التمتع بحريته ، فاذا لم يكن لديه ما يؤهله للتصرف بها تصرفا صحيحا فسد وأفسد ، وضل وأضل .. وعلى فرض ان ذلك العنصر تزود بمواهب العلم كما سمح له الدستور ، ولم يتأدب بأداب الوحدة التي تعلمه ان بقاءه كعنصر حي لا يتحقق الا ببقائه في ضمن المجتمع مع باقي العناصر تحت راية واحدة ، فان تلك المواهب قد تضره أكثر مما تنفعه ، شأن العلم الناقص الضال ، فتوسوس له وتولد فيه أوهاما مقلقة ، تروح وتغدو الى ان تستحوذ عليه ، فتدفعه الى الماضي البعيد ، فتنبش له قبورا من عهد عاد ، وتستخرج منها عظاما نخرة تملئ عليه من مناقب القرون الخالية ما يجعله يصفح الخيال ، ويعانق الظل الزائل ، وتصور له المحال ممكنا ، والممكن حاصلا ، فينسي ثم يهدم ، ثم يبني فيسقط ، ثم يهبط ، ثم يهوي .. وذلك بعض مانسوه عنه بعض علماء الاجتماع بقولهم : وان من العلم ما يكون ضارا في بعض الاحيان ..

أما اذا كانت المواهب العلمية قائمة على قواعد الوحدة ، وعلى قوائم التربية الصحيحة ، فانها تربي الخيال خيالا ، والحقيقة حقيقة .. لان وحدة التربية تكوّن من العناصر روحا واحدة ، ونفسية واحدة ، وشعورا واحدا ، فيكون الكل جسما واحدا ، وجزءا لا يتجزأ ، ويصبح كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ..

وأما ما يظنه البعض من ان توحيد مناهج الدروس هو الذي يحقق

الوحدة ففيه نظر .. لان توحيد الدروس لا يفيد سوى تحديد سير العلم،
للحصول على الموازنة فى المواهب العلمية ، ولا علاقة له بوحدة التربية ،
فالعلم شىء والتربية شىء آخر .. والمقصود بوحدة التربية ، هو وحدة
العاطفة والشعور ، والشعور لا يتوحد بالنحو ، أو بالصرف ، أو بالطبيعات،
والرياضيات ، أو بغيرهما مما هو داخل فى مناهج المدارس الابتدائية
والثانوية ، وانما تتحقق وحدة الشعور بتوحيد التربية ، وتوحيد التربية
لا مرجع له غير المدارس العمومية التى تضم اليها جميع ابناء العناصر على
حد سواء ..

فلو بقي كل عنصر منفردا بمدارسه ، غير ممتزج بغيره من العناصر
لشأ محتفظا بشعوره ، ومقيدا بعاداته ، واخلاقه ، ونفسيته الخاصة به ،
تمسكا بماسك ربما يراها منطقية فى نظره القاصر وهو لم يكن ليتمسك
بها لو لم يكن مجهزا بتلك العلوم الناقصة التى تضاعف بها تعصبه القومى ..

وهذا التعصب يولد بين العناصر خلافا قد يكون اشد واقوى من
الخلاف الناشئ من الجهل ، لان الثانى يمكن تسكينه بالقوة القاهرة ، كما
هى الحالة فى البلاد التى لم تتأهل الى الحكم الدستورى . والخلاف الذى
تسندة القواعد الفنية ، والمعادلات الرياضية والقضايا المنطقية لا يدعمه غير
الحجج البالغة ، والحجج قد لا تفيد فى موقف الحماسة ، كما انها لم
تفد شيئا فى البلاد الآهلة بالعلوم والفنون .. ولذلك لا تسمح الادارة
المطلقة بتشيد المدارس العالية من حيث انها تمهد حرية الفكر وحرية
الاجتهاد ..

فالتربية هى اساس الوحدة ، والوحدة هى اساس الملك . والتربية
هى التى توحد بين افراد العائلة ، وبين افراد العنصر ، وبين اعضاء المجتمع،
فالمثأدب بأداب غير آداب اسرته لا تنتفع به اسرته ولا عنصره ، ولا يكون
عضوا نافعا فى المجتمع ، لان التربية تفرق بينه وبين اهله ، فضلا عن ان

تفرق بينه وبين عنصره وشعبه ♦♦ وهو فى تلك التربية يصبح اجنيا فى داره وفى بلده وفى قطره ♦♦

ولن تتأسس وحدة التربية الا فى حجور الامهات ، فلامهات هن الموحدات ♦♦

ومن الخطأ الفاحش ما اعتاده اولو السعة من ارضاع الطفل من ثدى غريبة لم تتأدب بأداب الاسرة ، واعظم منه خطأ تأديبه على ايدى الناقصين والناقصات فى التربية فأن تربية الطبيعة خير منه ♦♦ اما تعدد المربين والمربيات المختلفين والمختلفات فى التربية فى عائلة كثيرة الاطفال فذاك بلاء ليس يشبهه بلاء ♦♦ لان الاطفال حينئذ يشبون على طبائع مختلفة والطبائع المختلفة تولد المنفرة ، والمشاكسة والاشمئزاز ♦ وذلك ما اراده الشارع الاعظم بقوله (اطلبوا العلم من المهد الى اللحد) ♦

فاذا عززنا هذين الخطأين بثالث كأن يدرس احدهم فى بغداد ، والثانى فى بيروت ، والثالث فى باريس ، والرابع فى لندن وتأدب كل بأداب الامة التى ينشأ بين ظهرانيها ، فالخطب يكون ادهى وأمر ♦

ولذلك عنيت الامم الغربية فى هذا الامر ، وحرصت عليه حرصا شديدا ، فاختصت كل منها بتربية وطبعت بها جميع افرادها ♦♦ فالبريطانى فى جميع حالاته بريطانى ، والافرنسى فى جميع حالاته افرنسى ، سواء فى ذلك الفقير ، والغنى ، والشريف ، والوضع ، ولا يختلف احدهم عن الاخر فى حالة من الحالات الاجتماعية ♦♦ واما فى الشرق فاختلاف التربية قد يظهر الخلاف بين الاخ واخيه ، وبين الوالد وبنه حتى فى الأكل والمشرب والملبس ، والمسكن ♦ وغير ذلك من مقتضيات الحياة البسيطة ♦♦ الا الذين تأدبوا بأداب الطبيعة ، ولم تفرق بينهم يد الاختلاط ، فأنهم يشبون على وحدة طبيعية وسداجة مطلقة اكسكان الصحارى المنقطعة الذين فقدوا كل صلة تربطهم بغيرهم من البشر ♦♦

وهذا ما جعل الغربية محتوما عليها ان ترضع ولدها فأن تعذر عليها سلمته الى شقيقتها في التربية او الى احدى المؤسسات المعدة لهذه الغاية •• وقد لاحظ علماء الاجتماع هذه الحالة أيضا فوجدوا فيها بعض الفرق عما اذا كان الطفل رابيا في حجر امه ، مع ان اسلوب التربية واحد في كلتا الحالتين ، وانما الفرق بينهما يتولد من النماس والمؤانسة وغيرهما مما له علاقة بأحوال الروح ••

وانا لا نتعرض الان لتوحيد التربية منذ سن الرضاع لان له شروطا مفقودة لدينا ، ولكن وحدة التربية منذ زمن التحصيل لانرى مانعا لها ، فأنها تتحقق بالمدارس العمومية - كما عرضنا - التي تضم اليها ابناء العناصر والجماعات تحت سقف واحد ، على ايدي مؤدبين خبيرين ، متحدين في التربية ، بدون فرق في العناية ، بعد الاجماع على التربية الصالحة ••

وليست العقائد الدينية مانعة لان التربية تغلب على العقائد الدينية كما تغلبت في بلاد الغرب ، فان اليهودي لم تسلم عنه عقائده ، والارمني لم يتجرد عن ارميته بعد ان تأدب بأداب الوحدة ، بل بقي اليهودي يهوديا والارمني ارمينيا • ولكنه يشعر بشعور الوحدة التي شب عليها ، وتشبع بها • وان تحقق تلك الوحدة وان كان متوقفا على أمد بعيد لانه تابع لقانون الدرج ، لكن الاسراع اليه ضروري ، فتأجيله عاما يؤخر النجاح اعواما ••

والا اذا بقي كل عنصر منفردا في حالته الاجتماعية وتمسكا بها تمسك الاعمى فلا معنى للبحث عن الوحدة العراقية •• ولنا في هذا المعرض كلمة فيما يخص البعثات العلمية نوردها على سبيل الاستطراد ••

قضت الضرورة بان يتغرب ابناءؤنا لطلب العلم لما فقدوه من الوسائط في وطنهم •• وهذا مما لاغنى عنه اذا اردنا ان ننقذ انفسنا من ظلمات الجهل وهذا ما امر به الشارع بقوله (اطلبوا العلم ولو كان في الصين) وهذا ما تتوخاه ولم نزل نحرض عليه وهذا ما يتوقف عليه نجاح البلاد •• وهذا ما يسرنا ويسر كل من له علاقة بهذا الوطن ، وهذا الشعب ••

ولكن لهذا التغريب شروط يجب التنبه عليها لئلا نكون قد خسرنا
أزيد مما ربحنا ♦♦ منها، يجب ان يكون المغرب بعد سن الرشد ، وان
يكون لاكمال التحصيل العالى ومن اجل الصنائع والتطبيقات ، وان تكون
البعثات تحت نظارة اولى الحصافة والنباهة من الخبيرين المجربين ♦

فأذا بَدَن التغرب فيما دون سن الرشد ، واذا كان لما دون التحصيل
العالى واذا كان لغير الصنائع والتطبيقات واذا كانت البعثات مطلقا سراحها ،
فذلك غير صالح وربما يكون اثمه الكبر من نفعه ♦♦ لان للسن ادوارا تختلف
فيها التطورات ، فالذى يكون دون سن الرشد تنطبع فيه انطباعات تتغلب
عليه ، فتكون فيه روحا غير روحه ، فيعود الى دياره غريبا عنها ، ولا يكون
عضوا نافعا في المجتمع ♦♦

هذا اذا ما ساعده الحظ على ان ينزود بشيء من العلم ، فأن لم ينزود،
فقد مات ميتة جاهلية ♦♦

واما اذا اختلفت مواقع المتغربين من الديار الاجنبية ، فلنقرأ السلام
عليهم ، وعلى ما يجيئوننا به ♦♦ ولنا اسوة بالبعثات التركية الى المواقع
المختلفة ، فان الذين رجعوا الى ديارهم ظهر كل منهم بمظهر ، فمن منتصر
للألمن ، ومن رافع علما للانكليز ، ومن متعصب للافرنسيين ، ومن متفان
في حباة اخرى ♦ وقامت بينهم قيامة الخلاف ، فمن نزاع الى شتات
الى اضمحلال ♦♦

فاذا صح نبأ الصحف من ان المتغربين في هذا العام تجاوز عددهم
المئة ، عدا المتغربين في الاعوام الماضية ، فذلك مما يحملنا عسرا فوق
عسرا ، وذلك مما يورث نقصا في اخلاقنا ، وضعفا في ادارتنا ، وتشوشا
في سياستنا في المستقبل ♦♦ لان من المتغربين من لم يستجمعوا الشروط التي
عرضناها ♦♦ وان هي الا عاطفة تغلبت عليهم ، وضرورة اضطرتهم ، وان
هو الاشوق حملهم ، ويأس ساقهم ♦♦ وانه ليعز على العراق وهو مستقل،
وحكومته دستورية ، ديمقراطية ، ان يفتقر في اموره الحيوية الى قطر غير
مستقل ، وحالته - على ما يقال - مشوشة ومضطربة ♦♦

وان تنفق الأمة على معارفها ما تنفق من الاموال ، ثم تضطر الى ان تغرب ابناءها الى بلد لم يكونوا بالغيه الا بشق الانفس ..
وان يفارقنا اطفالنا في عمر لا يصح لهم التغرب فيه ، ومنهم من لا يملك زادا ولا راحلة ، وان الذي ننفقه على مئة في الغربية يكفى لتعليم الف في الوطن تعليما عاليا .. وان تتخذ مدارسنا كمعامل لغيرنا يتفجع بها سياسة واقتصادا ، فيحسر مالنا وولدنا .. وان نسرف في الوقت ، وفي المال بنقل مدرسة الى بناية مدرسة اخرى ، ونقل الاخرى الى بناية الاولى ، او بجمع مدرستين ابتدائيتين وتبديل اسمهما ، ونحن في اشد الحاجة الى المدارس العالية كما اثبتته الغيورون المتغربون من ابنائنا الحريصون على طلب العلم رغم كل كراهية .. وان يتهاقت تسعمائة تلميذ ، فنقبل منهم مائة وعشرين ، ولا نبالي بالباقيين ، فيصبح خريجو ثانوياتنا في بغداد عشرة .. وفي الموصل ثمانية .. فاذا قيل : لماذا لا تفتح المدارس العالية ، كان الجواب : ان الامل قليلون ..

فاذا كان محتوما علينا تغريب ابنائنا ، ومحتوما على المدارس العالية تأجيلها الى - يوم لا ينفع مال ولا بنون - فهل يبقى من ضرورة الى التشكيلات الضخمة ، ومن حاجة الى ازدهار الاختصاصيين .. وان النتيجة التي عرضت على الرأي العام هي عشرة .. وثمانية .. من ثلاثة ملايين !؟

حادث*

(*) جريدة العالم العربي - العدد ١٦٣ الصادر في ٣ تشرين الاول ١٩٢٤

النهضة في الشرق

وروح الاجتماع *

« فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل

لخلق الله » (١)٠

طبع الشرقي على غير ما طبع عليه الغربي لمقتضيات اقليمية اكونت كلا منهما على شاكلته ، فدماع الشرقي غير دماغ الغربي وقحفاهما غير متشابهين ، والفروق بينهما ظاهر في نفس التشكل ، وقد اختلفا في نفس الخلقة اختلافا لا تؤثر فيه المؤثرات من تطبيع او غيره •• فالشرقي مادام الشرق شرقي والغربي مادام الغرب غربي ••

يشعر الشرقي لا كما يشعر الغربي ، هذا له شعور ، وذاك له شعور ، وروح الشرقي غير روح الغربي ، ومظاهرها متفاوتة في احوالهما الاجتماعية ولا تزال متفاوتة مادام ذلك الفرق موجودا في اصل الخلقة ، وفي نفس التركيب وفي النفس ذاتها •• « فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » • فطر الغربي على دماغ لا يكل ، وفطر الشرقي على دماغ تؤثر فيه الحادثات ، فالغربي قوى الجأش ، ماضي العزيمة ، قاطع الرأي ، مقدم على الصعاب ، مكافحها •• والشرقي ضعيف الارادة ، واني العزيمة ، متردد الرأي ، محجم عن الشدائد ، مجتنبها • فلذلك يغلب على الغربي حس الابداع ، ويتغلب على الشرقي حب التقليد ، والتقليد لا يصح بما له علاقة بأحوال النفس ، او فيما هو تابع للتطور ، او فيما هو عائد الى الماضي البعيد ، لان النفس لا تستعار ، ولان للتطور اشكالا تختلف بحسب الزمان والمكان ، ولان الماضي لا ينطبق على

* الشرق الاقصى خارج بحثنا لان الطبيعة ولدت فيه عللا مكنته

من النهوض بذاته (المدرس)

(١) الروم : ٣٠

الحال •• والشرقي لا يفرق بين هذه العلة فيقلد تقليدا مطلقا ، فتكون عاقبة امره خسرا ••

وقد يقلد الشرقي الغربي بأعمال تدفعه اليها دوافع غير طبيعية ، فيكره نفسه على ان يحذو حذوه ، ولكنه بما فطر عليه من حب الراحة ، والاخلاد الى السكون يفتر قبل الوصول الى الغاية فتجبط اعماله • والغربي بما جبل عليه من المكافحة ، وركوب الاخطار ، واستحقار الشدائد ، يواصل السعي حتى يبلغ غايته ، ولذلك يختص الشرقي بالحرص على نفسه وحب الخير لها ، والاعراض عن سواه ، ويختص الغربي بالجهد في سبيل النفع العام ، لان الفطرة تدفعه الى ان يرى سعادة غيره متممة لسعادته ، ومن هنا ظهرت روح التضامن في الغرب ، وروح التخاذل في الشرق ••

وقد يكون الشرقي في بعض الاحوال جامعا للاضداد ، فإنه مع حرصه على نفسه ، لا يعتمد عليها ، فيستسلم لغيره ، فيقلبه كيف يشاء • والغربي لا يعتمد الا على نفسه ، فهو الذي يسيّرهما حيث اراد ••

والغربي فعال ، والشرقي قوال ، فالغربي لا يهتم بما لا يعنيه ، والشرقي بعكسه ، فهو يعبت بالتنقيب عن احوال غيره اكثر مما يشتغل بنفسه •• ولقد اعتاد الشرقي النظر الى الماضي • واعتاد الغربي النظر الى المستقبل ، فهذا يكثر من قوله سيكون ، وذاك يكرر قوله كان ، فهذا كل يوم يرجع الى الوراء ، وذاك كل يوم يتقدم الى الامام ••

هذا بعض ما فطر عليه الشرقي مما يؤخره عن النهوض وعن اللحوق بغيره من الامم التي سبقته في التقدم منذ قرون ، ومما يؤثر على نتائجهج الاعمال التي يقلد فيها غيره ••

فالذين يذهبون الى ان الشرق دبت به روح غير روحه لا يبعد ان يكون ذهابهم هذا من بواعث الفطرة التي فطروا عليها من الحكم بالظواهر ، واتباع العواطف ، والقطع بالشيء بدون تحليل ••

فتوهموا ان في الشرق نهضة ، وان في الشرق حركة ، ثم اندفعوا بدافع الفطرة الى اعظام تلك الحركة ، والى التوسع فيها ، واستخرجوا منها نتائج لو صح ان هنالك نهضة لاحتاجت الى امد بعيد حسبما يقتضيه قانون التدرج . ولكن العاطفة لا حدود لها ، قد تغلب على الفرد وقد تغلب على الجمع ، ففسير بهما ، واثر من يتبع العواطف هم الشرفيون ، ولذلك يعبر الغربيون عن الشرق بعالم الاحلام ، وعالم الخيال .

وغاية ما يقال : ان في الشرق ضجة منبعثة من اصوات متداخلة ، غير موجهة الى هدف ، ترتفع في الفضاء من حين الى حين ، شأن السجناء الذين يضيق بهم الخناق فيصرخون ، مستغيثين فلا يغاثن . وخلاصة ذلك : هو ان ثور نائرة ، فتذكر فيها اسماء ، وتشد ابيات ، وترنم اناشيد ، وتضرب طبول ، ويكرر لفظ العلم في كل ناد ، فتقسم الآراء ، وتختلف المذاهب ، فمن مقتصر على العلوم الابتدائية ومن مظنن بالزراعة والمعادن ومن محرض على التجارة والصنایع ، ومن باحث عن المتاحف والمكتبات ، ومن مهذب بالفنون الجميلة ، ومن منقب عن الكنوز الاثرية ومن داع الى الشركات ، ومن مهشر بالكليات الاجنبية ، ومن طالب تعريب البنين والبنات ، ومن صارخ برفع الحجاب ، ومن حاقد على المذاهب والاديان ، ومن متعكر بالنعنات وناهج نهج القدماء ، ومن محلوق فوق صروح الجامعات ، ومن ناظم شكل الحكومات ، وعابس على القوانين . ثم يجوس خلال الاصوات نقد وجدال ، ثم هزء وازدراء ، ثم نزع وخصام ، وبعد هذا وذاك تذهب احلام وتأتي احلام ، فمسؤال ولا جواب ، ثم مؤانسة وعتاب ، ثم فتور وقنوط ، ثم سكون وسكوت ، ثم برد وسلام ، ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاکرام . نعم ، ان في الشرق حركة ، ولكن الحكمة تقضي بان النظر الى ما وراء تلك الحركة ، ولما لم يكن وراءها سوى القال والقيل ، والخداع والتضليل ، والصور والاشكال ، والدبدبة في الظواهر ، والتزويق في الالفاظ ، والشقاق والنفاق ، جمعجة ولا طحن .

فلاصح ان يقال : ان في الاقطار الشرقية حالة غير طبيعية ولدتها
الحرب العامة ، كما ولدت في غيرها من الاقطار ، فظهرت في كل ناحية
بمظهرها الخاص بها ، حسبما تقتضيه العلل الطبيعية ، شأن الامراض العصبية
التي تختلف باختلاف العوارض ، وتتكيف بحسب الامزجة ♦♦

اما النهضة الحقيقية فهي شعور كامل ، والشعور الكامل هو مظهر من
مظاهر العلم ، وموهبة من مواهب اليقين ، فأذا لم يكن ثمة علم ، واذا لم
يكن ثمة يقين ، فليس ثمة شعور ، وليس هنالك نهضة ، وانما هنالك شيء
من تقاليد النهضة ، وكل ما يظهر باسم النهضة فهو من اعراض تلك
التقاليد ♦♦

والروح في الشرق هي عين الروح ، فهي لا تزال تركز الى البتء ،
وتعول على الخيال ، وتجنح الى التسويق ، وتقع بما لا يجدى نفعاً ، وتحتجم
عما فيه جد واجتهاد ، وتعرض عن الغايات السامية ، وتقف دون الجزئيات ،
وتحرج عند الكليات وتعظم الذرة بالمكبرة ♦♦

والشرق في حالته الحاضرة اشبه ما يكون بمريض ازم من مرضه ،
فتقطعت به الاسباب ، فأخذ يخطط خبط عشواء ، فتارة يحمل المرض على
الحر ، واخرى على البرد ، ومرة على الاكل ، وتارة على اللبس ، او المكان ،
او غير ذلك مما ليس له تأثير في المرض ، فينازع ويجادل على غير علم ،
وهو كلما استبدل معالجة بغيرها من هذه المعالجات البسيطة توهم في جسمه
خفةً ، وفي حاله صلاحاً ، ولكنه سرعان ما ينقلب سروره حزناً ، وأمله
يأساً ♦♦

وكذلك الشرق في حالته الحاضرة ، فانه عند ظهور كل حادثة له
حركة توهم انها من بواعث النهضة ، وان هي الامعالجة طيب غير مشخص
للداء لا يعقبها سوى ازدياد في الآلام ♦♦ مثل ذلك :

يرجع الشرقي من ديار الغرب طائشا مما عرض له من جمال الصنعة ،
وجمال الطبيعة ، وبدائع الفن ، وآثار النعيم ، ورغد العيش ، فنتهى نفسه
ان يتحقق له كل ذلك في وطنه ، غير شاعر بان الروح غير تلك الروح ،
وان البيئة غير تلك البيئة ، وان القوم غير اولئك القوم ، وان الدماغ لا كذاك
الدماغ ، وان الشروط غير موجودة ، وان الموانع كثيرة ، وان المدارك
مختلفة ، وان المشارب ليست على حد سواء ، وان احوال النفس من اعظم
المؤثرات ، وان الطبيعة غير مساعدة •• فينادى بالاصلاح كالذى يتخبطه
الشیطان من المس ، ويملى على الاسماع ما لا تتحملة الاسماع ، فيذهب كل
في واد •• فتعارض الآراء ، وتعارض الشخصيات ، وتتعارض الغايات ،
فيعلو ضجيج ، وترتفع اصوات ، فيسقط الرأى على الرأى ، ويسقط
الشخص على الشخص ، وتسقط الغاية على الغاية ، فكم دعوى بلا دليل ،
وكم دليل بلا مدلول ، وغرور بلا داع ، وساحق ومسحوق ، فيزهق الحق ،
ويتنفخ الجهل ، وتسود الفوضى ، وينبذ الصواب جانبا ، ويخرج الرأى
السديد من هذه المعمة الهوجاء مبهضا ، فيقال : ان في الشرق نهضة ،
وان في الشرق حركة •• هذا اذا كان ذلك المصلح مخلصا ، فاذا كان
شيطانا فى زى المصلحين ••!؟

وكيف ينهض الشرق ونهوضه متوقف على عناية من جانب الطبيعة ،
والطبيعة قاسية لا ترحمه ، وهو لاحول ولا قوة له!؟
على ان النهضة لا توهب ، وان لكل قوم نهضة تلايمهم ، والتقليد
لا يفيد ، والنهضة تدعو ، ولا يدعى اليها ، وما نهضت أمة الا بدافع من
نفسها ، والدافع الذى يأتيها من الخارج يدهورها ويحطمها ••

والامة التى تكون مغلوبة على امرها ، وهى غير مستجيعة لشروط
النهضة تلعب بها الالهواء ، فهوى يجذبها ، وهوى يدفعها ، فتسير ولا تبرح
مكانها ، وتربح شيئا وتخسر اشياء ، وتجنى على نفسها ولا تشعر ، وفي كل
لحظة تتقهقر وهى تظن انها ناهضة ••

والشرق لا يرجى له نهوض مالم يكن معتمدا على نفسه وما لم يشد
ازره بجمع كلمته ، ويقطع النظر عن الماضي ، ويدفع الاوهام ، ويوجز في
القول ، ويكثر من العمل ، وما لم ينبذ التردد جانبا ، ويركب الاخطار ،
ويستحقر الحياة ، ويقطع دابر المتلاعبين ، ويعرض عن الظواهر ♦♦ والا
فلا يصح ان يقال : ان في الشرق نهضة ، وان في الشرق حركة ♦♦

حارث*

(*) جريدة العالم العربي - العدد ١٧٣ الصادر في ١٥ تشرين

الاول ١٩٢٤ .

النهضة في الشرق

وروح الاجتماع

- ٢ -

« سنة الله التي قد خلت من قبل ولن

تجد لسنة الله تبديلا » (١)

ان للاقاليم تأثيرا في نفسية الاقوام ، فالشرقي بحسب المؤثرات الاقليمية له نفسية غير نفسية الغربي ، ومن احواله النفسية القناعة والتوكل والتفويض ، ولكل منها علل ولدتها الطبيعة في ارض الشرق وفي مائه وهوائه ، وكوتت تلك النفس القناعة المتوكله على خلاف ما كوتت نفس الغربي ، لان كلاهما فطر على غير ما فطر عليه الآخر ، فالشرقي فطر على حب الراحة والاخلاد الى السكون .. والقناعة والتوكل والتفويض من مظاهرها ..

يقنع الشرقي بالقليل لئلا يكبد ، ويعتمد على الغير ويستسلم للحداثات لئلا يعد للامر عدته فيمسه نصب ، وهذه النفسية هي التي اعدته عن العمل فسار مع الحداثات سير الطابع المنقاد ، مثله كمثل راحل رقد عند الرحيل فلما استفاق وجد الركب قد رحل والاطار حائقة به وهو لازاد ولا راحلة له ، فاني ذهب عاد كالذي استهوته الشياطين في الارض ..

ومن قناعته رجوعه الى الماضي وحرصه على القديم لان التجدد والتطور يكلفانه الجهد والعناء وقد ياتي التجدد عفوا فلا يدوم لانه غير نفسي وما اكرهت عليه النفس لا يطول امده ..

ومن قناعته ميله الى التقليد فالشرقي مقلد بالطبع ولكنه يقلد ما هو

(١) الفتح : ٢٣

سهل المأخذ كالذي يرجع من ديار الغرب حاملا احسن شىء لاح لناظره وتاركا خلفه من البدايع ما لو قسم على الشرق كله لكفاه، والغربى يحمل من الشرق احسن ما فيه ولا يقنع بالقليل ويستقصيه فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها * * * ومن قناعة الشرقي انه يقتصر على مايلذ له فى ديار الغرب فيرجع مبشرا بالخلاعة والملاهى ولولا ما طبع عليه من اتباع الشهوات لعاد كما يعود الغربى مزودا بما ينفعه وينفع قومه * على ان علماء الاجتماع فى الغرب لا يزالون ينددون بتلك الآفات الاجتماعية ويشون النصايح بأقلامهم والسنتهم وان المسرفين قليلون بالنظر الى الذين يجتنبون كبائر الانم * .

والشرقي لما فطر عليه من اتباع الشهوات لا تزال الطبيعة تجود عليه بمن يمهده له سبل الاسراف فى الوقت وفى المال وفى الصحة لتموت قواه العقلية ميتة لايرجى له بعدها بعث ولا نشور * * * ومن قناعته انه يزهد فى العلم فيقتنع باليسير مما يهون طلبه كالعلوم الابتدائية ويجنح الى الذين يخادعون فى العلوم العالية ويسوفونه لما فى التسويق من الروح الملايمة لنفسيته التى تكونت من القناعة والتوكل والتفويض فيختلف مع الذين يريدون له خيرا لعناء توهمه فيما يريدونه فتبقى مداركه مقيدة لان المدارك لا تطلق الا بالعلوم السامية التى تمنح حرية الفكر وحرية الاجتهاد وان الذين يقتصرون على مادونها من العلوم لا يصلون الى ما يصل اليه اولو المواهب السامية من بعد النظر ودقة الفكر * .

وما من امة وهنت مداركها الا وهزلت فافتقرت الى من يقومها وان الذين تدعوهم الى تقويمها لا يواسونها فتذل وتخضع شأن الشعوب الابتدائية التى تحس بأنها لا تستحق المواسة * واذا لم يكن لها من يقومها فقد خارت عزائمها وفسد شعورها وتفسخت قواها وافترسها المفترسون (سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) * .

ذلك لان المواهب الطبيعية لا تضمن البقاء للفرد او الجمع وانما البقاء
بالغلبة والغلبة بالقوة والقوة من المواهب المكتسبة التي تختلف باختلاف
الزمان فلا تتحقق الغلبة بقوة الساعد في حرب المدافع ولا بالمدافع اذا كانت
غير واجحة ، هذا ما يقتضيه قانون تنازع البقاء ♦♦

ولو كان في المواهب الطبيعية ما يمكن من الموازنة بين الافراد وبين
الجماعات لبقى الغالب غالبا والمغلوب مغلوبا ولما انعكس الامر فأصبح الغالب
مغلوبا والمغلوب غالبا لاكتساب المغلوب قوة غير القوة التي وهبتها له الطبيعة
وقد اثبتت الوقائع هذه الحقيقة فلم يبق الا اتباع الحق ونبد الشبه ، والسعي
وراء بلوغ الغاية ، والغاية هي تأمين البقاء ولا يتحقق البقاء الا بالغلبة ،
والغلبة بالمدارك العقلية ، ولا تقوى المدارك الا بالعلوم السامية ، والشرفي
يشق عليه طلبها فتبقى مداركه مقيدة بالمواهب الطبيعية فيغلب على امره ♦♦
ولذلك انا لا نسلم بالنهضة في الشرق ما لم يأت الشرق بعمل يقيه
شر الفتن ويغنيه عن من الذين يحلبونه حلب الشاة ويسيطرون عليه
سيطرة المالك على المملوك ♦

وليست النهضة بالقصائد والانشيد وضرب الطبول وفتح الاندية
والاسراف في الملاعب والملاهي وتأليف الاحزاب الوقتية ♦♦

لا يتحقق النهوض الا بالعلم وليس العلم الذي ينهض بالامة هو
قواعد النحو والصرف او مبادئ الرياضيات ، وانما هو ذلك العلم الذي
تسمو به المدارك والذي يعلم الامة نفسها فيدفعها الى ما وراء الطبيعة
فينقذها من الخطرات التي الفتها والا تبقى سائرة سير الابل وغيرها يطير
على اجنحة البرق او على ما هو اسرع ، كما هو ظاهر من حركة العلم ♦

وان الذين يراؤن ويمارون فاولئك لا عتب عليهم ولا ملام لانهم
آنسوا من نفسية القوم قبولا وارتياحا فجاروهم والقوم لو عقلوا ما
اقاموا لهم وزنا ♦♦

اما العراق وهو قلب البلاد الشرقية فانه يمتاز عن باقي الاقطار بكونه مهبط العناصر الشرقية ولكل عنصر اثر في نفسيته من الاحتكاك والمقارنة جيلا بعد جيل • فالعراق له مظاهر عدا مظاهر الشرق ومن مظاهره الافراط والتفريط فله في أمر واحد حركة وسكون وله اقدام واحجم وله صبر وجزع وهو في هذه وفي غيرها من الاحوال يتردد ما بين افراط وتفريط •

فلا يصح القطع بتعريفه لان نفسيته تابعة لتأثير مؤثرات عدا المؤثرات الاقليمية ، ومما يجدر بالذكر من احواله النفسية سرعة التأثر والانفعال وقليل من لم تؤثر فيه الحوادث في هذا القطر ولهذه الحالة الروحية علل يجب التنقيب عنها في عناصر السياسة التي لعبت به ادوارا فلم تبق لديه على ممر القرون ما يثبت به حالة له من الاحوال فبقى تحت تأثير عدة مؤثرات تأثير الطبيعة وتأثير السياسة وتأثير الاختلاط والمقارنة ، وان تأثيرا واحدا من هذه المؤثرات يكفى لان يرميه في مصارع البؤس والشقاء فحملته العواصف حيث شاءت وسيرته السياسة حيث ارادت وقتك به كل من اراد به سوء •• وان قطرا يؤول امره الى ما آل اليه العراق لا يلام على غلط من الاغلاط او على تفريط او افراط ، كما انا لانلوم الذين حملتهم العاطفة على تعريب الاطفال الى الديار الاجنبية لطلب العلوم الابتدائية فانهم اندفعوا بدوافع طبيعية لا قبل لهم بها احدها الضرورة والضرورة من اهم البواعث والثاني النفسية المتكونة من التسرع والانصياع الى الامور بدون تريث ثم التقليد المطلق والميل الى الراحة واجتناب كل امر يتطلب المزاحمة لانهم على ما يقولون وجدوا الوسائط غير كافية في هذه الديار والسعي وراء ترفيتها يشق عليهم فهان عليهم التعريب لسهولة لاحت لهم ولفوائد تحققت لديهم من اقوال الاساتذة المبشرين ولم يشق عليهم ان يبقى آلاف من الاطفال البؤساء دون أبنائهم علما وتربية لان الشرقي لا يبعأ الا بنفسه لاسباب طبيعية عرضناها في مقالنا السابقة ••

ولو لم تكن تلك الاسباب الطبيعية لما هان على رجال الحل والعقد ان يقتصروا على تهذيب أبنائهم تهذيبا كاملا دون أبناء غيرهم وهم المسؤولون عن الاصلاح وهم المكلفون باكمال النقص اذا كان فى مدارسنا ما يستوجب الاصلاح أو الأكمال •

على ان فى هذا التغريب ما يجب التنبيه عليه وهو ان الطفل الذى يشب فى بلد غير بلده ويتأدب بأداب غير آداب قومه ويتمرن بسياسة ترمى الى غير ما ترمى اليه سياسة قطره لا يكون نافعا فى المجتمع ، وانما يكون عالة على اهله ووطنه ويكون ائمه اكبر من نفعه لانه يرجع غريبا فى جميع حالاته لا فرق بينه وبين الغرباء الذين يتذمر الناس منهم اذ لم يتذمر الناس من الغرباء الا للعلل التى عرضناها والا فان أهل البلاد يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة •

فاذا أصبحنا متذمرين من أبنائنا فهل يبقى معنى للتذمر من الدخلاء أم يجب ان يقال لنا حينئذ انكم قوم لا تعقلون ؟!

وهل قصد الاساتذة المبشرون فى تبشيرهم غير هذه الغاية وهل من المعقول ان تتبع كل ناعق فنقع فى مثل هذا الشرك ؟!

وماذا تكون عاطفة الطفل نحو بلاده وحكومته اذا ادرك ان بلاده لا تضمن له حاجته الى العلوم الابتدائية ، وما معنى الشعور الوطنى والتربية الابتدائية والعواطف القومية وهل ذلك كله يتحقق فى سن الكهولة والشيخوخة والهرم أم فى سن الطفولية ؟!

ولم يسمع لامة غربت أطفالا لتعليم العلوم الابتدائية أو الثانوية وانما التغريب اذا كان ضروريا فانه يكون من اجل التطبيقات والاختصاص على ان يكون فى عمر يصح به التغرب ••

والبلاء الذى ليس يشبهه بلاء هو تغريب الطالبين الى ديار مختلفة ،
فان الخطر على البلاد سيكون ادهى وامر لانهم سيعودون بارواح متناثرة
تشكل عليهم التعارف فيما بينهم فيعيدون لنا مجد بابل ♦♦

اما من الوجهة المالية فاننا اذا غربنا كل عام مائة من الطلاب كما
تغرب فى هذه السنة فستصبح ماليتنا الضعيفة على شفا جرف هار غير
شاعرين بان ما تنفقه على مائة من المتغربين يكفى لتعليم الآلاف من
ابنائنا فى ديارنا ♦♦

هذه هى الحركة فى الشرق سائرة نحو الافراط والتفريط فاما
جهل مطبق واما علم مفرق ♦♦

فان قيل ما هو المانع لان تكون مدارسنا جديدة بان ياولى اليها
اطفالنا فقيهم شر الاخطار من مشقة السفر ومفارقة الاهل والاطوان
وثررة النفقات التى تشق على الكثيرين منهم وباقي المحاذير الاديبية
والسياسية ولدينا من الاختصاصيين ما لا يعجزهم امر وكلما مهتت الحاجة
اتينا بهم ♦ وانا لسنا من المقصرين فى التشكيلات ولا من المقتصدين فى
النفقات ♦♦

قلنا ليس لذلك من مانع سوى الطبيعة التى اكونت نفسيتنا تكوينا
ظهرت به فى مظاهر القناعة والتوكل والتفويض ولم نقم بما يمكننا من
التغلب عليها ولم نكن من الذين يسخرونها ويتصرفون بها حسبما تدعو
اليه الحاجة ♦♦

(وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) (٢) ♦

حارث*

(٢) النحل : ١١٨

(*) جريدة العالم العربي العدد ١٨٠ الصادر فى ٢٣ تشرين الاول ١٩٢٤

النهضة في الشرق

وروح الاجتماع

- ٣ -

« ولتجزى كل نفس بما كسبت

وهم لا يظلمون » (١)

رقد الشرق قرونا ، وهو يحسب انه رقد يوما او بعض يوم ، وما استفاق الا ورأى الطبيعة قد حملته من الاعباء ما لو قام بها لاحتاج الى ان يعيد تلك القرون ويوصل بينها وبين القرون الآتية فيعمل بما فرضه الماضي وبما يدعو اليه الحال ويطلبه الاستقبال ليقارب الذين سبقوه في سير الحياة عصورا حسبها يوما او بعض يوم ♦♦

ولما لم تكن له نفسية تدفعه الى الكفاح ليطوى الزمان والمكان كالذين تأخروا من قبله فسخروا الطبيعة وتصرفوا فيها تصرفا ممكنهم من ان يستردوا في ايام ما فقدوه في اعوام ويستعيدوا في اعوام ما فاتهم في قرون ♦♦ ولما لم يكن لديه ما يجرده من الهواجس ليمشى - ولو على مهل - فيزحزح نفسه عما حاق به من الاخطار عاد فرقد حتى قضى الله امرا كان مفعولا ♦♦

وقد تلوح له اشباح الامانى فيقبل عليها فتأى فيسرع فتغيب فيخطب فتظهر ، فيهرع اليها فتعود أهوالا ♦ وينقلب اليه البصر خاسئا وهو حسير ♦♦ وقد تحركه العراقيب فيستوى قائما فينشد ويرنم ويهتف ويعزف ويفاخر ويطاول ويفضل ويعول ، ثم يهلع ويخنع فيفسر ويؤول ويهمس ويخس ثم يسجد ويرقد وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ♦♦

(١) المائة : ٢٢

وقد تستنفره الطوارق فيستعيرله نفسية من الاجداث فيهدم ويبني
ويبدىء ويعيد ويامر وينهي وينذر ويبشر باعلام وتيجان واشكال والوان
واحكام وحكام وان هي الا اضغاث احلام ••

وان هي الا نفسية انهكتها القرون فادى بها الوهن الى ان تنوح على
الماضى وتندب الرسوم وتبكي العظام وتعانق الخيال • وتستتجد الاساطير
وتهيم في الفلوات لتظهر لها خزائن الارض وما هي بمزحزحة عنها العذاب
ولو اتاها الله ملء الارض ذهباً •• ولم تبق الحادثات مما خلفت له العصور
الخالية غير خروق مقطعة بينها وبين ذاكرته ما بين الغرب والشرق فورثها
عباد الله الصالحون وخرج من ماله كما يخرج الذين لا يشبثون لهم حقا
فيما أصابهم من الميراث وان يستعبوا فما هم من المعتبين ••

هذه حالته في دور انحطاطه •• أما وقد تمللم تمللم المسسوع
طائشا مما دهاه فقد علا فيه الضجيج وارتفعت الاصوات وذهب كل مذهبا
في معالجه فما من ناحية في الشرق الا والجدال قائم فيها على أمور هي
بمنزلة الفروع كالتعصب والبيئة والقوانين والادارة وغيرها من الانبعاثات
التي لا تصلح مالم تصلح بواعثها اولا ، والمتخاصمون عليها مثلهم كمثل
شقيقين اقتتلا والنار في ثيابهما فاحترقا ••

نعم قد تدفع بالناهضين روح الاجتهاد الى التحزب وقد يكون محمود
العواقب ، ولكنه فيما اذا كان للمجتمع من الامر شيء ، أما اذا كان مغلوبا على
امره فالتحزب يقضى عليه وعلى نهضته والشرق لا ينهض مالم تقو بنيته
ينبذ الاختلاف جانبا •• وان معالجة الاعراض لا تأتي بفايدة اذا كان المرض
في الداخل ولكن الشرقي اذا اراد معالجة مهمة بدأ بفروعها لما في معالجة
الاصول من التفكير وهو يفضل تعب الجسم على تعب الفكر فاعتاد النظر في
الظواهر فكان كالذى يزخرف جدارا يريد ان ينقض فيضطر الى ان يعيد
العمل وهذا شأنه في كل مهمة اراد معالجتها غير منتبه في الثانية الى ما
فرط في الاولى فتمر عليه القرون مر السنين •

وان دعاة النهضة في الشرق مهما كانوا قديرين ومخلصين فان
النفسية تغلب عليهم وتفعل فعلتها والعاطفة قد ترفع المستوى الى ما لا
تساعدها الطبيعة عليه فيكون عاقبة امرها خسرا ..

ولذلك يشترط على المصلح الا يقدم على امر مالم يستند الى قوة
يستمددها من عقلية المجتمع ولاسيما اذا كان المصلح مقيدا بقيود لا تمكنه
من معالجة ما يعترض له من العوارض في طريق الاصلاح .

ولم ينجح في طريق الاصلاح الا اثنان : احدهما هو الذي يسير
بمبدئه سيرا خفيا فيصلح ويجدد ولم يظهر بمظهر من المظاهر وهو الذي
وزن عقلية العوام ودخل بينهم وجرى منهم مجرى الدم من الجسم ونهض
بهم من حيث لا يشعرون .. والثاني هو الذي دخل بين الطبقة العالية من
المجتمع فتصرف في مداركهم زاهدا في حياته غير مؤمل جزاء ولا
شكورا ، لان الطبقة العالية يغلب عليها العجب فلا تمكن المصلح من عمل
اذا ظهر بمظهر الفضل والرجحان .. وأما من نهج نهجا لا تصل اليه
مدارك العوام ولا يتفق مع مشارب الخواص ، والطبقة المتوسطة لا تزال
في الارحام فانه يكون قد خلق لزمان غير زمانه ولا تشعر البشرية به الا
بعد ان تبلى عظامه .. ومنهم من يريد بدعوى الاصلاح شهرة يتمتع بها
في هذه الحياة الدنيا والشهرة في الشرق لا اعتبار لها ، صالحة كانت او
غير صالحة ، لان الشرق لا يملك من الامر شيئا .

واكثر مظاهر النهوض عندنا هي الاحتفالات التي لم يسجل التاريخ
منها سوى الاسراف في الوقت وفي المال .. ومنها ما يكون ختامها العجب
والحسد والنزاع على الاشياء ..

والحفلات الادبية اشد وطأة لما تثير من الضغائن والعداوات فكانما
تقام للانتقام والاستئثار وليترصد الادباء احدهم الاخر حتى اذا معاثر صاحبه
شمت به بدل ان يقبل عشرته فتتأفر القلوب ويشتد الخصام على الحركة او

التكوين وتشرب الاعناق وتستأسد النفوس ويتطوع القلم للجهاد في سبيل الفتحة او الضمة ، فتملى روح الامتعاض على الصحف من المضامين ما تبرز به العورات ويشخص النقص ويثبت زيد جهل عمرو ، وعمرو جهل زيد حتى يصبح كل منهم جاهلا على زعم صاحبه وبادعاء بعضهم على بعض فنخسر حتى الفتحة والضمة ولا يبقى سوى شؤم الطالع وازدراء الطبيعة منا فيقال ان في الشرق نهضة وان في الشرق حركة .. ولا ينتفع بتلك النهضة وبتلك الحركة الا الذين يتربصون الفرص لتفريق الكلمة وتشيتت الشمل .. على ان الاصلاح له طرق كثيرة ، لو شاؤا لاهتدوا اليها بدون ان يثيروا ضغينة او يجرحوا عاطفة ولكانوا عصبة واصلحوا اللغة والبيئة وغيرهما مما يحتاج اليه المجتمع ولكن النفس تأبى الا أن تهين صاحبها وتخضع للغريب . وتحسبهم جميعا وقلوبهم شتى .. وهذه هي الحالة في اكثر نواحي الشرق وقد تختلف في الشكل وفي الصورة .. والموقف يدعو كل شرقي الى ان يكون عضوا عاملا من عوامل الاجماع على معالجة الداء بالحكمة والموعظة الحسنة ..

وأغرب ما في الشرق من أحوال النفس ، اختلاف جماعة من المصلحين في أمرهم فيه متحدون ، وبعد ان يعرض احدهم عن الآخر ، وبعد ان يتباغضوا ، وينشاجروا ، يقول قائلهم : انى لست مخالفا في هذا ولست معارضا لذلك ، وان الذى يقصده المخالف هو عين ما أنا ارمى اليه ، ولكنهم لا يزالون مختلفين .. كالنزاع القائم على حجاب المرأة ، فان الفريقين المتخاصمين متفقان على أن الحجاب كان لمدافع طبيعي ، وان السفور مثله ، وان العلم هو الذى يفصل بينها وبين الحجاب ، فلو اتحدا وهيئا للمرأة وسائط التهذيب ، وتجملا بالحلم والصبر ، حتى تقضى الطبيعة بما هي قاضية ، لانحلت العقدة وزال النزاع .. وفاتهم ان النزاع يعارض الحجة التى احتجوا بها لان القوانين الطبيعية لا تحتاج الى ولي أو

نصير ، فهي تفعل فعلتها عندما تجد سبيلا ، وتظهر بمظهرها ولو اجتمع
 البشر بأجمعه عليها • وان النزاع لا يرفع الحجاب ، بل يضاعفه اضعافا
 مضاعفة ، وان القضايا المنطقية واقواعد الفلسفية والاجتماعية ، والقوة
 القاهرة كلها لا تأتي بفائدة ما لم تقنع المرأة بذاتها ، وما لم تقترن الاقوال
 بالعمل الصالح الذى اتفق الفريقان عليه ، فلو ترك الفريقان الجدل ،
 واسرعا الى جمع المال ، فأسسا للفئة مدارس تحت عنوان «مدارس التهذيب»
 او عنوان آخر - بدون نزاع على الاسم - وبدون ظهور بمظهرى السفور
 او التحجب ، وقاما بواجبات التهذيب الذى يكفل لها ما يتمناه الفريقان
 - وان رجال الفريقين من الذين لا تردد فى اخلاصهم ومقدرتهم - لكان
 خيرا من ان يسرفوا فى الوقت بادلاء حجج سبقهم اليها السابقون من قبله
 ان تخلق نهضة المزعومة ، على أمر اختلفوا فيه لفظيا واتحدوا معنى ،
 ولايزالون مختلفين •• فان قيل : ان المال لا سبيل اليه ، قلنا : فالنهضة اذا
 لا سبيل اليها ، وان كانوا ينتظرون من وزارة المعارف ان تقوم بهذا
 الواجب ، فلا يتحقق لهم ذلك الا بعد أجيال ، لان الميزانية لا تساعدها
 عليه •• وان قيل : ان التهذيب فى الشرق لا يحتاج الى مدارس ، ولا الى
 علوم أو فنون ، فقد يكون الشرقي عالما بلا علم ، وشاعرا بلا شعور ، ومربيا
 بلا تربية ، فذلك مما يدركه الاختصاصيون ولا رأى لنا فيه ، غير أنا نقول :
 ان من كان قانعا بان السفور يجب ان يكون عاجلا ، تهذيب الفتاة ام لم
 تهذب ، لفوائد اجتماعية تحققت لديه ، وان تأخيره يفتك بالمجتمع فتكسا
 ذريعا ، فحرام عليه ان يتأخر بعد قناعته ، بل الواجب يقضى على القانع ،
 بان يتقدم ويكون قدوة لغيره من القانعين مثله ، أو المترددين ، ويكشف
 النقاب عن الحقيقية بالفعل والتجربة •

أما اذا بقي يقدم رجلا ويؤخر اخرى ، مؤملا ان يسبقه غيره ليقترى
 به ، ويلقى التبعة عليه ، كما هى عادتنا نحن الشرقيين فى اكل أمر حاولنا

معالجته ، فلن يتحقق له ما كان قانعا به ولو طال النزاع الى أمد بعيد ••
كنا بالامس نطعن بمصطفى كمال^(٢) ونقول فيه : « انه هتك حرمت
الدين ، وخالف السنة والجماعة ، ونبد القرآن وراء ظهره ، وعصى الله
ورسوله ، لأنه أباح لزوجه ان تحضر المجلس العام سافرة » • واليوم نقول :
« شيد له هيكل وهو حي ، وبوسعه ان يغير خارطة الشرق الادنى والشرق
الاوسط اذا شاء ، فيجب ان نقنطى به فى قضية السفور » •

انا لا نريد ان نتعرض لذلك الطعن أو لهذا التحيد ، وانما نريد ان
نبين انا فى الحكم تتبع رغباتنا •• على ان الذى اباح السفور الى زوج مصطفى
كمال والى زوج زغلول ، لا هو مصطفى كمال ولا هو زغلول^(٣) ، وانما
هو ذلك الروح الامين الذى هبط على الزوجين من سماء دار المعلمات ،
ودار العلوم ، ودار الفنون والجامعات •• هو ذلك العلم السامي ، والادب
الراقي اللذان تجملتا بهما ، فحولاهما حق الحضور فى المجتمعات ، ومقابلة
الساسة والعلماء من رجال الشرق والغرب • وان التركية والمصرية مضى
على تهذيبهما نصف قرن بتلك المدارس العالية ، والكليات ، فى ذينك
الوسطين الراقيين •• ولا ندرى ماذا يريد المتنازعون بعد ان اتفقوا على
التهذيب؟! أيريدون ان تكشف المرأة عن وجهها ، وتشم عن ساعديها ،
وتجمع المال ، وتبني المباني العلمية والصناعية وجميع ما يستدعيه التهذيب
العصرى ، وتقول لهم : « ادخلوها بسلام آمين »^(٤) ، أم عقدوا النية على

(٢) ولد فى مقاطعة سلانيك سنة ١٨٨٠ ، وتخرج فى المدرسة
الحربية برتبة ملازم فى الجيش سنة ١٩٠٢ • ويعتبر المؤسس الاول
للجمهورية التركية الحديثة • توفى سنة ١٩٣٨ •

(٣) ولد سنة ١٨٦٠ فى (أبيانه) من أعمال مديرية الغرانية = فى
الجمهورية العربية المتحدة • وتعلّم فى الازهر ثم اتصل بالسيد جمال الدين
الافغانى فلزم مجلسه وتأثر بأفكاره • ثم سافر الى فرنسا لاكمال دراسته
القانونية فحصل على الاجازة بالقانون • رأس الوفد المصرى الى مؤتمر
فرساي • توفى سنة ١٩٢٧

(٤) الحجر : ٤٦

تغريب الفتاة كما غربوا الفتيان ، ليخسروا البنين والبنات لعل عرضاها
سابقا ، أم يعتقدون ان الفتاة تتهدب بطريق الوحي والالهام •• وهل هي
متأخرة عن المدارس الحاضرة ، ومن حرم على النساء مجالس العلم ، أو
ما يحضرون الوعظ والصلوات في المساجد والمعابد ، وما الفرق بين الوعظ
والدرس ، والجامع والجامعة ، وهل الغربية خلقت مهذبة في بطن أمها ،
أم الرجل هو الذي أعد لها وسائل التهذيب ، من الآداب الرفيعة والصنائع
الدقيقة التي لا تتمقها الا أناملها الرقيقة ، ولا يحسنها الا ذوقها السليم ،
وهو الذي علمها كيف تربي أطفالها ، فساغ لهم ان يقولوا « هذبوا
نساءكم تتهدب رجالكم » •

حارث*

(*) جريدة العالم العربي العدد ٢٠٩ الصادر في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٤

النهضة في الشرق

وروح الاجتماع

- ٤ -

وعلى م يختصمون وقد اتفقوا على ان عادة رسخت في النفوس منذ قرون لا تزول بأمر « كن » وان الحجاب لا يرفع بل يرتفع ، ولا يرتفع مالم يقيم مقامه ما يحجب المرأة عما يجب ان تحتجب عنه وهو العلم والادب ، فانهما حجابان من نور تهتدى بهما الى ما يصون عفافها من ان يقع عليه اى غبار ، وليس الامر مقتصرا على العفاف وحده ، بل العلم يصونها من أمور كثيرة كالفضل في آداب الاجتماع ، وآدب البحث والمناظرة لدى مقابلتها للرجال ، على انا نجد كثيرين من رجالنا المعول عليهم يشنون عنها ، فنجرى على ألسنتهم وأقلامهم ألفاظ وعبارات لا تنفق مع مبدأ الاصلاح ، ولا مع فضيلة الباحثين فيه .. ولا يصح قياس المجموع على الافراد والمفردات ، وانما الاكثرية هي التي تبنى عليها المقاييس .. والناس تختلف اذ يأوهم باختلاف مداركهم وعاداتهم فهل من الممكن تغيير زى البدو بنصيحة ، أو باقامة حجة مالم تصل مداركهم الى قبولهما ، وهل يكون البدوى حضريا بمجرد القول ، أو بمجرد اللباس !؟

يقول المعارضون للسفور من الاثراك : « ان الوسط لم يتها بعد ، وان العادات قاهرات ، وان الرجل اذا كان محظورا عليه حضوره المجتمعات قبل ان يتأدب بأدابها ، فالمرأة بالباب الاولى ، لان الرجل سبقها في التهذيب ، وان اكثر نساتنا لا يعرفن ما لهن وما عليهن ، - سواء كان السبب فى ذلك هو الحجاب او غيره - ولم يفكر علماءنا فى ان يحددوا آدابنا الاجتماعية ليتأدب بها كل من الرجل والمرأة فلا يتعديان حدودهما

إذا اجتمعا ، فيصيهما الفشل ، ويختل نظام الاجتماع ، وان سكان البوادي لا يخلون من خطة يتبعونها في اجتماعياتهم نظرا الى حياة البادية ، واذا قيل لهم : ان الدين جاء بدساتير اجتماعية ، قالوا : تلك سنن الاولين ، وذلك هو الرث القديم البالى ، فالذى نخشاه الا نكون قد مزقنا ثوبنا القديم ، والا تمن الطبيعة علينا بثوب جديد ، فبقى حفاة عراة شعثا غربا » ♦

هذا قول المعارضين للسفور من الاتراك ، وبين حالتنا وحالتهم فرق لا ينكر فان الفشل يتضاعف فيما اذا كان المجتمع تحت مراقبة ، وانه ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ♦♦

فالذى شهد مشاهد السعادة فى الغرب له ان يتمناها لبلاده ، ولكن الذى ظن به الظنون لا يحقق الامانى ، لان علة العلل هى الجهل الذى ولد فى الشرق من العوامل ما اقعه عن السير قرونا فاذا زال الجهل زالت تلك العوامل ، وقام مقامها العمل الصالح ، ولكن دون ذلك أهوال ♦♦ وما كل ما تمكن منه الغربى يتمكن منه الشرقى ، لان الظروف ليست واحدة ، وما كل ما صفا لغيرنا يصفو لنا، ولا كل الموارد صافية ، والنائم غير اليقظان، والحاكم غير المحكوم ، والغني غير الفقير ، والحر غير الاسير ♦♦ كيف يصح قياس الشرقية على الغربية فى العمل ؟ وان الحاجة هى التى دعت الغربية اليه ، واللأ حاجة هى التى اخرت الشرقى والشرقية عنه ♦♦ اوليس الغرب مكلفا بحاجاته وحاجات الشرق معا ولذلك هو فى حاجة الى كثرة العاملين والعاملات ، والشرق غنى بما يمن الغرب عليه من فضله^(١) له ان يقوم بها واذا نوى فلا يمكنونه ، اوليست الطبيعة هى التى قسمت الاعمال بين النساء والرجال ، فما شق منها كان نصيب الرجل ، وما خف كان نصيب المرأة ، فالغربية كان نصيبها ان تكون حمالة الورد ، والشرقية كانت قستها ان تكون حمالة الحطب ، كل يتجر ببضاعته ، وكل ينال قسمته ، وكل ميسر لما خلق له ، اما مشاطرة المرأة الرجل حالته ، فهى من الامور

(١) بياض فى الاصل ♦

البديهية ، فالشرقية تشاطر الرجل فقره ، وعناءه ، ويؤسه ، وشقاءه ، واسره ،
وظلماته •• والغربية تشارك الرجل غناه ، وسعادته ، وزعيمه ، وحرية ،
ونوره •• ليست المرأة قرينة الرجل ، اليس بكل قرين بالمقارن يقتدى؟!
الغربي هيا للمرأة ما تشاطره اياه ، والشرقي كذلك ، وهما فرسا رهان
ورضيعا لبان ، واذا شاءت فلنقل للغربية :

اجارتنا ما انصف الدهر بيننا تعالى اقسامك الهموم تعالى (٢)

فهل تحن عليها ، ام تقول لها : ولتجزى كل نفس بما كسبت
وهم لا يُظلمون •

ان نهضة المرأة هي التي تبعثها روح المرأة ، فاذا لم تكن نهضة
نسائنا مستعارة ، فليس عليهن من حرج ، ان يجتمعن ، ويتذاكرن في
صالحهن ، ويخطبن ، ويكتبن في صحفهن ، وفي مجلاتهن ما يهذبهن ،
وان يدافعن عن حقوقهن بانفسهن لا بطريق الحماية من قبل الرجال الذين
يتظلمن من اعمالهم ، ونهضن لكي يتخلصن من ظلمهم وعسفهم ، فالظالم
لا يؤتمن وان كان حاميا •

والغربية لم يعضدها الحزب المناصر للمرأة الا بعد ان عرفت ان لها
حقا وعرفت كيف تنال ذلك الحق •• والذي نعلمه هو ان نهضة
الرجال تسبق نهضة النساء ، ولو فرضنا انه لا مانع من ان
ينهضا معا ، فهل تقوم نهضة بدون وسائط تعززها وتقدمها الى الامام
فنخشى اذا تعذرت الوسائط ان يصدق علينا وصف الغربيين نفسية الشرق
لدى بكل فرصة بقولهم :

« ان الشرق ينهض ، ويحكم ويجدد ، ويكون كل شيء ولكنه
في الالفاظ فقط » •

وكلما تقوم ضجة الخلاف على الحجاب في قطر من اقطار الشرق لهم اقوال يعرضون بها ، كقولهم : « يطالب الشرقي بتحرير المرأة ولا يطالب بتحرير نفسه ليتحررا معا ، ويرغب الشرقي في ان تكون المرأة كل شيء وهو مسجل على نفسه انه لا يصلح لان يكون شيئا مذكورا ، وان تسجيله ذلك كان عليه وعليها في آن واحد •• يمد يده ليرفع حجاب المرأة ويدها مغلولتان » • وانا لا نسلم بجميع ما يجرى على السنة المغالين في حالة الشرق الحاضرة ، ولكننا لا ننكر ايضا • ما في حر كاتنا من الارتباك الباعث الى غلوائهم ••

فأن رجال الاصلاح اعتادوا الا يدخلوا البيوت من ابوابها ، وان يجرحوا العواطف قبل ان يتبثوا ، ولذلك لا يحسن الظن بالنهضة في الشرق •• والمصلح لا يتم له عمل ما لم يكن رائده الحلم والتواضع ، واذا كان يعتاظ للكلمة فيقابلها بأمر منها ، واذا كان يحقد فيأخذ بتنقيب عورات المعارضين له ، فالحركة التي يقوم بها تكون عاقبتها الفوضى ••

والنهضة اذا لم تكن لها خطة معينة ، يذهب كل فيها مذهبا ، كما ذهب كثيرون الى ان الغرض من هذه النهضة هو السفور فقط ، والسفور غير كاف للتقدم ، لان نساء البوادي ، والجبال ، واكثر نساء المدن سافرات ، ولم يتقدمن الى الحضارة قيد شبر •• وان الاقتصار على المحسوسات في مثل هذا البحث مما يقرب الى الحقيقة ، والتمسك بما لا جود له مما يدعو الى الفشل ، فلو ان المرأة غاظها النزاع على حجابها ، وقالت : ان كان هذا هو المانع للتقدم « خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه^(٣) » ولكن ارونى ماذا خلق الذين من دونه ، اليس الرجل سافر الوجه ؟ اين آثار تقدمه ، واين ماكنتم تدعونني اليه من مدارس الهندسة ، والطب ، والادارة ، والسياسة ، لاكون مهندسة ، وطبية ، وادارية ، وسياسية ، ومتفنتة ، ومخترعة ؟ واين

(٣) الحاقة : ٣٠-٣١

المعامل والصنائع ، واين المعاهد التي توحى الى نفس الفتاة من الآداب الرفيعة (الصنائع النفيسة) ما يجعل لها فى المجتمع منزلة سامية ؟ واين المتنزهاة ، واين المجتمعات التي تمنيتم ان اتعلم بها كما انتم متعمون ؟ انقول حينئذ : « انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون » ام نضع عوض حجاب حجابين !؟

ولقد لاح لنا من بين رموز الباحثين ان منهم من يشير الى طرف خفى ، يريد به ان بين الارواح التي ترفرف فوق رأس البحث روحا هائمة دفعها الغرام الى ان تحاول النظر الى الجمال جهرة ، لا من وراء حجاب ، فأخذ يجرح تلك الروح .. وذلك مما لانشاركه فيه ، لان الله جميل يحب الجمال ، ولان الهيام بالمحاسن من مميزات الروح التزيهية التي يتكيف بها الذوق السليم ، والذوق السليم لا يأتي عفوا ، وانما هو موهبة من مواهب الاداب الرفيعة (الصنائع النفيسة) بل وحى توحى الى النفوس الراقية . والاداب الرفيعة اكبر مقياس تقاس به مدارك الامم السامية ، والاداب الرفيعة ليست من بنات السيل ، وانما هى من غوانى صروح الجامعات ولذلك يقال ما كل من ذاق الهوى عرف الهوى ، ولا كل من شرب المدام نديم .

ولذلك تحتاج الامم الى فرع الآداب الرفيعة فى الجامعات ، وتعنى به عناية كبرى ، فالهيام بالمحاسن بدافع فطرى ، اى بدون تلق - اذا صح - يعد فضيلة ومزية ، لا نقصا وذميمة ، وذلك مما يدل على ان الطبيعة اودعت سرا من الاسرار فى الفطرة العراقية جعلتها تمتاز به عن غيرها ، فاصبح العراقيون مفضولين على الذوق السليم ، ومستغنين عن كلفة الجامعات ، أفلا يشكرون ؟

اما الفتاة العراقية فانها درة مكنونة ، حرصت عليها الطبيعة ، فحجبتها عن الابصار وخزنتها فى مخازن العفة والنجابة قرونا ولم ترض لها الا ان

تكون من الحور المقصورات في الخيام ، وهي اذا ما ظهرت ستظهر - ان شاء الله - في حلة يتلأأ عليها الوقار والابهة والاحتشام ما تغطيها عليه بكل فتاة غير عراقية ، لان الطبيعة لم تكن قد خصتها بجمال الصورة فقط ، بل وهبتها من المواهب السامية ما لم تكن لتأمن عليها لولا عين الله التي لاتنام ، فحرسها من شر كل افاك ائيم ، عتل بعد ذلك زعيم ، وان لها من الذكاء ، ومن الحلم ، والاباء ، ومن الاصالة والنبل ، ومن محاسن الاخلاق ، ما لا يدع ربية في انها تسمع القول فتتبع احسنه ، وانها اجل واعلى من ان تلعب بها الاهواء ، وستثبت للعالم ان نهضتها ليست كنهضة غيرها ، وانها نهضة قائمة على اساس العلم والادب ، وان رائدها العقل والتدبير ، وانها نهضة لا يأتيتها الباطل من بين يديها ولا من خلفها تنزيلا من عزيز حكيم .. نهضة تغار عليها من هبوب النسيم ومن كل هماز مشاء بنميم ، واذا جاءها الذين يخادعون قالت لهم : انما انتم الغاوون ، الذين يقولون مالا يفعلون ، والذين هم في كل واد يهيمون ، ماذا سولت لكم انفسكم ، ان تريدون ان تفسدوا علينا نهضتنا ، ان نهضتنا لا يمسها الا المطهرون ، ان نهضتنا هي روحنا ، والروح من امر ربنا ، ولا يحرسها الا الملائكة المقربون ، اما انتم فلا امان لكم ، اين ولت اعياد نهضتكم ، واين ما كنتم به تدعون .. اتظنون انا لم نراقب اعمالكم حينما كنتم في صباح نهضتكم نائمين ؟ اتخذتم النهضة لهوا ولعبا وغرتمكم الاماني فأصبحتم في دياركم جائمين ، ليس لكم علينا من سلطان ، الله ولينا ، وهو (نعم المولى ونعم النصير)^(٤) .

حارث*

(٤) الانفال : ٤٠

(*) جريدة العالم العربي العدد ٢١٠ الصادر في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٤

الحكمة في تحريم نكاح المشركة

قال تعالى : « ولا تتكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من

مشركة ولو اعجبتكم » (١) .

ان الازدواج امر طبعى تندفع اليه نفس الحيوان بدافع غريزى يستوى فيه الذكر والانثى ، غايته بقاء النسل ويختلف الانسان عن باقى الحيوانات بدافع آخر وهو تشكيل العائلة ضمن أنظمة اجتماعية تتطور مع الزمن وذلك لايتهم الا بامتزاج الزوجين والامتزاج لايتحقق الا بالحب والمؤانسة ، والحب يتولد من الملاءمة فى الطباع والمشارب والتربية السياسية فاذا كان الزوج مسلما والزوجة مشركة اختلفا وتباينا لما بينهما من التفاوت فى المبادئ الدينية المتحكمة من نفسيهما وذلك يؤدى الى تفكيك عرى المحبة فيختل نظام العائلة وتفسد الحالة الاجتماعية التى لايمكن ان تدوم الا بدوام الالفة بين المتعاقدين ، ذلك لان المسلم لا يعترف بدين زوجته المشركة والمشركة لا تعترف بدين زوجها المسلم فلا تحترمه ولا يحترمها الا ريشما تسكن شهواتهما ، وبخلافه فيما اذا كانت المرأة كتابية لان الزوج يعترف بدينها فهو يحترمها واذا كان لا يمس عواطفها الدينية تمكن من جلبها وتسكينها والسيادة عليها ، ولقائل ان يقول قد تندفع الزوجة بدافع الحب الى اعتناق دين زوجها قلنا اذا كان دافع الحب يوصل الى هذه الغاية فمن الممكن ايضا ان يندفع الزوج الى اعتناق دينها وذلك مناف للغاية التى يرمى اليها الدين الاسلامى وهى التوحيد ، ثم ان ذلك شاذ وموهوم والقوانين لا تبنى على الشواذ والموهومات ، وقد يكون فى ذلك حكمة اخرى وهى ان المشركين اذا رأوا ما بين المسلمين والكتابين من العلائق الودية فى المأكلة والمتاجرة والمناكحة المؤدية الى التضامن والتساوى ربما تضطربهم

(١) البقرة : ٢٢١

المنافع للتقرب من المسلمين بالايمان لان المجموع المؤلف من المسلمين
 والكتابين يكون حينئذ قد كون اكثرية عظمى بالنظر اليهم والاقلية لا
 تعيش ما لم تندمج في الاكثرية او تهجر كما وقع في التاريخ ، واذا لهم
 يكن للعنصر السائد قابلية التمثيل والاندماج لا تدوم سياسته الا بالقوة
 المرعبة التي تنوء بها النفقات ، فاذا كانت حكمة تزويج المسلم بالكتابية ايجاد
 الرابطة بين الفريقين لتحكيم أو اصر التضامن في الحياة الاجتماعية فما
 المانع من تقويتها ايضا بجواز نكاح المسلمة للكتابي ، المانع هو الكفاءة التي
 اشترطتها الامم من قبل ولا تزال تشترطها في صحة العقد ، فالكتابي ليس
 بكفء للمسلمة لان المسلمة قد تقدمت في تطورها الديني وهو وقف
 دونه ، وبما ان سياسة الازدواج تقضى بسيطرة الزوج فلا يخلو اما ان يؤدي
 ذلك الى اسرها او الى انصياعها او الى التنافر المحل بسعادة العائلة ولاسيما
 اختلافهما الملحوظ وقوعه في مصير الشيء وثقفيه ، حتى ولو كان
 الزوج مسلما وقرويا والزوجة متمدنة لا يصح نكاحها من وجهة الكفاءة
 لانها ارقى منه ، فلا يتمكن من السيادة التي هي شرط في حفظ النظام
 العائلي او تكون سيادته مفضية الى اسرها وتقهقرها عن التطور الديني ،
 وكذلك الحال فيما اذا كان جاهلا وهي عالمة ولا عبرة لغناه وفقره ، اما
 الكفاءة فكان الرومان لا يجيزون تزوج الاجانب والدخلاء بالرومانيات ولو
 كانوا على دينهن ، وعني العرب بها في جاهليتهم • فكان خاطبهم يقول
 لأولياء المخطوبة نحن اكفأؤكم ونظراؤكم فان زوجتمونا فقد اصبنا رغبة
 واصبتمونا وكنا نصهركم حامدين وان رددتمونا لعلة نعرفها رجعا عاذرين •
 واشترطتها الامم المتمدنة في قوانينها فلم تسمح للاجنبي ان يتزوج بالوطنية
 ما لم يكن مقيما في بلادهم سنين معينة على اختلاف الاعتبارات ليم لهم التأدب
 بأدابهم والتطبع بأساليب حياتهم فيأتي ذلك الزواج بالفائدة المتوخاة ولثلا
 يشب الولد على غير نظامهم الاجتماعي فيكون أجنبيا عنهم هذا اذا كان
 عليا ، والكفاءة عدا كونها مشروعة فهي من الامور الطبيعية يندفع اليها

الذكر والانثى بدافع الاصطفاء المبني عليه بقاء الاصلح فالذكر
يصطفي والانثى تصطفي والاصلح يبقى وغيره يفنى ولذا نجد
الذكور من الحيوانات اجمل وافوى من الاناث . ظهرت الكفاءة
بين البشر بمظاهر شتى سائرة مع الازواق وتطوراتها والحاجة ومؤثراتها
والعنعات وتحكمها والشرائع ونزعاتها والعلم ونفوذه والسياسة وسيطرتها
والحب وهيمته والبيبة ومقتضياتها ولا ينكر ما للرجال والشهوات من
التأثير فيها فقد ظهرت بمظهر المال والجاه والنسب والقوة والشجاعة ومكارم
الاخلاق والثقافة والصلابة في الدين والجمال الى غير ذلك مما جاء في
تاريخ الانكحة وفصلته الوقائع وكلها ترجع الى غاية واحدة وهي الاصطفاء
المستند عليه بقاء الاصلح ، (فأما الزيد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس
فيمكث في الارض)^(١) ، ولم يقتصر حكم هذا القانون على الذكور بل
تناول الاناث ايضا فعندما تسابق الذكور الى الظهور بتلك المظاهر استعد
الاناث للكفاءة ومقاومة تلك المظاهر بما يتغلب عليها فقد ابدعن الجمال ابداعا
ادى الى عبادته وقال (ص) : اعظم النساء بركة احسنهن وجها واقلهن
مهر^(٢) وان الله جميل يحب الجمال ، ولم تزل العناية به مستمرة حتى
صارت تقام له الحفلات والاعياد في بلاد الغرب واصبح فنا من الفنون ولم
يكن التسابق منحصر بين النساء بالمحاسن الصورية بل ظهر بكثير من
مظاهر الرجال في العلم والثقافة ومحاسن الاخلاق لنيل احسن من تلبس
بلباس الكفاءة من الرجال ولايتهى التنازع والتسابق مادام الذكر والانثى ،
فالكفاءة من الامور الطبيعية في الزواج كما انها من الشروط الشرعية .

الحارث*

(٢) الرعد : ١٧

(٣) وفي مسند الامام أحمد بن حنبل ورد الحديث التالي :

اعظم النساء بركة اخفهن مؤنة .

(*) مجلة الاقلام - العدد الثالث - السنة الاولى شوال ١٣٤٦ هـ

الموافق نيسان ١٩٢٨ ص ٨٦

حكمة تحليل الكتابية للمسلم

وعدم تحليل المسلمة للكتابي

بكانت ولا تزال نساء العرب يشتركن في الحروب لغايات يمكننا استنباطها من آدابهم ، فالمرأة شريكة الرجل في غزواته ومما اعتادوا عليه استباحة السبايا وتخيرهن بعد ان يصططح الفريقان بين البقاء وعدمه ، وكان يغيظهم ايثار نساءهم البقاء عند الفريق الغالب ولذلك آلى على نفسه قيس ابن عاصم اذا ولدت له بنت ان يئدها كما ذكر ذلك بعض المفسرين في تفسير نوله تعالى (واذا المؤودة سئلت)^(١) . هذه هي عادة العرب ونفسياتهم ، وللحرب نفسية اخرى تنكشف في مظاهر الجيش الغازى لدى جميع الامم من الهتك والفك فى الامم المغلوبة بعد الاستيلاء وهي تتكون من دافعين احدهما الجبلية التى طبعت عليها النفوس ، والثانى الحالة العصبية التى تولدها الحرب ، والبشر متحد في الضرائر مالم تنهذب نفسيته أضف الى ذلك فعل الجمال وتأثيره فى النفوس ولاسيما فى الجيش وبالاخص العرب عند مجابتهم مالم يعتادوا عليه من المحاسن ثم السيادة التى هى حق من حقوق الجيش الفاتح ، كل ذلك من الدواعى التى دعت الى وضع حد تقف عنده نتائج هذه المؤثرات وتظهرها بمظاهر صالحة لسياسة الدين المبتنية على العدل والاحسان والافتاء من الفحشاء والمنكر والبغى . فتحليل نكاح المسلم للكتابية وضع حدا لما بيناه من العوارض السيئة ومهد الطريق لظهور المسلمين الفاتحين بمظاهر شريفة يمتلكون بها قلوب الامم المغلوبة بوقاء العفاف ويزيلون ما بها من تحلل ويتأيد لهم فتح البلاد ويستمر لهم الحكم عليها بفتح القلوب الذى هو نتيجة تأسيس روابط النسب والقرابة بين الفاتحين واهل البلاد .

(١) التكوير : ٨

وبعد ان تمكن العرب من نشر المبادئ الاسلامية ومن وضع الانظمة السياسية والادارية والاجتماعية المتوقف عليها سير نظام المجتمع بالنظر الى ما ينطوى عليه من العناصر طبقا للاسس المتينة التى بنيت عليها الشريعة الاسلامية كالعدل وحرية الاديان والمساواة نزلت الاحكام القطعية فى ذلك، ومنها « اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ممن قبلكم اذا آتيموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين » (٢) .

قبل نزول هذه الاحكام كان المسلمون وغيرهم يتوقعون حدوث تغيير فيما اعتادوه كما هى الحالة عند حدوث كل انقلاب دينيا كان او سياسيا او اداريا او اجتماعيا ولما كان دين الاسلام كافلا لهذه الانظمة والاحكام كان التطلع الى احكامه أشد ولا غرو اذا استحوز عليهم القلق لأن تغيير العادة يصعب على البشر لاسيما على غير المسلمين منهم تجاه العنصر الحاكم الذى هو اجنبى عنهم فلما جاءت تلك الاحكام اطمأنت القلوب وهدأت الخواطر فقد اشتملت على التمتع بجميع الطيبات على وجه عام فقال (اليوم احل لكم الطيبات) وذلك مما تجنح اليه النفوس وترتاح له ثم خص منها امرين لما لهما من التأثير فى الالفه بين السائد والمسدود :

• احدهما المواكلة فى قوله « وطعام الذين اوتوا الكتاب .. » •

لاشك فى ان المواكلة تستدعى المودة والالفه واذا كانت المواكلة مباحة فالمتاجرة بما يتعلق بها اولى بأن تكون مباحة وبذلك تقوى الروابط بين الفريقين لان الاشتراك فى موارد الحياة اهم عوامل التضامن الذى نظر اليه دين الاسلام نظر حكمة وسداد وغايته توطيد دعائم الامن فى الداخل اذ بدونه لايمكن التوسع فى الملك ووسط السيادة على الخارج واذا كان غير

المسلمين مشركين في النفع والضرر كانوا يدا واحدة لانهم يمسهم ما
يمس المسلمين •

الثاني من الطيبات نكاح المحصنات مؤمنات كن او كتابيات غير انه
قد شرط فيه اكمل الشروط لصيانة حقوق الزوجة مؤمنة كانت او كتابية
فقال « والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اتوا الكتاب من قبلكم
اذا آتيموهن اجورهن •• » فساوى بين المؤمنة والكتابية في هذه الشروط
ولم يشترط على الكتابية اعتناق الدين الاسلامي كالمشركة ، ولا شك في أن
تأسيس القرابة بين الفريقين ادعى الى الاندماج والاستحالة ثم بين العقاب
لمعارض هذه الاحكام فقال « ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في
الآخرة من الخاسرين » •

الحارث*

(*) مجلة الاقلام - العدد الرابع - السنة الاولى ذو القعدة ١٣٤٦ هـ
الموافق مايس ١٩٢٨ ص ١٢٨ •

حكمة التشريع

الحكمة في توريث الابوين ، التساوي بينهما في القسمة

عند وجود ابن الابن ، الحكمة في فرض السدس

لكل منهما في هذه الحالة

قال تعالى «ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين» (١) .

لكل قانون علة وأسباب تستدعي وضعه وتنفيذه تعرف بـ «الاسباب الموجبة» فاذا ارادت الحكومة وضع قانون علته وشرحت اسبابه بلائحة يقال لها «لائحة الاسباب الموجبة» تعرضها على المجلس النيابي للاطلاع عليها والبت فيها ، ولا يوضع قانون بغير هذا الشكل في الحكومات النيابية الدستورية ، ولما كانت الشريعة الاسلامية واضعة هذا الشكل الصحيح في اساس الدين وهي المأخذ والمرجع الوحيد المعول عليه لدى المسلمين في الانظمة فهي أولى بأن تكون أحكامها مبتنية على علة سديدة واسباب معقولة . فما الحكمة من توريث الابوين والتساوي بينهما في القسمة وفرض السدس لكل منهما من مال الولد كما جاء في الاية الشريفة ؟

قبل ان نتطرق الى البحث عن العلة في هذا الحكم يجب ان نذكر شيئاً مما يتوقف عليه الايضاح والتعليل فنقول :

الرضاع حق من الحقوق الطبيعية للمولود على والديه لانه لم يولد

(١) النساء : ١١

بختياره ، ولذا نجد هذا الحكم نافذا بين صفوف الحيوانات بداع غريزي دعت اليه ضرورة بقاء النسل غير انه تابع لقوانين تختلف المدة فيها باختلاف الطباع والاقاليم ومقتضيات الخلقة كما يفصله علم الحيوانات ، ولا تتجاوز تلك المدة الاجل المعلوم فعند انتهائها يستقل المولود ويستغنى عن ابويه الا البشر فالاطفال لا يستقلون بمعاشهم بعد الفطام لانهم لم يمنحوا هذه المنحة فلا يزالون مفتقرين الى رعاية الابوين وعنايتهما الى أمد غير قصير عدا افتقارهم اليهما فى التربية البدنية ، وقد اختلفت المدة فى هذه الحاجة بين الامم بحسب العرق والبيئة واحكام الزمان ففى الاقوام السامية ومنهم اليهود يستقل الولد فى الرابعة عشرة من عمره وقد جرت العادة عندهم باقامة المراسم والحفلات يوم التفلين الذى يطلق فيه سراح الولد وتنتهى مسؤولية الابوين عن عمله وكان العرب فى جاهليتهم يقيمون المراسيم للتعذير اى عندما ينبت العذار فى وجه الصغير اعلاما بحريته • اما الرومان فكان الولد عندهم لا يستقل الا بعد موت والده وكل ما يملكه الولد كان ملكا لوالده وكان يباع كالرقيق يباع شرعيا ، ثم جاء دور الاذن الشرعى وهو ان يطلق الوالد الحرية لولده فى حضور الحاكم وتبقى الروابط العائلية وحق الارشاد ثم يتعين زمن الرشد وانتهاء الوصاية بدخول الصبى فى الرابعة عشرة من عمره ، وقد وضعت الشريعة الاسلامية لذلك حدا بقوله تعالى : « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هى أحسن حتى يبلغ أشده » فسر العلماء الاشد بالحكمة أى التجربة والبصر فى الامور والمعرفة ، فسروه بالادراك والبلوغ وان يؤنس منه الرشد ، وقيل يتحقق ذلك منه فى السابعة عشرة او الثامنة عشرة من عمره وفى قوانين انكلترا وفرنسا يتحقق سن الرشد من التاسعة عشرة • فمن ذلك يظهر ان للابوين حقا على الولد يفوق الحق الطبيعى للولد على ابويه درجات ، عدا رابطة النسب التى هى بذاتها حق طبيعى موروث ، فالابوان لهما حق فى مال الولد عوض ما أعانه كل منهما فى تربيته الى

ان يستغنى عنهما كما تأيد ذلك فى قوله تعالى « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما • واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا •) • فقرن طاعته بطاعتها • ولما كان الابوان متساويين فى احتمالهما ذلك العناء كان نصيبهما من القسمة على حد سواء فاذا كان الامر كذلك فلم لم يقسم الابوان المال عند وجود الولد اى ابن الابن ، ذلك لان الابوين قاما بواجبهما الاجتماعى من تشكيل العائلة فصبحت العائلة بهما أمرا واقعيا ، ولهذه العلة لم تتبع فى القاعدة (للذكر مثل حظ الانثيين) ، اما الولد فلا يزال مكلفا بتشكيل العائلة والانفاق عليها واما اذا كان قائما بواجبه الاجتماعى قبل موت والده فبالاولى أن يكون مفتقرا الى المال •

الحكمة فى تعين السمس لکل منهما - لما كان الولد لا ينال من مال الابوين الا الثلث اذا فرضنا ان العائلة مؤلفة منه ومن والديه فهو مدين لهما بالثلث واما الابوان فكانا ينفقان على حاجتهما ثلثى ما كانا ينفقانه لولدهما فالحق ان يكون ثلثا المال لابنه ، وقال علماء التفسير ومنهم الرازى ان الابوين اذا كانا بلغا الكبر والولد لا يزال فى سن الصبا فهو أحوج منهما الى المال •

الحكمة فى تعين الثلث للام والثلثين للاب فيما اذا مات الولد ولم يكن له وارث •

قال علماء التفسير اتبع فى ذلك قاعدة (للذكر مثل حظ الانثيين)^(٣) ثم ان موت الولد من الحوادث التى قد تحدث قلعا فى سير النظام العائلى فقد يكون الولد المفقود وحيدا والام بالغة الكبر فيجد الاب حاجة فى نفسه لتجديد النكاح المؤدى الى تشكيل عائلة ثانية وذلك يستدعى زيادة فى نفقات الاب ، ومثله الام اذ من المحتمل وقوع التفرقة بينهما او التقير الناشئ من الميل والعطف الى احدى الزوجتين وان كان

(٢) الاسراء : ٢٣ - ٢٤

منافيا للعدل المأمور به وذلك لتغلب الطباع البشرية اذا لم تكن مهذبة
ولم تصلحها مبادئ الكمال ولذا قال : (فان كان له اخوة فلامه السدس)
والسبب في فرض السدس للام في هذه الحالة زوال العلة بوجود الاخوة •

الحارث*

(٣) النساء : ١١

(*) مجلة الاقلام - العدد الخامس السنة ١١ الصادر في حزيران ١٩٢٨ ص ١٦٦

فلسفة التشريع

تحریم الانکحة المعینه فی قوله تعالى « حرمت علیکم أمهاتکم ۰۰ »

غایة النکاح تألیف اسرة یکتفها الحب والوداد علی نظام صالح لتکثیف المجتمع وتکلیفه بوحدة ملتحمة أجزاءها بلحمة النسب والمصاهرة (ومن آیاته انه خلق لکم من أنفسکم أزواجا لتسکنوا إليها وجعل بینکم مودة ورحمة^(١)) (وهو الذی خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا^(٢)) وكل ما جاء به الدین الاسلامی من الانظمة فی النکاح مبني علی هذه الفلسفة تحلیلا وتحریما عقدا وفسخا ، فتحریم الانکحة فی هذه الایة له علل اقتضتها قواعد تلك الفلسفة :

الاولی - لما كانت الغایة من التزوج تأسیس المناسبة بین أجزاء المجتمع لتکون متداخلة ومتحدة انتفت الفأئدة فیما لو أحلت الانکحة المذكورة ، ولانحصرت اللحمة فی أضیق شریة ولبقيت أجزاء المجتمع متباعدة متفکكة بل قد تستحیل تلك المقارنات الی نزاع وشجار عند تعدد الذکور والاناث المتساویین والمتساویات فی الدرجة أو تعدد أحدهما کما حدث بین قابیل وهابیل عدا ما فی الامر من تشوش الانساب والرجوع الی الهمجية .

الثانیة - تزوج الاصول بالفروع اغتصاب لحقوق الفروع وعکسه تطاول من الفروع علی الاصول وهما معارضان لتکامل المجتمع والتحریم وضع حدا لهما وقمع دابر الذرائع المفضیة الی التقهقر فی حیاة المجتمع .

الثالثة - اذا انحصرت الباءة فی أفراد الاسرة فسد النسل لضعف المادة المولدة وقد تنتقل الامراض مع النطفة الی الانساب مما یؤدي الی التفسخ ، ولاسیما الاوهام والهواجس التي هی من عوارض الامراض العصبیة المتولدة من ذلك الانحصار فی مقتضى قانون الوراثة .

(١) الروم : ٢١

(٢) الفرقان : ٥٤

الرابعة - فساد النسل وانقطاعه المنبعثان من تفاوت النسبة في العمر بين الزوجين تفاوتاً يتجاوز الحد الطبيعي لان المرأة تبلغ وتعمق قبل الرجل سنين ولذلك حتموا ان يكون عمر الزوجة بنسبة اثنين من ثلاثة بالنظر الى عمر الزوج كما ان الرجل تضعف نطقته اذا بلغ السن المعين من الكبر فيفسد النسل ويهين المجتمع لما يعتريه من الضعف في البنية والنقص في المواهب والقصر في العمر كما يستفاد ذلك من مظاهر الاسر التي تحرص على نسبها فتحصر الباءة في ذرايعها وتزوج البنات من الشيخ والكهله من الصبي واكثره وقوعا في الاسر المملكة التي نقلت اخبارهم التواريخ والتي لا تزال تشهد انقضا متفسخة وهذه الحالة لا بد من حدوثها فيما لو أحل النكاح للفروع بالاصول وبالعكس ، ولا شك في انه ينبعث منه التنافر والتباين المعارضان للغاية المطلوبة •

الخامسة - اذا لم يندفع الزوجان الى الملامسة بدافع الحب المطبوعة عليه النفس توقف النسل وهو لا ينكشف في الانكحة المذكورة لحجب ليس للانسان أن يخترقها بعد أن اجتاز أدواره الاولى وبعد أن تقيد بقيود وضعت بينه وبين الشهوة البهيمية حدا فاذا تزوج بأمه مثلا كان تحت تأثير عاملين متضادين الامومة والزوجية أي الطاعة والسيادة وليس من المستطاع ان يحس الانسان بحسين ويشعر بشعورين متخالفين في آن واحد لان الحالة الروحية التي تهز الزوجين غير الحالة التي تتكون منها عاطفة البنوة والامومة وكيف تهيم الام بولدها هيام غرام وتراوده عن نفسها شغفا بعد ان حملته تسعة أشهر وربته في حجرها سنين وتمشت معه في جميع أدواره ، أم كيف تنصاع لمشيئته وهو الذي ترعرع في حضنها وآنس منها رافة وحنانا يحتمان عليه ان ينقاد لها لا أن يقودها الى حيث شاء ، والانظمة في الانكحة نتيجة تطور محصتها القرون والأعصار ، وقد كان الرومان قد سنوا في شرائعهم هذه القوانين وحرموا زواج الاخ والاخت والخال والخالة و العم والعمة و بنت الأخ كما منعوا تزوج الاب ببنته والابن بأمه واستمر هذا

الى عهد الملك (كلو) فلما عشق بنت أخيه (اغراتيم) أصدر أمرا حلل
فيه الزواج بين العم وبنت أخيه وأبقى الموانع الاخرى ولم يدم هذا التحليل
أمدا طويلا فلما جاء الملك قسطنطين أعاد التحريم ، وقد حرمت قوانين
الرومان مناكحات أخرى كتزوج الوصي بنتا تحت وصايته ♦

حارث*

(*) مجلة الاقلام - العدد السادس السنة ١ الصادر في تموز ١٩٢٨ ص ٢١٢

الأدب الجاهلي

لقد مثل الأدب الجاهلي نفسية العربي في سائر حالاته واطواره صيادا وراعيا ومحاربا وشاعرا وأميرا وشجاعا وحرا كريما ووفيا غنيا وصادقا صريحا يطوى في أديمه ملامح وأصباغ القرون •

ولمنزلة هذا الأدب من الاعتبار في المآخذ^(١) الإسلامية جعله العلماء معيارا للمفاهيم ومقياسا لتحليل أوضاع اللغة ، ولولا ذلك ما استطاع المسلمون أن يدركوا دقائق التشريع ، وقد نبه شعراء كثيرون في العهد الجاهلي بحسن السليقة وعدم الخروج عن قوانين الطبيعة والسير مع النشوء والارتقاء والطموح الى التجدد ومنهم الحلقة الوسطى بين ما غير من العهود وجيل الاسلام ، فقد كانت قصائدهم التي تحمل بذور الانقلاب تسير بها الركبان الى أطراف الجزيرة ، فتلقفها الاسماع وتردها الألسن بين المحافل الى ان تنتقل وتتحول الى فكر ثم الى مبدأ يؤمن به الناس • وأحسن قصائد هذا الدور وأعزرها مادة تلك التي كانت تعرض في الاسواق التجارية بالقرب من مكة في عكاظ ومجنة وذى المجاز ، فان الشعراء كانوا يرحلون الى هذه الأسواق أيام الحج لعرض ما لديهم من الحكم والآراء على الرأي العام ، وقد أمتاز منهم أصحاب الملقات وجلهم عدنانيون أو مجاوروهم والسر في ذلك تمتعهم بالحرية وكونهم في جو صالح لايجاد وسط انقلابي تتكون فيه عناصر الاستقلال لبعده عن منافع الدول وكيد الاجانب •

اختمرت فكرة السيادة العربية في أدمغة العدنانيين وكانوا ينتظرون ظهور مجدد يرفع راية هذا الطموح الجديد ، يسوق العرب الى المركز الذي يجب أن يتبوأوه بين أمم العالم ، وقد طمح كثيرون من رجالاتهم انهم سيكونون ولكنهم تهيؤوا الأمر ضنا بأنفسهم من الاخفاق ، ومن أشهرهم ورقة بن نوفل والعباس بن مرداس السلمي وزيد بن عمرو بن نفييل العذري وعثمان بن حويرث الأمدى وعبدالله بن جحش الازدي فان منهم

(١) المصادر •

من ارتأى ان الاصلاح لا يكون الا من طريق الدين بابطال الشرك وهجر
الاوثنان واعلان التوحيد الخالص والايمان بخالق الأكوان ، ومنهم من رأى
الاصلاح بتأديب النفس وترقية القلوب ، ومن يراه بالدعوة الى الاتحاد
والانتصار الى الضعيف ، ومنهم من كان يستوقد نار الحمية ويستشير
العشيرة الى آخر ما ورد في هذا الباب من المطالب العالية والأغراض الشريفة
التي ألت بها الشريعة الاسلامية ♦

والخلاصة ان الشعور بالحاجة في الجزيرة الى منقذ الهي يوحده
كلمة العرب ويجمعهم على الخير ونيل الحظوظ السامية كان سائدا بما في
الافكار من أخبار الكهان وشارات أهل الكتاب ولكنهم لا يعلمون أين ومتى
ومن هو ، حتى ظهر الانسان الكامل ♦

حارث*

(*) مجلة الاقلام - العدد السابع والثامن السنة ١ الصادر في أول أيلول

المكتبة العامة

(ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر

والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً) (١) •

••••• حضرة مدير « العالم العربي » الأغر :

جوابا على السؤال الوارد في صحيفتكم الغراء عدد «١٣١٠» بتوقيع
(منقّب) فيما يتعلق بتأسيس وتنظيم المكتبات العامة ، أقول قبل الخوض
في الموضوع كلمة موجزة عن المبدأ الأساسى للمغرب في جميع الأعمال :
محض الغرب بتجاربه التى تطور بها على أيدي العصور ضرورة
الاختصاص الذى قامت عليه دعائم الحضارة فى القرن العشرين ، وصلاحيه
الفرد فى القول والعمل حتى صار عضوا نافعا فى المجتمع تظهر على يده
الخوارق والمعجزات ، بخلاف الهيئات الاجتماعية التى كتب عليها ان يكون
تطورها معكوسا ، فان الفرد فيها على ما كان عليه فى أدوار البشر الأولى
لا يزال معجبا بنفسه ، معتقدا بأن له الحق ، والصلاحيه ، والاختصاص فى
كل بحث ، وفى كل عمل ، وفى كل مقام ، غير مبالي بما يترتب على ذلك
من الفشل ، والمسؤوليات ، والفتك بالمجتمع •

ان تأسيس المكتبات العامة فى هذا العصر فن من الفنون التى يتفرغ لها
طبقة من الاختصاصيين يرجع اليهم عند الحاجة فى اختيار الموقع ، وهندسة
البناء ، ووضع النظام ، وتصنيف الكتب ، ووقايتها من الجرائم التى تسلب
عادة على الجلد والورق بالمعالجة الفنية كاشباع الهواء بالمواد الكيماوية
وغيرها ، والابداع فى تصنيف الكتب وسهولة تناولها على الطالبين بالوسائط
والفهارس المتكثرة الجامعة للعلوم وللمباحث ، وصورة عرض المخطوطات
النميسة ، وتنظيم الآثار القديمة ، وانتظام محلي المطالعة والاستسناخ ،

(١) الاسراء : ٣٦

وغير ذلك مما هو ملتزم لدى الأمم التي تقيم للعلم وزناً ، وتحسب للاختصاص حساباً ، تفرضه على الاعمال فرضاً .

اذ كل بناية لا تصلح لأن تكون مكتبة عامة ، وكل موقع لا تشاد فيه المكتبة العامة ، وكل كتاب لا يستحق ان يشغل محلاً في المكتبة العامة ، وكل دارس - ما لم يكن متخصصاً في هذا الفن - لا يسوغ له أن يتصدر منفرداً برأيه الى تأسيس المكتبة العامة ، أو الى نظارتها وادارتها ، فضلاً عما اذا كان لا يدري من العلم سوى تنق من النحو والفقه وما شاكلهما .

يشترط في الموقع الذي تشاد فيه المكتبة العامة أن يكون نقي الهواء ، بعيداً عن الجلبة والضوضاء ، مصوناً من تأثير العواض الجوية ، وان تكون هندسة البناء على الاسلوب الذي تقتضيه طبيعة الاقليم من حر أو برد ، منقسماً الى الأقسام التي تتطلبها المكتبة المراد تأسيسها بالنظر الى ما يودع فيها من أصناف الكتب والآثار .

ويشترط في البناء أيضاً ان يكون جامعاً لشروط الصحة أولاً ، وصيانة الكتب من التلف في الفصول الأربعة ثانياً ، وألا يكون الضياء في محل المطالعة شديداً ولا ضئيلاً ، والا تنعكس فيه الاصوات .

ويلاحظ في تصنيف الكتب أمران : عصر التأليف ، وموضوع العلم ولما كان كل علم منقسماً الى فروع ، فلكل فرع يخص رواق ، والمخطوطات القيمة النفيسة لا تعرض للمطالعة ، وانما تفتح على مناضد مستطيلة يعلوها بارتفاع نصف ذراع غطاء من بلور مقعر السقف مستوي النجانب أو مستوى الجميع ، لئلا تمسها الأيدي وتؤثر فيها المؤثرات ، ويكتفى بالنظر اليها للاطلاع على نفاسة الخط ، وصنعة الحلي والنقوش ، اذا كان فيها شيء من ذلك ، والمخطوطات التي لا قيمة لها لا تعرض على الانظار .

ويشترط أن تكون الكتب على وجه عام مما يندر وجوده ، ومما لا يتيسر لكل أحد اقتناؤه كالموسوعات ، وأمهات الكتب ، وما يفتقر اليه

أهل البحث والتتقيب من المآخذ المهمة في مختلف العلوم والفنون العالية ،
وان ما يوجد في الاسواق وما كان ثمنه زهيداً لا تملأ به رفوف المكتبات
العامة ، لان الناس في غنى عنه •

وليست الفائدة من المكتبة العامة مقصورة على سكان البلد الذي
تؤسس فيه ، وانما يشترك فيها أفراد البشر المتعلم كافة ، ولذلك جرت
العادة أن تطبع فهارس كل مكتبة عامة وتهدى الى جميع المكتبات العامة
في العالم على سبيل التبادل ليؤمها الباحثون من كل جهة وناحية عند
الاقضاء •

أما مكتبة الأوقاف العامة :

فاني لا أريد ان أبحث في هذا الصدد عن شرط الواقف الذي هو
كنص الشارع ، ولا عن المسؤوليات المترتبة على العقب في الموقوفات التي
هي أمانة في يد الشرع والقانون ، ووديعة في ذمة المجتمع ، ولا عن
المصلحة وطرق الانتفاع بها ، أو عن الخلل الذي يتسرب الى عقيدة من
يريد وقف عين أو مال فيما لو تضعفت الثقة ، واحتل الاعتماد ، وأخذ
كل يتصرف في مال الوقف حسب شهواته ••• كما يتداول على الألسن
وعلى صفحات الجرائد في هذه الأيام ، فذلك مما يخص المراجع الرسمية
والرجال والمسؤولين ، والله من ورائهم محيط •••

وانما أريد ان أنبه الى التاريخ الذي ظهرت فيه هذه الفكرة ، والى
النتائج التي حصلت منها بعد اللتيا والتي • كان مما شاع على أثر تأسيس
اندولة العراقية ان في نية وزارة الأوقاف انشاء مكتبة عامة تضاهي مكتبات
الامم المتمدنة ، وتعيد ما كان للعراق في عهد العباسيين من مظاهر الجلال
والعظمة في تأسيس المكتبات ، كما أشار اليه معالي الوزير في مجلس
انواب •••

فأخذ الناس ينتظرون بفروع الصبر انجاز هذا المشروع الذي نوهت
به صحف العاصمة زمناً لا يقل عن خمس سنوات • وكانوا يظنون ان

الوزارة استعدت في هذه المدة لهذا الأمر استعداداً يليق بشأنه الخطير ، من احضار الاختصاصيين ، وشراء الكميات من الكتب النادرة ، والمؤلفات العصرية ، والموسوعات المتنوعة ، وأنشأت المحل الصالح وأنته بحسب ما تقتضيه المدينة الحاضرة ، وأعدت الفهارس الحديثة لمختلف طبقات العلوم والفنون ، ولم يبق الا الاذاعة بالنظر الى ما كان يترشح من البشائر ، أو التبشير حول الموضوع .

وإذا بالنتيجة مسفرة عن جمع ما في مدارس الاوقاف من كتب (الجادة القديمة) كرسائل النحو والصرف والمنطق اليوناني والفقه والحديث وغيرها مما يمتلكه عادة كل طالب من طلاب المدارس الدينية المتيسر حصوله بدون كلفة وعناء ، علاوة على ان معظمها مكرر ، وأكثرها ناص كما هو شائع ، وعن نقل هذه الرسائل من المدارس الى « باب الأغا » الى حجرة معلقة ، باردة في الشتاء حارة في الصيف ، يصعد اليها بسلم رفيع الدرجات ، من بين الحوانيت ، وأصوات الباعة والعمال ، ودوى السيارات وضجيج العربات .

وأهم ما فيها مكتبتان : مكتبة (الامام الاعظم) ومكتبة (الألوسی) ، ومحل المكتبتين في نظرنا أولى وأرجح من (باب الأغا) من وجوه :

أحدها : ان مكتبة الامام الاعظم كائنة في وسط هاديء ، منشرح ، نقي الهواء ، يطل من جهة على حديقة الكلية الأعظمية ، ومن الجهة الثانية على فسحة الجامع الواسعة ، والثاني ان هذه المكتبة ينتفع بها طلاب الكلية أكثر مما ينتفع بها قصاد المكتبة العامة ، اذ ليس فيها مما يحتاج اليه أهل البحث والتنقيب من الكتب النادرة ، أو أمهات المآخذ . والثالث ان بقاءها في محلها أضمن لحفظها وصيانتها لالتفاف الطلاب والأعظميين حولها ، ولحرصهم الشديد عليها .

ولا أدري ماذا أراد معالي الوزير بتصريحه في المجلس النيابي قائلاً : « ان الكتب الفنية الموجودة في أيدي طلاب (جامعة آل البيت) تغنيهم » مع ان (جامعة آل البيت) لا يوجد فيها كتاب واحد من الكتب

الدراسية فضلاً عن كتب المطالعة ، سوى المجلات التي كانت تحتوى على بعض المحاضرات ، وقد بلغنا أنه منع إصدارها ، وهي أكبر أثر علمي ظهر في هذه البلاد .

وأما مكتبة الآلوسی فانها في (جامع مرجان) وهذا الجامع في نفس « باب الأغا » أى في عين الشارع المراد تكوين المكتبة العامة فيه ، يبعد عن محلها المقرر بضعة أمتار ، غير ان الوصول الى هذه المكتبة أسهل على الشيوخ وغيرهم من صعود ذلك السلم العجيب لتلك الحجرة الغريبة التي لا تصلح لغير « الجايخانة » .

فبالنظر الى هذه النتيجة لو كانت الوزارة مقتصرة على النية في هذا المشروع كما اقتصر غيرها لكان خيراً من عملها الذي أفلق ورثة الواقفين ، وطلاب العلم ، وسائر المدرسين ، وأحدث ضجة لا داعي لها .

على ان العراق غني برجال الاختصاص من الأجانب الذين عقدت معهم الحكومة عقوداً لمدة طويلة بمرتبات لو لم يكن الأمل معقوداً على تعويضها بما تستفيده البلاد من اختصاصاتهم في مثل هذا المشروع وغيره لاستكثرها الناس ، فكان على الوزارة أن تستشيرهم في الموضوع لئلا تكون عرضة للنقد والتفنيد .

والآن من الممكن استدراك الأمر وتلافيه ، لأن الوزارة لم تنفق على هذا المشروع سوى أجر النقل للكتب من محل الى آخر ، كما انها قد انتهت في الوقت الأخير الى تأليف لجنة لهذا الغرض من أفاضل العراقيين الذين لا نشك في اصاله رأيهم لما لهم من الذوق السليم ، والخبرة في أصول المكتبات العامة الحديثة ، والالمام بتاريخ المكتبات العراقية ، وعلمهم بحاجة العراق الى مكتبة عامة يتجلى فيها جلال العلم في العصر الحاضر . فمن المحقق ان اللجنة المحترمة ستفكر في المشروع من جميع مناحيه ، وتعيره ما يستحقه من العناية ، فتقترح على الوزارة قبل الشروع بالعمل أرصاد ما يكفي من المال لانشاء البناء وتأثيثه بحسب تقدير أهل الفن ، وشراء الكميات الكبيرة من الكتب الضرورية ، والاقتصار على انتقاء

النوادر والنفائس من كتب الجوامع اذا لم يكن في نقلها غرض آخر ،
وتعيين من يقوم بادارتها بعد ذلك من الاكفاء ليظهر العراق في هذا الأثر
الجليل بمظهر الكمال الذي هو مبتغى كل عراقي يحب بلاده ويتمنى لها
أسمى مراتب الرقي . اذ المكتبات العامة والمتاحف من أجلى المظاهر التي
تبرز فيها مدارك الأمم وأذواقهم وقابلياتهم ، وليس العراق مبتدئاً في مثل
هذه المشاريع فقد كانت القرون الوسطى مزدهرة بمكتبات بغداد والبصرة
والكوفة ازدهاراً تناقلته تواريخ الأمم شرقاً وغرباً ، نخص منها بالذكر
(مكتبة المستنصرية) التي نقل اليها في أول يوم من افتتاحها من نفائس
الكتب والآثار ما كان محمولاً على مائة وستين جملاً ، وقيل مائتين وستين ،
عدا ما نقل اليها بعد ذلك ، وعدا ما احضره رجال الدولة والتمولون من
كتبهم تقرباً الى الخليفة .

وكان قد عين (أبو جعفر المستنصر بالله) لاثبات هذه الكتب وتصنيفها
وترتيبها على أحسن اسلوب أكبر رجال العلم في ذلك العصر كالشيخ
عبدالعزیز وولده ضياء الدين أحمد الخازن بخزانة كتب المستنصر بالله
التي في داره ، كما جاء في تاريخ الامم الشرقية والغربية .

وقد ذكر أحمد رفيق بك في تاريخه العام عند بحثه عن استيلاء التتار
على بغداد ان التتار عبروا الى جانب الكرخ على جسر من الكتب ، وقال
مراد بك الداغستاني في تاريخه : ان دجلة قد اسود ماؤها لما القي فيها من
الكتب ، وأيد هاتين الروايتين عبدالرحمن شرف بك مؤرخ الدولة
العثمانية .

وهذه الروايات وغيرها من مثلها - مهما حملت على تغلب العاطفة -
فانها لا تخلو من الإشارة الى كميات من الكتب أدت الكثرة فيها الى حمل
المؤرخين على التصوير بتلك المضامين التي يتلقاها نوعاً من المبالغة من انقطع
نظره عن الماضي ، فالعراق المكمل تاريخه بأسمى المفاخر يعز عليه أن تكون
مكتبته الوحيدة في القرن العشرين أقل شأنًا واعتباراً من مكتباته العديدة
في القرن الثاني عشر .

ولا شك ان الوزارة بعدما تحققت من عظمة المشروع ستستدرك الأمر
بلفتة الى الماضى ، وعطف على الحاضر ، ونظر بعيد الى المستقبل ، ولا تعرض
العمل لنقد الشامتين بنا ، والمشرفين على حركاتنا وسكناتنا ، والله هو
الموفق والمعين ♦

حارث*

* جريدة « العالم العربى » العدد ١٣١٣ الصادر فى يوم السبت ٢٣
حزيران ١٩٢٨ / ٥ محرم ١٣٤٧ .

حول الصيد في الماء العكر

نشر « التقدّم »^(١) في عدده [٢٥] مقالاً تحت عنوان « الصيد في الماء العكر » استوعب خمسة أعمدة ، بدون أن يشبث صاحبه « المطلع » حقيقة علمية ، أو يستطرد كلمة نافعة - ولو في معرض السباب - ما عدا التعرض للشخصيات ، وهتك حرمة العلم •• باداء يمجه الذوق ، وتأباه أساليب النشر ، وتفرد آداب اللياقة ••••• متشبع من روح الغرض الصريح الباعث على الاعتقاد بأن الحزب ومن يستند اليه بريئون منه ، وغافلون عنه ••

اذ لا يعقل ان يصدر المقال بـ « الصيد في الماء العكر » الذي هو كناية عن تشوش الادارة العامة ، والحزب هو الآخذ بناصيتها والقابض على زمامها ••

وينعت أدوار الدولة العراقية بالاهمال ، ولم يتخللها دور غير (تقدمي) •• ويستنكر التستر خلف التواقيع المستعارة ، ويخفي وراءها •• ويجزم بهلاك الأمة اذا لم يعوض بـ (التصوف) عن (علمي النفس وما وراء الطبيعة) ولا ينشلهما من الهلاك بهذا العمل اليسير ، ويشدد التكير على هذين العلمين ، والوزارة هي التي طلبت لهما مدرسا على السنة الصحف •• وينوه بتأليف لجنة وزارية لهذا الغرض في عهد الوزارة السعدونية السابقة ، ولا أصل له •• ويصم الشعبة العالية الدينية وطلابها بما لا يليق ، والوزارة الحاضرة عينت (١٧) من مجازيها في هذه السنة الى التدريس في (الكلية الأعظمية) و (الكلية الرحمانية) وثانويات المعارف وغيرها ••• ويستهن بعنوانها ويحكم بانها ليست دينية لانه يدرس فيها من العلوم ما يعارض الدين، والنظام الذي بحث عنه هو الذي منحها ذلك العنوان وهو الذي حتم تدريس تلك العلوم •• فضلاً عن تصريح معالي وزير الاوقاف لمحرر

(١) جريدة سياسية لسان حال حزب التقدم الذي أسسه المرحوم عبدالمحسن السعدون سنة ١٩٢٥ ، برز عددها الاول في ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٦ ، وتوقفت عن الصدور في الثلث الاول من عام ١٩٢٩ - عبدالرزاق الحسيني .

« العراق »^(٢) : (بأن ليس فيها سوى علوم الدين) ، ويقذف الاساتذة بما شاء له الهوى ، وهم من نخبة موظفي الحكومة أو من خيرة العلماء الذين أقرت الوزارة ترشيحهم •

كل اولئك حملنا على الاعتقاد بأن الحزب لا علم له بالمقال •• ولو علم لما سمح - على الأقل - باهانة موظفي الحكومة التي هي اهانة لها وله •• ولولا احتمال ذهاب البعض الى ان (المطلاع) تهور وتهكم على لسان الحزب لما أعرناه جانباً من الاعتبار ، ولما اخترنا كلفة الرد على مقاله المرذود بذاته بما تضمنه من التناقض ، والاختلاف ، والاستشهاد بالمدوم ، لمجرد الشغب والضجيج ، واحداث الجلبة والضوضاء عن طريق السب ، والشتم ، وانكار الواقع ، وتحريف الكلم ، واثارة العواطف ، والاعتداء على كل من له صلة بالموضوع من اساتذة ، وطلاب ، وكتب ، ونظام ، ومنهاج ، وراتب ، وعلم ، وفن ، وأدب ، وفلسفة ، ومآخذ ، ومرجع ، وعنوان ، وشخص ، وشخصية ، وحق ، وحقيقة ، وغير ذلك مما يمثل حالة عصبية غريبة •

وغاية ما وقع ان صاحب المقال حرم - لهذه الحالة وأمثالها - من راتب (٢٠٠) ربية لقاء تدريس في الشعبة العالية الدينية ، يوم كانت في نظره روضة من رياض العلم تؤتي اكلها كل حين ، ولما صرف عنها استحققت ان تهدم ، وتعلق وتقبّر مصداقاً لقوله تعالى : « فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون »^(٣) •

فأردنا ان نلفت الأنظار الى ما جاء في المقال من عنت ، ولجاجة ، وسقطات علمية يحرم نشرها على الصحف التي تعرف واجبها تجاه الرأي العام ، وبالأخص صحيفة (التقدم) التي أملنا لها موقفاً - في أداء

(٢) من أقدم الصحف العراقية ، صدر عددها الاول في ١ حزيران ١٩٢٠/١٣ رمضان ١٣٣٨ لصاحبها رزوق غنام ، واستمرت على الصدور بانتظام مدة خمس وعشرين سنة •

(٣) التوبة : ٥٨

هذا الواجب - يتناسب مع مادتها الغزيرة المستمدة من أهم المصادر العلمية والأدبية والسياسية ، معرضين عن حملات القذع ، والتهكم ، والسباب •• عملاً بقوله تعالى « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » (٤) •

فهى المدرس وحياته :

قال « المطلع » عند بحثه عن حياة فهى المدرس :
« وآخر ما وصل اليه ان صار مديراً لمدرسة ابتدائية تلك هي مدرسة الصنائع » ••

والواقع خلاف ذلك •• اذ ليس هذا آخر ما وصل اليه فهى المدرس بل أول ما ناله كما سيتضح للقارىء التيبه :

وجهت نظارة مدرسة الصنائع الى فهى المدرس براتب «١٠٠٠» قرش علاوة على مديرية مطبعة الولاية ، وتحرير الجريدة الرسمية فى اللغتين التركية والعربية المخصص لهما «١٥٠٠» قرش ، ما عدا التدريس فى المدرسة الاعدادية براتب «٣٥٠» قرشاً ، فمجموع راتبه حين كان ناظراً لمدرسة الصنائع «٢٨٥٠» قرشاً ، ولم يكن يتقاضى هذا الراتب فى ذلك الوقت مدير دار الفنون لا مدير مدرسة ابتدائية •••

ومن الوظائف التى قام بها فهى المدرس علاوة على مديرية المطبعة وتحرير الجريدة الرسمية كتابة « قلم المكتوبي » براتب «٦٠٠» قرش مع عضوية مجلس المعارف ، ومجلس اصلاح المدارس الرسمية ببغداد وملحقاتها •••

وقد تناول تدريسه فى المدرسة الاعدادية الملكية اللغات الثلاث : العربية ، والتركية ، والفارسية ، وبلغ راتبه فى بغداد فى عهد الحكومة العثمانية المقدار الذى قلما ناله أحد من العراقيين فى ذلك العهد ••• ولا يستطيع أحد أن يتجاهل المكانة التى كان مغبوطا عليها بين أقرانه وأترابه •••

ولما سافر مجازاً الى استانبول توكل عنه مصطفى فهمي بك ناظر
الديون العمومية لادارة المطبعة ومدرسة الصنائع ، ومعالي رؤوف بك
الجادرجي لتحرير القسم التركي من الجريدة والاستاذ معروف الرصافي
لتحرير القسم العربى منها ♦♦
ومن ذلك يفهم أهمية تلك الوظائف وعناية الحكومة بها لا كما أحب
أن يصورها « المطلع » ♦

فهمى المدرس في استانبول :

وبعد أن وصل فهمى المدرس الى استانبول عهد اليه في ١٦ تشرين
الثانى « ٣٢٤ » رومية بتدريس الكتابة التركية والعربية في دار الفنون
براتب « ٦٠٠ » قرش لقاء ساعتين في الاسبوع ، وليس من السهل تدريس
الكتابة التركية في جامعة تضم بين جوانحها أرقى طبقة من علماء الاتراك
وادبائها ♦

وفي ١ تشرين الثانى « ٣٢٥ » بلغ راتبه « ٢٤٠٠ » قرش لقاء تدريس
« حكمة الحقوق الاسلامية » في المدرسة الملكية العالية حين كانت احدى
شعب دار الفنون ، ولقاء تدريس « تاريخ الآداب العربية » في شعبة الآداب
من دار الفنون ♦ وألف فيهما كتابين حين لم يكن لهما أصل في التركية ♦
وفي ١ أيلول « ٣٢٦ » بلغ راتبه « ٣٠٠٠ » قرش ، وفي ١ كانون
الثانى « ٣٢٩ » بلغ « ٤٨٠٠ » من تدريس دار الفنون والمدرسة الملكية
العالية بعد استقلالها عن دار الفنون ♦ وفي ٢١ تشرين الاول « ٣٣٠ » بلغ
« ٦٦٠٠ » منها « ٣٠٠٠ » من المدرسة الملكية و « ٣٦٠٠ » من دار الفنون ♦
وفي ١٥ أيلول « ٣٣٢ » بلغ « ٧٨٠٠ » منها « ٤٥٠٠ » من دار الفنون
و « ٣٠٠٠ » من المدرسة الملكية و « ٣٠٠ » من مدرسة الواعظين العالية ♦
وفي ١٧ تشرين الاول « ٣٣٣ » بلغ « ٨١٠٠ » وذلك بزيادة
« ٣٠٠ » قرش من مدرسة الواعظين ، وفي « ٣٣٤ » بلغ « ١٠١٠٠ »
قرش ♦

وقد تناول تدريسه في دار الفنون أربع شعب : الشعبة الدينية ،
والشعبة الادبية ، والشعبة الادارية ، وشعبة الالسنة مدة «١٢» سنة . وفي هذه
المدة كان فهمى المدرس من ذوى الرأى في وضع الكيان العلمى ، وتأسيس
تشكيلاته في السلطنة العثمانية لدار الفنون والمدارس السلطانية وغيرها .
وملايمة هذا الوضع لانظمة المعارف والجامعات في الغرب ، وذلك بالاشتراك
مع أساطين العلماء من أترك و فرس وألمان وعرب في مجلس المدرسين
وغيره من اللجن والمجالس العلمية .

لم يكن مدرسا فقط :

ومن هذا يظهر ان وظيفته لم تكن مقصورة على التدريسات فقط بل
كانت للتديسات ، وسن المناهج ، واللوائح للتعليم .
فقد اوفدته الحكومة الى سورية لحل المشاكل الحاصلة بين الحكومة
وبين المؤسسات العلمية في دمشق وبيروت ومن ضمنها مدرسة الحقوق
والصنایع والكلية الوطنية في بيروت والوقوف على وضع الكلية الامريكانية
وسائر الكليات العلمية والدينية غير الاسلامية ، ومدرسة الطب في الشام ،
وتدقيق حالة المعارف في القطر السورى بوجه عام .
واسندت اليه عضوية المجلس المنعقد في دار الفنون والمؤلف منه ومن
سليمان أفندى البستاني ناظر النافعة ، وأمر الله أفندى ناظر المعارف ، ونعيم
بك بابن استاذ الفلسفة ، وسامى سليمان باشا مدير دار الفنون ، وأحمد
أقاييف بك استاذ التاريخ ، لحل الاشكال القائم ضد التدريسات في
الولايات العربية وانتقاء كتب صالحة من مؤلفات مصر للعلوم التى تدرس في
مدارسها السلطانية حين أرادت الحكومة جعل لغة التعليم فيها عربية .
وعهد اليه بعضوية اللجنة المؤلفة منه ومن صالح زكى بك مستشار نظارة
المعارف ، والشيخ عبدالعزيز شاويش ، ونعيم بك بابان لنقل « مه تود
برليج » الى اللغة العربية .

وتقلد عضوية اللجنة المؤلفة لتدقيق مناهج التدريسات الابتدائية والسلطانية وانتقاء كتب صالحة لها سنة ٣٣٢ ، و ٣٣٣ ، و ٣٣٤ ، و ٣٣٥ .
ولا يخفى أن هذه الاعمال لا تعهد الى مدير مدرسة ابتدائية كما ذكر « المطلع » ♦ ♦

في عهد الحكومة العربية :

وفي ١ تموز (٣٣٥) أجاب دعوة الحكومة العربية في الشام ، وغادر استانبول مجازا - لمدة ثلاثة أشهر - وفي ٢٤ أيلول « ٣٣٥ » سافر الى باريس ضمن الوفد السوري ♦

وفي ٢١ آب ١٩٢١ ميلادية تقلد رئاسة الامناء في البلاط الملكي براتب « ١٥٠٠ » ربية ، وفي ١٣ نيسان ١٩٢٤ ميلادية تعين أمينا لجامعة آل البيت براتب « ٩٠٠ » ربية ♦

وإذا اضيف الى ما تقدم تتبعاته العلمية في فرانسة ، ولوندره ، وأسبانيا ، وإيطاليا ، نحو سنتين تبين أن فهمى المدرس لا يستحق الاهانة التى وجهها اليه « المطلع » ♦

لم نفهم :

وأما الاستدراك بقوله (اللهم الا صيرورته - بعد خروجه من منفاه - مدرسا للمعاني والبيان في زمن (الاتحاديين) ذلك العمل الذى هو من جملة أعمال اولئك الذين قضوا على الحكومة العثمانية بها) ، فلم نفهم منه العلاقة بين (المعاني والبيان) وبين القضاء على (الحكومة العثمانية) ، وفهمى المدرس لم يدرس (المعاني والبيان) بل « المطلع » هو الذى كان يدرسهما في الجامعة ، فهل صار - بعد انفصاله - كل علم يتراءى له على شكل « المعاني والبيان » ؟

ثم لنفرض ان فهمى المدرس تعين لتدريس « المعاني والبيان » فى زمن « الاتحاديين » ولنفرض ان « المعاني والبيان » من جملة العوامل

المسؤولة عن القضاء على « الحكومة العثمانية » أو لم يتعين غير فهمي المدرس من رجال الحل والعقد في يومنا لنيابة البرلمان العثماني ، أو لوظيفة أخرى في زمن « اولئك الاتحاديين »؟! وهل الوظائف العلمية هي التي قضت على الحكومة العثمانية ، أم الاعمال السياسية ؟ وما هي وجهة النظر بين الشعبة الدينية والحكومة العثمانية ، وهل كان البحث عن الجامعة والشعبة الدينية ، أم عن الاتحاديين والدولة العثمانية ؟

على أن فهمي المدرس ساقته جمعية الاتحاد في بغداد الى المحكمة « حين جاء لصلوة الرحم » على أمر نجا من عقوبته في ذلك الوقت وشاءت الاقدار أن يدوق وبال أمره في هذا العهد بأنواع الاهانات المستمرة التي لا داعي لها سوى نيله الراتب الذي يتناوله في هذا اليوم كثير ممن لم يكونوا شيئاً مذكورا يوم كان يتقاضاه وزيادة ♦♦

وكذلك لم نفهم الغرض من الغمز بقوله - بعد خروجه من منفاه - ♦♦ نعم ، نفى المدرس الى (ردوس) بالارادة السنية في ٢٥ تشرين الاول « ٣٢١ » رومية ، بعد أن حجر عليه في داره أربعين يوما ، وسجن في قلعة (ردوس) ثم اطلق سراحه في الجزيرة وعين مديرا لمطبعة الولاية ومحررا لجريدة « جزائر بحر سفيد » الرسمية ، ولكنه في ٩ تشرين الثاني « ٣٢٢ » رومية اعيد بالارادة السنية أيضا الى عين الوظائف التي كانت له في بغداد ، والتي سبق ذكرها ♦ ولم يتعين لتدريس « المعاني والبيان » الذي قضى على (الحكومة العثمانية) ، ولا كان خروجه من منفاه في زمن « الاتحاديين » ♦

وهل للغمز داع وشكل ذلك النفي وتلك الاعادة يدل دلالة صريحة على أن فهمي المدرس كان من الرجال الذين يعتد بهم ويقام لهم وزن ، والا فما الداعي الى الحجر عليه ، واجلائه الى ما وراء البلاد العربية ، الى جزيرة نائية ، مسجوناً في قلعتها المحاطة بأربعة أسوار ، اذا كان مركزه لا يتعدى مديرية مدرسة ابتدائية؟! ولماذا يكون النفي عزاً لغيره وذلاً له؟! ♦♦

الرجم بالغيب

وكما ان « المطلع » غير مطلع على حياة فهمي المدرس فكذلك غير واقف على حياة العلم وسيرها في (جامعة آل البيت) فضلا عن الجامعات الاخرى ، كما يستبان من استشهاده رجما بالغيب ، ولا يفرق بين (الجامع) و (الجامعة) ، وبين (حكمة التشريع) و (الفلسفة الاسلامية) ومصادر اللغة من مصادر الدين والفلسفة وبين مناهج الجامعات والتأويلات •

فقد قال عند بحثه عن النظام الذي وضعته الوزارة العسكرية : « ولكن فهمي المدرس الذي عد هذا العمل ضربة عليه وانتقاصا لمقامه لم يلتفت الى النظام فبدلا من تدريس الفقه الاسلامي المقرر في النظام تدريسه أبقى تدريس مجلة الاحكام العدلية بحجة انها من الفقه » •

والواقع يخالف ذلك ، فالنظام لم ينتقص مقام فهمي المدرس ، بل ايده ، وفهمي المدرس منفذ لاحكام النظام بحروفه ، و (الفقه الاسلامي) لا وجود له في النظام ، وانما المنصوص عليه هو (الفقه الحنفي قسم المعاملات) ، وكون (المجلة) ليست من الفقه فمنطق حديث لا يعرفه الا (المطلع) ولعله لم يطلع على المادة الآتية من النظام :

(يستمر على تدريس الفقه الحنفي - قسم المعاملات - الى أن تنقل مدرسة الحقوق الى بناية الجامعة ، وعندئذ يرفع هذا الدرس ويذهب طلاب الشعبة العالية الدينية الى مدرسة الحقوق لاستماع المحاضرات في الدرس المذكور) •

وهل يدرس في مدرسة الحقوق من الفقه الحنفي - قسم المعاملات - سوى المجلة ؟ وكيف غاب عن فكر (المطلع) أنه هو أحد الموقعين على تدريس (المجلة) من الفقه الحنفي - قسم المعاملات - ؟

ومن الشعب الذي لا وجه ولا اثر له من الصحة قوله :

« وهكذا قل عن بقية الدروس التي لا تتجانس بين الشعبة الدينية وبينها فإنه ابقاها أستنادا على قرار لجنة المدرسين - على زعمه - والكل يعلم ان اللجنة هو فحسب وان ما قرر تدريسه لا علاقة له بالعلوم الدينية ولا تماس له بها » •

كل ذلك لم يقع ، اذ لا يدرس في الشعبة الا ما هو منصوص عليه في النظام ، وكيف يعقل ان يتفق اساتذة الجامعة وأمينها على نقض أحكام النظام ، وأغلبهم من الحقوقيين ، وبينهم من منفذى القوانين بالفعل؟! ولا نظن ان (المطلع كان شاعراً بما يقول عندما أسند الى الاساتذة والأمين هذه الخرافة ، التي انتقضت بها دعواه بعدم كفاءة فهمي المدرس ♦♦♦ لأن هيمنته على مجلس المدرسين وتصرفه فيه حسب ارادته والتغلب على القوى مما يجعل فهمي المدرس آفة من الآفات ، لا مدير مدرسة ابتدائية ، فذلك لا يتأتى الا بالمقدرة الخارقة والعلم الغزير المقنع ♦♦ ولا ندرى كيف فات «المطلع» هذا التناقض وهو المدرك النقاد!؟

ولقد تمادت به الحالة العصبية حتى استنكر تدريس «تاريخ الأديان» و «علم النفس» و «علم ما وراء الطبيعة» و «علمي التربية والاجتماع» الداخليين تحت قوله (وأمثال ذلك) ، كما استنكر تدريس «التاريخ العام» وهو غير موجود في منهاج الشعبة ، وانما الموجود من أقسام التاريخ : التمدن الاسلامي ، والعرب قبل الاسلام ، والعراق ، وذلك لعلاقة بينها وبين الدين الاسلامي ، وهو من الموقعين على ضرورة تدريسها ♦

ومما يدل على عدم تفريق «المطلع» بين «الجامع» و «الجامعة» قوله : «وههنا أريد أن أسأل من حضرة ابن الحارث سؤالا وهو انه هل يستطيع أن يثبت لبي وجود علم النفس وعلم ما وراء الطبيعة في الشعب العالية الدينية - أى اللاهوت - في «جوامع الغرب» ؟ لاشك ان الجواب يكون سلباً» ♦

نعم ان الجواب سلب «!» لأن «الجوامع في الغرب» انما بنيت لاقامة الصلاة فقط ، ففي باريس جامع ، وفي لندن جامعان وهى خالية من الشعب الدينية - أى اللاهوت - «!» ♦♦

وازيدة علماً بأن « الجامع » في باريس يتصل به مقهى تعزف فيه
آلات الطرب بالألحان الشرقية عوضاً عن المدرسة ، أو الشعبة ♦♦

أما اذا كان السؤال عن تدريسها في الشعب الدينية من « جامعات
الغرب » فنجيبه بدلاً عن « ابن الحارث » :

بأن العلوم التي تحمل عليها ونفى علاقتها بالدين تدرس بأجمعها ،
في الشعب الدينية من « جامعات الغرب » لا في « جوامع » مع كثير مما لم
توفق الى تدريسه جامعة آل البيت ، وان كان في ريب مما نقول ، فانا
نعرض عليه المناهج لئلا يعود الى مثل هذه الزلات التي تكشف عن جهلنا
وعدم رشدنا ساعة تهتف الأمة بكفاءتها ، وهو من المتعهدين بالدفاع عنها ♦

ومما يشعر بتمادي الحالة العصية قوله : « وطى درس التفسير ،
والحديث ، والكلام ، والتصوف » ، لا نرى حاجة الى اثبات وجودها لأنه
اعترف بتدريسها في عين المقال بقوله : « والا فان شعبة يقال لها شعبة دينية
لا يدرس فيها من الحديث والتفسير والكلام وفلسفة اختلاف المذاهب الا
النزر » ♦

فقد اعترف بتدريسها في هذه العبارة ، ونفى تدريسها في التي
قبلها ♦♦ فهل يتردد القارئ بعد هذا التناقض في ان (المطلع) غير شاعر
بما يقول ، أو انه لم يقصد سوى الضجة والشغب؟!

ومهما كان الشأن فان الحديث والتفسير يدرس منهما في الاسبوع
ثمانى ساعات ، ومن (الفلسفة الاسلامية) ثلاث ♦♦♦ و (الكلام) هو
(الفلسفة الاسلامية) ♦ و « التصوف » لم ينص على تدريسه النظام الجارى
به العمل ♦

ومما استشهد به رجما بالغيب قوله : « لأن منهج الشعب الدينية في

أمريكا والمانيا ينفي ذلك « يشير الى علم النفس وعلم ما وراء الطبيعة ♦♦
وهذا من الغرابة بمكان ، فرجل يجهل منهج الشعبة الدينية التي كان
مدرسا فيها ، كيف ألقى عصاه في أمريكا ، واستقر به النوى في المانيا
وتحقق من ذلك النفي ، وهو لم يفارق مسقط رأسه ، ولا يعرف لغة
أجنبية ♦♦؟! ولم يذكر أية جامعة من جامعات « أمريكا » وأية جامعة من
جامعات « المانيا » وهي تعد بالعشرات ♦♦ كما انه لم يذكر السبب ، وهذا
ما يقال له خبط عشواء ♦♦

ومن الأدلة على انه لا يفرق بين مواضيع العلوم ، وانه لم يثبت من
مصادرها قوله على سبيل التهكم : « يذكر طي فلسفة التشريع الاسلامي
من الدروس وان السامع أو القارئ لهذه الفقرة يظن ان هناك درسا يقال
له فلسفة التشريع الاسلامي حالة انه لا يوجد لهذا أثر لأن ما يسميه ابن
الحارث بفلسفة التشريع الاسلامي ما هو الا أبحاث تقتضب من كتاب الملل
والنحل وقاموس لسان العرب فليس هناك درس لفلسفة التشريع
الاسلامي » ♦♦

انا لا ندري ما قصده « ابن الحارث » لكن النظام نص على
تدريس هذا العلم بعنوان « حكمة التشريع » والمعنى واحد ♦♦ وموضوعه
بيان العلل والاسباب الموجبة للتكاليف الشرعية من عبادات ومعاملات بطريقة
تنطبق على النظم الاجتماعية عقلاً ونقلاً ♦♦♦

وكتاب « الملل والنحل » لا علاقة له بحكمة التشريع ، وانما له بعض
العلاقة بالفلسفة الاسلامية كما يفهم من اسمه ♦♦ والفلسفة الاسلامية
منصوص عليها في النظام ♦♦ و « المطلع » مع انه من الموقعين على ضرورة
تدريسها لم يفرق بين حكمة التشريع والفلسفة الاسلامية ، وكما انه التبس
عليه الأمر في جعل كتاب « الملل والنحل » مأخذاً لحكمة التشريع فكذلك
تورط في جعل « لسان العرب » مصدراً له ، وهو كتاب يبحث عن اللغة

وشيء من تاريخها وفلسفتها ، وبعض قواعدها من نحو وصرف على سبيل
الاستطراد

★ ★ ★

وزيادة للإيضاح نقول :-

ان حكمة التشريع تتوقف معرفتها على معرفة النظم الاجتماعية من
اقتصادية ، وادارية ، وسياسية ، وصحية ، وتشريعية ، الهية ووضعية ،
مع مقارنة الأحكام بالادوار التي قطعها البشر في حياته منذ تسنى له وضع
القوانين والعمل بها الى يومنا هذا ليثبت ان الاحكام الشرعية تتمشى مع
البشر على ممر القرون - مهما تطور - كما نعتده نحن معاصر المسلمين ،
ولذلك يحتم تدريس « علم الاجتماع » في الشعبة الدينية ، لأن الذي
لا يعرف شيئاً عن العلوم الاجتماعية ، لا يستطيع ان يدرك فلسفة التشريع ،
كما وقع لحضرته وهو من المشرعين ♦

و « الفلسفة الاسلامية » تبحث عن اختلاف الفرق والمذاهب ؛ اسلامية
كانت أو مسيحية أو يهودية ، وعن الاسباب التي أدت الى ذلك الخلاف
من سياسة ، أو فلسفة ، أو ترسبات من العقائد الدينية التي تقدمت الاديان
السماوية المنتقلة بالارث والرسوخ والاقتبس ، وتتوقف معرفتها على معرفة
« علم النفس » وذلك من وجهة تحليل نفسيات المتمذهين بتلك المذاهب
لارجاع كل عنصر الى أصله ، وتتوقف أيضا على معرفة « تاريخ الاديان »
الذي ينكشف به سر تمثل العقيدة الدينية في الفكرة المذهبية ، ولذلك
يستحيل العلم بالفلسفة الاسلامية بدون هذين العلمين أي « علم النفس »
و « تاريخ الاديان » ♦♦♦ ومن لم يدرسهما لا يتسنى له معرفة نفسه المتأثرة
بالاديان من حيث لا يدري و « من عرف نفسه فقد عرف ربه » ♦

وأما « علم ما وراء الطبيعة » فهو علم لاهوتي بحث ، لأنه مع اعترافه

بجميع ما اكتشفه العقل من الحقائق العلمية والفنية التي لمسها الانسان بيده من بين أحشاء الطبيعة يحذر من الوقوف عندها والقطع بها ، لئلا يتورط الانسان في معرفة الخالق ، ومهما تصرف الانسان في الطبيعة وهيمن عليها ، فمن مبادئ هذا العلم مواصلة التقيب فيما وراءها لاعتقاده بأن وراء الطبيعة سرّاً عن الاله غير ما وصل اليه العلم ، مستدلاً على ذلك بما لايزال يظهر للعيان من أسرار الطبيعة • فهذه العلوم التي يتوقف عليها النفوذ في حقايق الدين ، ولا نقصد به الدين الاسلامي وحده بل جميع الأديان ، لا تستحق استهانة « المطلع » واستخفافه بها من حين لآخر ، وهي كما ذكرنا من العلوم المحتم تدرسيها في الشعب الدينية كافة ، ولم يحرم علماء الدين هذه العلوم ، بل فرضوا معرفة كل علم وفن - من دون استثناء - لمن يعرض نفسه لتفسير القرآن ، ولكن « المرء عدو لما جهل » •

ثم انه استنتج من بين الاوهام والاغلاط بذلك الضحيج حكما عجيبا فقال : « وهلا يحكم القارئ بعد هذا على صاحب المقال بأنه ممن تهمة منفعة شخصية ولو هلكت الأمة » •

عفا الله عن « التقدم » وغفر « للمطلع » ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، لقد أحوجنا راقم الحروف الى ما يتأني الذوق السليم ، من اشغال الصحيفة بالبديهيات والاسراف في الوقت ، وازعاج الجمهور بمحادثة أبرد من (كانون) ••

فنجيه مكرهين عن الوهم الغريب ، والغلو البالغ حد النهاية ، والولع بالقذف والسباب :

بأن صاحب المقال ليس هو أمين الجامعة ، وأمين الجامعة هو من خادمي الأمة ، لا من هادمي مجدها ، وليست الشعبة الدينية مدعاة لهلاك الأمة ، ولا الأمة جاهلة عوامل الهلاك ، وكما ان الشعبة لم تكن مهلكة حين كان مدرسا فيها فكذلك لا محل للتخوف منها ، وهي هي ••

وعلق على هذا الحكم العجيب تكليفاً خارجاً عن صلاحيته ليوهم أنه يأمر وينهى على لسان الحزب فقال :

(إذا كان صاحب المقال يريد النفع العام وخدمة الأمة فليفظ يده منها) ♦ يظهر أنه رعش واضطرب عندما كتب هذا الاخطار العنيف فرسم النفص بالظاء وهو من الناطقين بالضاد ♦♦

والجواب : لا ينفص أمين الجامعة يده الا اذا شاءت الحكومة ♦♦♦ لأنها أعرف بمصلحة البلاد وبالخطر الذي يتهدها من دروس علم النفس ، وما وراء الطبيعة ، والاجتماع وتاريخ الأديان المقرر تدريسها من جانبها ، على اقتراح اللجنة الوزارية التي بحث عنها ♦

الدين النصيحة :

فصيححتنا له أن يكف عن الازعاج بما لا يزال يردده من (وجود علوم في المنهاج لا تجانس بينها وبين الدين) ويمسك عن التحمل والثورات على الدين المقصود بهما تجريده عن (المعقول) الأمر الذي ينبذه الدين ، ويستقيث منه المسلمون اليوم وقبل اليوم ♦

ورجأؤنا من « التقدم » أن يعهد بالمباحث العلمية الى الاختصاصيين العارفين بأداب البحث والمناظرة الذين لا تدفعهم الحفيظة الى الشذوذ ، والتعرض للحثييات في مواضيع تتطلب الماماً واحاطة ، لا قدعا وسبابا ♦

الخاتمة :

ولاقتناع الرأي العام بأن لا صحة لما بنى عليه « المنطلع » ضجيجيه وثورته القلمية نشر المنهاج الذي وضعته الوزارة العسكرية الأخيرة على اقتراح اللجنة الوزارية التي اعتمدت على كفاءتها كما اعتمدنا ولا نزال نقر بفضلها : (المادة السادسة - تدرس في الشعبة العالية الدينية العلوم والفنون الآتية : التفسير ، الحديث ، الفقه الحنفي - قسم المعاملات - الوصايا والمناكحات ، أصول الفقه السني ، أصول الفقه الجعفري ، الفلسفة

الاسلامية ، حكمة التشريع ، تاريخ الأديان ، علم النفس وعلم ماوراء الطبيعة ، علم الاجتماع والتربية ، الخطابة والمحاضرات ، تاريخ الآداب العربية ، تاريخ التمدن الاسلامي ، والعرب قبل الاسلام ، والعراق ، أحكام الاوقاف وأصول ادارتها ، الفرائض) •

وقد استخرجناه من النسخ المطبوعة المنتشرة سنة ١٩٢٧ •

الاصلاح الحقيقي :

وبهذه المناسبة نلفت نظر « المطلع » الى ان هذا المنهاج لم يستكمل المادة العلمية التي تلتزمها الشعب الدينية في مهاجمها من الجامعات الاخرى كجامعة استانبول وغيرها ، وينقصه العلوم الآتية : تاريخ الفقه ، تاريخ الحديث ، تاريخ التفسير ، تاريخ المذاهب ، تاريخ اديان العرب ، تاريخ الفلسفة ، روح الاجتماع وفلسفة الاديان •

والسبب في تهادي ذلك النقص فقدان من يقوم بتدريسها في العراق وان استدعاء اختصاصيين لها من الخارج يتطلب نفقة زائدة • فبدلا من أن يهدم الشعبة الدينية ، ويغلق بابها ويقبرها لو نادى بالاصلاح من ناحية الاكمال لا من وجهة الحذف والهدم ، وسعى لدى اللجنة المالية - وهو من ذوى النفوذ على ما يظهر من مقاله - وراء تزييد نفقتها التي لا تتجاوز - على ما بلغنا - (٥٠) ألف ربية ليتسنى لها تحقيق هذه العلوم وتأسيس مكتبة - حرمت منها الجامعة منذ بداية تأسيسها - وتزييد رواتب الطلاب ، واحداث شعبة الآداب ، وتزييد مدة التعليم - اذ لا يصح قصر التعليم العالي على ثلاث سنوات اذا كان التعليم الثانوى لا يتجاوز الاربع - وتزييد ساعات بعض العلوم كعلم التربية وما وراء الطبيعة وعلم النفس وتأثير بهو المحاضرات الذي لا يوجد فيه كرسى واحد منذ تأسست الجامعة ، وغير ذلك مما لا يتسع له نطاق الثقافة التي لا تتم للعراق نهضته العلمية الا بها ، لظهر بمظهر العلماء العصريين ودعاة الاصلاح الحقيقيين الذين يلتفتون

يمينا وشمالا ، واذا بدت له علائم الفوز في سعيه وكان فهمي المدرس
« حجر عثرة في سبيل هذا الاصلاح » - كما نم عنه المقال - فاننا نتعهد
لحضرة « المطلع » الحضيف بازالة وجوده بدون ضجيج وهياج وبدون
ثورة قلمية و « الله على ما نقول وكيل »^(٥) « ولا ينبؤك مثل خير »^(٦) ♦

خير*

(٥) يوسف : ٦٦

(٦) فاطر : ١٤

* جريدة « العراق » العدد ٢٦٤٧ الصادر يوم الجمعة ٢٨ كانون الاول
١٩٢٨م الموافق ١٤ رجب سنة ١٣٤٧هـ

حرية النشر ومقال (المطلع)

ليست الغاية من (حرية النشر) تجريد الأقلام على الحق والحقيقة ،
ومسايرة الأغراض والأهواء ، ورفع الصوت بالقذع والسباب ، وشن
الغارات على الأحياء والأموات ♦

وانما الغاية منها نشر الفضيلة ، وبث الحقيقة ، والدلالة على خير
المجتمع وصلاحه ♦♦♦

ولذلك يُشترط على من يتعهدا ما يُشترط على المعلم والمؤدب
من العلم ، والمقدرة ، والتحلي بمكارم الأخلاق ، والمزايا السامية التي
تكون من مواهبه قابلية وزن الكلمة بميزان العقل والحكمة ♦ وتقيدت
الصحف بالمدير المسؤول ، والتزمت ادارتها باللجان الاختصاصية
المسؤولة ، ونيط أمرها بمدير المطبوعات ، ووضعت نظمها على أساس
المصلحة العامة ، ومحاسبة نفسها بنفسها ، ومراقبة بعضها بعضا ، لئلا
ينكشف من المجتمع ما يشوه مظهره التي تمثلها هي أولا
وبالذات ، لأن (الصحيفة) لا تعبر عن الفرد ، وانما تعبر عن المجتمع
وعقليته ونفسيته ♦

ولولا هذه الملاحظات الدقيقة لما أصبحت (الصحافة) من أصعب
المهن وأدقها ، وأجلها شأنا ، وأعظمها تبعه ، لا يتناولها الا الاساطين من
الساسة ، والعلماء ، والمفكرين ، وهم في كل قطر من الاقطار المتمدنة
أفذاذ قليلون ، ولما انتظمت في سلسلة المواد الحيوية ، حتى صار الفرد
يفتقر اليها كما يفتقر الى الطعام والشراب ، ويحرص عليها كما يحرص
على أنفاس الحياة ، ويغار عليها كما يغار على المحارم والمقدسات ♦

فالغاية من (حرية النشر) تمثيل المجتمع بما يتجمل بين الأمم من المظاهر
العلمية والأدبية والسياسية وغيرها مما تمتاز به حياة الانسان في القرن
العشرين ♦

فأيا بلد حللت من البلاد الحرة مثلت لك (الصحف) حياة الوسط
 بما تنطوي عليه من جمال الحضارة وجلالها ♦
 وما من محل الا و (الصحف) أول زينة يقع النظر عليها من بين
 الزخارف والمستطرفات ، وانى التفت رأيت صحفاً منتشرة ، وصحفاً
 مرفوعة في الغداة والعشي ، وآناء الليل ، وأطراف النهار ، والمجتمع
 بأسره من الملك ورئيس الجمهورية الى العامل والصانع والخدم ، الى
 البائس والمعتز ، كل اولئك من حملتها والذابين عن كيانها ♦
 فكأنما (الصحافة) - في هذا العصر - صفوة ما في الحياة من نعيم ،
 وسعادة ، وعظمة ، وكبرياء ، ولذلك لقبوها ب (صاحبة الجلالة) ♦

المقارنة :

هذه نبذة من حياة (الصحف) في البلاد الحرة عرضناها للمقارنة
 بينها وبين المقالين المنشورين في صحيفة « التقدم » عدد (٢٥) وفي
 صحيفة (العراق) عدد (٢٦٦٢) بتوقيع (مطلع) في الاولى و (المطمع)
 في الثانية ، عملاً (بحرية النشر) التي فسرها صاحب المقالين كما شاء ♦

الأدب والاستهتار :

يذكر القراء جوابنا الذي لم تتعد فيه حدود البحث والمناظرة ،
 والدفاع عن الحقيقة بما يناسب المقام ، ويليق بأداب (الصحافة) ،
 ويذكرون مقاله المعنون (الصيد في الماء العكر) الذي ملأ خمسة أعمدة
 من (التقدم) بعبارات جوفاء ، يستنكرها الأدب ، وينفرها الذوق السليم ،
 ولو لم يكن فيه سوى العنوان لكفى للتدليل على حقيقة الكاتب ، ونفسية
 المقال ♦

وكنا نحسب ان قد خفت ضعيفته ، وهدأ روعه ، واذا به يذيع في
 صحيفة (العراق) مقالا أوسع تجاوزا للحدود من الأول ، لحمته
 الاستهتار ، وسداه التحرش بكرامة الأحياء والأموات ، والسخرية من
 الرأي العام ، وقلة الرعاية لما تفرضه الآداب العمومية على الكتّاب الذين

يريدون التحدث الى الناس في مباحث الاصلاح ، والعلم والفلسفة
والدين ♦

على ان القارئ لا يجد لهذه العناصر مفهوما في ذلك المقال غير
الاستطراد بها الى القذف والسباب ♦

نحن نعلم ان سهم المغرض قد يطيش به الى ما وراء حدود العقل ،
والمنطق ، ما لم يكن من الطبقة التي يتقحم على مقاعدها (صاحب المقال)
وفي موقف غير موقف (الصحافة) ♦

★ ★ ★

المنكرات :

فما جاء فيه من المنكرات قوله : « قد سألت أحد طلبة المدرسة
الملكية العالية في ذلك الوقت ومن كبار موظفي حكومتنا اليوم عن مدرس
حكمة الحقوق الاسلامية في المدرسة المذكورة في التاريخ المذكور ، فقال
هو رجل من علماء الأتراك الذين يلبسون العمامة واسمه محمد فهمي
أفندي وهو مفتي استانبول حالا ، فقلت له ان فهمي المدرس يزعم انه
مدرس هذا الفن في ذلك الوقت فقال ربما كان ذلك في عالم الخيال
والاشباح - (كذا) - لا في هذا العالم ، وحسبك بالرجل المسؤول أمانة
وصدقا لا يرتاب في صدقه أحد ، واذا تحقق الكذب في بعض ما ادعاه
ونسبه الى نفسه زال الاعتماد والتعويل على كل ما جاء به » ♦

وعلى أثر هذه (الرواية) التي تبرع باذاعتها على الرأي العام بدون
أن يحسب لها حسابا ، سئل فهمي أفندي مفتي استانبول أن يبين الحقيقة
فأجاب بالبرقية الآتية :

بغداد ده مدرس زاده فهمي أفندي يه

« ملكيه ده (حكمت حقوق اسلاميه) تدريسكزه شهادتم مكتب

قيديله ثابتدر » ♦

استانبول مفتيسي

١٨ كانون ثاني ١٩٢٩

فهمي

تعريبها :

الى فهمي أفندي آل المدرس في بغداد
« ان شهادتي لكم بتدريسكم (حكمة الحقوق الاسلامية) في الملكية
ثابتة بقيود المدرسة » ♦

مفتي استانبول

١٨ كانون الثاني ١٩٢٩

فهمي

فمن هذه البرقية ومن قياسه المتقدم أفلا يحكم القراء بأن (المطلع)
قد حكم على نفسه بنفسه بما قاله في الفقرة السالفة من « الرواية » ؟
وفي هذا الموقف أراني مضطرا الى أن أسأل عن « الحصانة النيابية »
هل تتناول هتك الحرمات بمثل ما جاء في تلك الرواية ؟

التطفل :

وقد تطفل سائلا :

« فهلا صرح بسبب نفيه وان كان معروفا عند المطلعين زمن المرحوم
السلطان عبدالحميد حتى يبين الناس حكمهم له كما انه يزيل بعض ما
علق في الأذهان عنه » ♦

أى أذهان ، وأى ناس ، ومن هم «المطلعون» ؟ أمنهم بطل (الرواية)
ذلك « الموظف الكبير في الحكومة العراقية » أم «بطل الفتنة» ، أم هنالك
« عصابة » تحاسب على ما حدث في زمن المرحوم « عبدالحميد » ؟!
وقد طويت تلك الدفاتر ، وقلب الدهر ظهر المجن له ، ولعقبه ، ولآل
عثمان ، وتغيرت البلاد ومن عليها ، وانتهى الأمر في البلاد التركية
والعربية الى الشكل الحاضر من الحكم ؟!

وقد بينا في مقالنا السابق ان نتائج تلك الحادثة آلت الى نقل الوظيفة
من بغداد الى « ردوس » ، وختتمت بالمساعدة على العود الى « بغداد » بناء
على نتيجة التحقيق الذي قامت به اللجنة الموفدة من «المابين» لهما الغرض ،
وعوقب الواشون عقابا صارما كما عرفه التاريخ ♦

وليست هذه الحادثة هي الاولى من نوعها ، وما له والأمور التي
لا تصل اليها مداركه ، ولا يبلغها علمه ؟!
وانا لنعجب من الكاتب كيف يستطرق المواضيع بلا علم ، ولا هدى ،
ولا كتاب منير ، في صدد البحث عن القضايا العلمية ، فيتكب بذلك محجة
التحقيق موهما نفسه ومضلا غيره .

ولكي ننفذ مزاعمه ننشر نص الارادتين الصادرتين بالنقل الى
« ردوس » وبالمساعدة على العود الى « بغداد » وتوجيه الوظائف التي كان
يتقلدها « فهمي المدرس » قبل النقل الى عهدته ، على ان العادة جرت في
ذلك العهد ان يكون التقليد في مثلها من مقام الولاية ، لا بالارادة السنية ،
فصدور الارادة بذلك دليل واضح على العناية والتلطيف اللذين لم يتاحا
لغيره ولا يسعهما مدرك صاحب المقال .

نص الارادة الصادرة بالنقل :

بغداد ولايتي :

« مطبعة مديري فهمي افنديك ردوسه نقلي شر فصادر أولان
اراده سنیه حضرت خلا قتبنا هي اقتضای عالسفد ندر » .

٢٥ تشرين أول ٣٢١

مطبعه ولايت مديري سابق مكرمتلو فهمي أفندييه

٩٤٧ مكرمتلو أفندي

« مقام سامي» صدار تبنا هيدن شرفوارد أولان ٢٥ تشرين أول

٣٢١ تاريخلي تلغرافنسامهء سامي صورتني بالايه نقلا تبليغ اولنور » .

بغداد واليسي نامنه

٢٧ تشرين أول ٣٢١

محمد طاهر

التعريب :

ولاية بغداد :

« صدرت الارادة السنية بالشرف من لدن حضرة ملاذ الخلافة

(بنقل) فهمي أفندي مدير المطبعة الى ردوس » .

الى صاحب المكرمة فهمي أفندى مدير مطبعة الولاية السابق
صاحب المكرمة الافندى

« نبلغكم صورة البرقية السامية المؤرخة ٢٥ تشرين الاول ٣٢١
الواردة بالشرف من مقام ملاذ الصدارة السامي المنقولة أعلاه »
٢٧ تشرين الاول ٣٢١ باسم والي بغداد
محمد طاهر

نص الارادة الناطقة بالعود :

جزائر بحر سفيد ولايتي
« ولايت مطبعة مديري فهمي افنديك بغداده عودته مساعده اعطا
سيله برابر اولجه بولنديغى بغداد مكتب صنايع نظارتى ايله مطبعهء ولايت
مدير لكنك ينه عهد سنه توجيهي شر فصدور بيوريلان ارادهء سنهء
جناب خلافتبناهي ايجاب عاليسندن بولنديغي باتذكرهء ساميه تبليغ
اولنمسي ايله كيفيت بغداد ولايته ببلديردى * بر منطوق امر و فرمان
همايون جناب ملوكانه اجراى ايجابي با بنده »
٩ تشرين ثانى ٣٢٢

نومرو ٧٣

ولايت مطبعه مديري فضيلتو فهمي أفندى يه
فضيلتو أفندى
داخلية نظارت جليله سندن شرفوارد أولان تلغرافنامه صورتى
بالايه نقلاً تبليغ اولنور *

والي

١٥ تشرين ثانى ٣٢٢

ناظم بن حسن تحسين

التعريب :

ولاية جزائر بحر سفيد
بلغت التذكرة السامية ان قد صدرت الارادة السنية بالشرف من
لدن حضرة ملاذ الخلافة بان يمنح فهمي افندى مدير مطبعة الولاية

(المساعدة) على العود الى بغداد * وان توجه لعهدته كما فى السابق
نظارة مدرسة الصنائع مع مديرية مطبعة الولاية ، وقد بلغت ولاية بغداد
بذلك ، فالمرجو العمل بموجب الأمر الملكي ومنطوق الارادة السنية *
الى صاحب الفضيلة فهمي افندى مدير مطبعة الولاية

رقم ٧٣

صاحب الفضيلة الأفندى

نبلغكم صورة البرقية الواردة بالشرف من نظارة الداخلية الجليلة
المنقولة أعلاه *

١٥ تشرين الثانى ٣٢٢

الوالي

ناظم بن حسن تحسين

والواقفون على أساليب السياسة الادارية يعلمون ان المبعد لا يبلغ
الارادة السنية الصادرة بتبعيده بكتاب من مقام الولاية ، وان المجرم
السياسى لا يطلق سراحه (بالمساعدة) بل (بالعفو) *
فمن هذا النمط ، ومن اسلوب الارادتين ، ألا يستدل على ان
الحادثة جاءت بطريقة تجعل للمبعد ميزة ومكانة؟!

وفوق ذلك فقد كوفىء فهمي المدرس بتوجيه رتبة علمية له وهو
فى (ردوس) مديرا للمطبعة فى ولاية (جزاير بحر سفيد) ، كما
تشهد به مراسلة باب المشيخة المرقمة بعدد (١١٤) والمؤرخة فى ١١
حزيران ١٣٢٢ *

تجاوز حد الأدب :

ومما تجاوز حد الادب فيه قوله : (ذكر من جملة وظائفه فى عهد
الحكومة العربية رئاسة الامناء فى البلاط الملكي التى لم يحافظ عليها ولم
يمكث فيها الا أشهراً فأخرج منها مما يدل على قلة عقله وتدييره وضعف
بصيرته ، والا فهل يتصور أحد ان جلالة سيدنا المعظم يخرج من البلاط
بدون سبب مبرر يوجب اخراجه) *

فهل من منطوق الصدق ان يعبر عن الحول الكامل بالاشهر ، وان يتجاوز حد الادب الى التحرش بشؤون (البلاط الملكي) التي لا ينفذ في دقايقها الا ذوو الشأن منها؟!

أمن الحصانة ؟ :

وأظرف من كل ما تقدم قول الكاتب النزيه ، استاذ البلاغة : (انه سوف يرى من هو فهمي المدرس ومن أبوه وجده) الى آخر ما هنالك مما هو معروف في لغة (محلات) العوام ، فهل جعلت (الحصانة النيابية) لحماية هذا النوع من الأدب ؟ أم من الفضائل الخلقية التي يأمرنا بها الدين مس كرامة الأموات ، وازعاج أرواحهم المطمئنة الثاوية في جوار الله ، المنقطعة عن هذا العالم ، التي لا تنتظر من الاحياء غير الترحم والدعاء؟!

أما أسلاف (فهمي المدرس) فتلك مراقدهم في (المدرسة السلیمانية) في غرفة مشرفة على الطريق ، لهم شأنهم ، وعلومهم وتاريخهم ، يعرفهم فضلاء البلاد والفضل يعرفه من الناس ذووه .
وسجلات الأوقاف أصدق شاهد ، وحكم القضاة أقوم حجة ، والوثائق الرسمية العديدة من مقام المشيخة الاسلامية ، وغيره من المراجع العليا ، وشهادة الشعب بمضابط التوجيه التي يرجع تاريخها الى عهد بعيد لا تبقي لغامر مغمرا .
وما كانت العظام البالية موضوع البحث ، ولا الفخر بالانسان ، ولكن ، (فضح التطبع شيمة المطبوع) .

المغالطات :

ومن روائع مغالطات ، أو أغلاط علامة البيان الموزون قوله :
(من هو ذلك المدرس أو الصابوني - على ما هو معروف - الذي ينتسب اليه) . على رسلك يا نسابة العرب ، فان (آل الصابوني) المعلومة وجاهتهم ، ومنزلتهم هم قرابة (آل المدرس) وهم من أعرق أشرف

العراق كما يعرفهم بذلك الاصلاء من أصحاب البيوتات الشريفة حقا ♦

المنطق الغريب :

ومن المنطق الغريب قوله : (قد عرضت مقالك مع مقال مطلع على جماعة من أهل الانصاف محايدين للحكم على أحد الرجلين بالظلم فأبوا أن يحكموا بشيء وأحالوني الى رجل معروف بالصدق والمعرفة بالرجل وأحوالهم السابقة واللاحقة وهو سالم أفندي آل محمد أعما فلم أوفق لسوء الحظ لملاقاته وتحكيمه) ♦

فقد أدلى بحجتين منفيتين ، معللة ثابتهما بعلة منفية مثلها ، فالأولى قوله (فأبوا) والثانية (فلم أوفق) والعللة المنفية هي (لسوء الحظ) ♦ أما نحن فنوافقه على سوء حظه فقط ، لأنه لو توفق لخرج سالما ♦

استنكار الظرافة :

ينتقدنا (المطلع) الأديب ، ويقذفنا (بالظرافة) ، اذ يظنها مثلبة ، كما جاء في قوله : (أظنك تريد ان يقال حقيقة ان الأستاذ أريحي ظريف ، كما هي عادتك من استعمال أمثال هذا ليضمك الناس ويقولوا انه اريحي ظريف ، أليس كذلك يا استاذ ؟) ♦

لا ندرى ماذا يريد ، أيريد منا أن نستنكر الظرافة ، ونستظرف السخافة ؟ والظرافة أجمل ما يقتطف من زهر الآداب ، وأعقب نقحة يضوع بها أريج البديع ♦ ♦؟! واذا كان من الكلام ما يجبر الى النكتة والظرافة ، أمن البيان أن يهمل اللبيب الظريف ؟ وهل القذف والسباب والبذاء ، والخشونة أحلى وأنسب من (الظرافة) يا أهل الذوق السليم؟!

الجمي العصبية :

أما قوله : « يدعي انه كان مدرسا في المدرسة الاعدادية وعضوا في مجلس اصلاح المدارس ومجلس المعارف فهل ذكر سبب فصله عن ذلك الدرس الذي يدعيه ومن أين كان مجلس اصلاح المدارس اذ ذاك » ♦

فلست أحسبه الا نوبة عصبية شديدة عرته حين الكتابة ، والا فليس من المعقول التهجم على انكار الحقائق المدونة في السجلات ♦♦
فان مجلس اصلاح المدارس الذي يتناول تأسيس ما تدعو اليه الحاجة من المدارس في مركز الولاية وملحقاتها تألف تحت رئاسة ناظم باشا رئيس لجنة اصلاحات الخطة العراقية ، وتاريخ توجيه العضوية المذكورة الى فهمي المدرس ٢٣ شباط ٣٢٣ رومية كما تشهد به الوثيقة ، وذلك قبل ان يكون (المطلع) شيئاً مذكورا ♦♦
وأما عضوية مجلس المعارف والتدريس الذي طعن فيه فتدحض قوله مضطمة مجلس المعارف المصدقة من مجلس ادارة الولاية في ١٥
مارت ٣٢١ .

وها هي :

نومرو ١٢٨

ولايت معارف مجلسي أعضاء سندن مدرس زاده فضيلتو محمد فهمي أفنديك مربوط خدمت جدولی موجبجه مكتب اعدادىء ملكينك عربى وتركي معلمكليه فارسي معلمكي وكالتندن آلديغي معاشاتندن يوزده بش ويوزده برتو قيفاتنى كاملا تأديه اتيديكى وكرك معلمكردن كرك أعضاء لقندن مكتب وادارهء معارفجه بركونه ذمت وايليشكي اولديغي كبي تدريسا تندن وحسن اخلاق ومعاملاتندن حداً مستفيد أولان عموم طلبه دن وممنون قالان هيئت تعليميه دن ذات أقدرت حضرتت خلافبتنا هي يه دعوات خيريه بي استجلابه وأعضاء لقده دخي رضاي على يه موافق خدمات حسنه بي ايفايه موفق اولمش اولديغي جهتله مومى اليهك حسن حال وبرائتبي متضمن اشبو مضطمة بالتنظيم اعطا قلندى ♦

٣ أيلول ٣٢٠

تصديق مجلس ادارة الولاية :

ولايت معارف مجلسي أعضاء لغنده ومكتب اعدادىء ملكينك عربى وتركي وفارسي معلمكنده بولنمش أولان مدرس زاده مكرمتلو فهمي

أفنديك مربوط خدمت جدولي موجبجه مدت إستخدامنده ادارءه
معارفجه بر كونه ذمت وايلشكي اولماديغي وايقاي حسن وظيفه ايلديكي
معارف مجلسنك بالاده كي مضبطه سي مفانندن اكلا شلمغله اشبو مضبطه
ذيللا تنظيم واعطا قلندي ♦

١٢ مارت ٣٢١

التعريب :

مضبطه مجلس المعارف :

ان صاحب الفضيلة محمد فهمي أفندي آل المدرس العضو في
مجلس معارف الولاية أدى توقيفات التقاعد من الخمسة بالمائة والواحد
بالمائة مما تقاضاه من الرواتب لقاء تدريسه العربية والتركية والفارسية
في المدرسة الاعدادية الملكية كما ينطق جدول الخدمة مربوط ، وليس
في ذمته شيء لادارتي المعارف والمدرسة لا من العضوية المذكورة ولا من
التدريس ، وقد استجلب دعاء الخير لحضرة ملاذ الخلافة المقدس من
عامه الطلاب الذين استفادوا من تدريساته ومن أخلاقه الحسنة فائدة تامة ،
وكذلك من هيئة التعليم الذين تركهم وهم راضون عنه ♦
وقد وفق في « عضوية المعارف » لأداء الخدمات الحسنة طبقا للرضاء
العالي ، ولذلك اعطي هذه المضبطة الناطقة بحسن حاله وبراعة ذمته من
توقيفات التقاعد ♦

٣ أيلول ٣٢٠

تصديق مجلس ادارة الولاية :

يُستبان من مضبطة مجلس المعارف ان صاحب المكرمة محمد فهمي
أفندي آل المدرس العضو في مجلس معارف الولاية ومدرس العربية
والتركية والفارسية في المدرسة الاعدادية ليس في ذمته شيء لادارة
المعارف عن زمن خدماته الناطق بها الجدول مربوط ، وانه ادى الوظيفة
على أحسن ما يرام ♦

١٢ مارت ٣٢١

ولذا اعطي هذه المضبطة

الغرض مرض :

ومما جاء في المقال من تشويبه الحقائق قوله : « يدعي ان تدريس علوم : النفس ، والاجتماع ، والتربية ، وما وراء الطبيعة أمر لازب ، ويدعي باننا لم نفارق مسقط رأسنا ولم نعرف لغة أجنبية ، ونحن نوافقه على ذلك اذاً من الذى هو أهل لتدريسها على رأيه أهو ؟ اننا ننكر تدريس هذه العلوم فى شعبة الهية » ♦

يذكر القراء ان البحث فى المقال السابق لم يدر حول التنقيب عن يقوم بتدريس هذه العلوم ، بل كان حول القول بمعارضتها للدين ، كما صرح به الآن ، وكنا قد أوضحنا المطلب فى الجواب الاول بما يستحقه من التعليل والتحليل ، وأثبتنا عدم معارضتها للدين ، بل هى منه واليه ♦♦ على ان هذه العلوم لها أساتذة قائمون بتدريسها ♦♦

وغريب أمر هذا الرجل ♦♦ فلما كان يرتزق من « الجامعة » كان فى نظره كل شىء موافقاً للدين ، ولما انسلخ عنها صار كل شىء مخالفاً له وللدين ، فما لهذا الدين المطاط ؟ ينسبط وينقبض ، ويتمدد وينكمش طوع يمينه ♦♦♦ فاذا قبض انبسط الدين ، واذا منع انقبض الدين ♦♦

اللطائف العلمية :

أما اللطيفة العلمية التى نفكه بحديثها القراء فهى قوله : « ولاظهار جهله نقول ان جامعة تجمع على جوامع وجامعات ، كفاطمة وعاصمة فانهما يجعلان على فواطم وفاطمات وعواصم وعاصمات سماعا وقياسا ، وهذا غير خاف على تلامذة المدارس الابتدائية ، فمن هو الجاهل يا تحرير » ♦ فهل للقياس وجه فى هذا التمثيل ؟ وان الجامعة من المصطلحات العلمية الحديثة ، والجامع من المصطلحات الدينية ، ودفعاً للالتباس جمعت « الجامعة » على « جامعات » واستقل « الجامع » بجمعه على « جوامع » ♦♦ ومن المعلوم ان الاصطلاح فى الوضع يصير لغة فلا يجوز العدول عنه ، والا لانهدمت جميع المصطلحات العلمية !♦♦

ومنها قوله : « أعجب من انكاره على المطلع تسمية الفقه الحنفي
بالفقه الاسلامي ، فهل الفقه الحنفي ليس من الفقه الاسلامي ؟ هذه فلسفة
وعلم لم يحيط بهما الا الاستاذ ، اليس كذلك » ♦

لا محل للعجب ، فقد فات رجب ، فان الفقه الاسلامي يشمل
المذاهب عامة ، والفقه الحنفي خاص بمذهب الحنفية ، والنظام خصص
ولم يعمم ♦♦

لا يفيد :

أما مباحث الفلسفة والمناهج فلست أظني قادرا على تفهيمه اياها ،
لأن ذلك يحتاج الى درس ، فقد قال بشأنها ، بعدما قلنا كلمتنا في الموضوع
وأشبعنا البيان حقه : (يغالط ويموه على الذين لا يعرفونه فينسب عدم
تفريق المطلع بين حكمة التشريع والفلسفة الاسلامية ، ولكنه هو بنفسه
يقول معترفا « ولكن النظام نص على تدريس هذه العلوم بعنوان حكمة
التشريع والمعنى واحد » ، وأظنه يريد ان يقول ان الأبحاث المقتضية من
كتاب الملل والنحل ولسان العرب هي ابحاث كتبت باسم الفلسفة الاسلامية
لا باسم حكمة التشريع ، والحال ان هذه الأبحاث سواء جعلت تحت عنوان
الفلسفة الاسلامية أو حكمة التشريع تثبت مدعى المطلع وتبرهن عليه) ♦

والقراء يتذكرون أن الرجل التبس عليه الأمر في مقاله الأول ،
فظن ان « الفلسفة الاسلامية » هي « فلسفة التشريع » فأفهمناه ان هذين
العلمين يختلفان باعتبار الموضوع ♦♦ فالقصد من « الفلسفة الاسلامية »
فلسفة العقائد والمذاهب ، والمراد من « فلسفة التشريع » العلم الذي يبحث
عن الاحكام الشرعية من عبادات ومعاملات مع بيان الاسباب الموجبة
لها حسبما تقتضيه الغرائز الاجتماعية ، و « حكمة التشريع » و « فلسفة
التشريع » - كما قلنا - بمعنى واحد ولكن النظام اختار العنوان الاول ،
وأطبنا في الايضاح حتى أزعجنا القراء ♦♦ كما قد أوضح له ذلك عدة
مرات لما كان مدرسا في « الجامعة » ووقع على ضرورة تدريسها ♦♦

وكذلك كان قد تورط في مآخذ العلوم ، فظن ان كتاب « الملل والنحل » و « لسان العرب » مأخذان « لفلسفة التشريع » فيينا له ألا علاقة بين « فلسفة التشريع » وهذين المآخذين ، لأن الاول قد يوجد فيه شئ مما يناسب « الفلسفة الاسلامية » أى فلسفة المذاهب ، لا « فلسفة التشريع » و « لسان العرب » قاموس لا غير •

وأظنه تناسى ذلك ، فاخذ يخبط في الموضوع خبط عشواء ••

بيت القصيد :

وبعد رحلة طويلة المدى تخلص الى بيت القصيد ، فقال : (أما كون المجلة من الفقه الحنفي فذاك أمر معروف ولكنها ليست هي الفقه الحنفي - قسم المعاملات ، ولا يقول ذلك إلا جاهل أو مموه مغالط ، لأن الفقه الحنفي - قسم المعاملات هو الاحكام المختصة بالمعاملات واسباب تلك الاحكام وعللها ومآخذها من قرآن وحديث واجماع وقياس وكيفية أخذها والخلاف بين المذاهب وأئمة المذهب ومنشأ ذلك) •

أين كانت هذه التعليقات والايضاحات لما كان في « الجامعة » وهو من جملة الراضين بتدريسها فهل هذه القذائف موجهة الا اليه ، حقا انها لسجية شجبية ، فلما كان له نصيب من « الجامعة » كانت « المجلة » من « الفقه الحنفي - قسم المعاملات » ولما حرم منها تبدل موضوع المجلة •

ومن يراجع مقدمة المجلة وشروح المجلة التركية والعربية ، وبالأخص « مرآت المجلة » ، يظهر له جليا ان المواد مستنبطة من كتب الفقه الحنفي ومطابقة للمآخذ الاربعة : الكتاب والسنة والاجماع والقياس •

الايهام :

ومما صار يوهم به العوام - بعد انقطاع نسبه من الجامعة - قوله عن التفسير والحديث : « لأن تدريسهما في هذه اذا دام في الصفوف

الأربعة - وهى مدة التعليم - لا يتجاوز مائة واثني عشر درسا وهى بضاعة لا يحق للمشتغل بهذين العلمين ادعاء معرفته بهما ♦♦ الخ ♦

الكلمة الأخيرة :

ان تحصيل العلم فى الجامعات ليس باحصاء الدروس ، وعدد الساعات ، بل بطرائق المحاضرات وأساليب التفكير والبحث ، فقد يعنى الدرس الواحد من العالم المثقف المختص عن مئات من الدروس التى ألفها « المطلع » وبهذا الاعتبار يكون حسابه ، وضربه لأخماسه فى اسداسه غير صحيح ♦

وليس المراد من الشعب الدينية فى الجامعات تكوين اختصاصيين فى كل علم وفن ، كباقى الشعب ، بل ايجاد ثقافة علمية من مجموع العلوم المقررة فى المنهاج يمتزج فيها العلم ، والفن ، والفلسفة ، والدين أمتزاجا تنكشف من بينها العقلية الاجتماعية المهدبة المطابقة لروح العصر ♦
والشعب الدينية من « الجامعات » لها مناهج تمحصت على أيدي القرون ، وجامعة آل البيت سائرة على تلك المناهج ، « ولا تقف ما ليس لك به علم ♦♦ » (١) ♦

الخاتمة :

القراء يعلمون ان هذا « المطلع » فصل من تدريس « الجامعة » قبل سنتين وعين للوظيفة كفوؤها ، فلما يس أخذ يريش سهامه ، ويصب مطاعنه على الجامعة ، وأمينها ، وأساتذتها ، وطلابها وعلى الآباء والأجداد والاحساب والأسباب ، والأحياء والأموات ، وعلى العلوم ، والمنهاج ، والنظام ، والنفقة ، والادارة ، والدروس ، وساعاتها ، وكتبها ، ولم يسلم من تحرشه - فى الظاهر - الا وسائط النقل من سيارات وعربات ♦♦ لا ينتهي من وراء ذلك شيئا غير تقويض الجامعة ، وابادة من فيها ليمرح

(١) الاسراء : ٣٦

بين أطلالها ، وبدون ذلك لا يهدأ له بال ، ولا يهنأ له عيش ، ما دامت
« الجامعة » مكتظة العرصات بالطلاب ، زاخرة بالعلوم ، تخرج للبلاد
أساتذة مثقفين ، وعلماء عصريين ، ينرون طريق الحياة للعراق ، ويسرون
بالعقل من الشك الى اليقين ، ويرسخون في القلوب مبادئ الايمان
وحسن العقيدة ، ومهما شاغب ، فالجامعة سائرة ، وله أن يحرق الارم ♦♦
« ولا يحيق المكر السيء الا بأهله » (٢) ♦

«خبير»*

العراق :-

كل من في هذه البلاد يعرف ما لفهمي بك المدرس من المنزلة
العلمية والاجتماعية ، واننا لم نكن نتوقع ان يحتاج فهمي بك يوماً من
الأيام الى أن يعرف الجمهور بشخصيته الكبيرة ، لأن الجمهور كما قلنا
يعرفه تمام المعرفة ، ويعرف ماضيه المجيد ، وحياته الحافلة بالخدمات
الصادقة نحو بلاده ووطنه ♦

ولو كنا جاحدين لحرية النشر لما نشرنا مثل هذه الأمور التي لا
تغني قراءنا شيئاً ، وعلى كل فاننا قد غلقنا هذا الباب بعد هذا اليوم مهما
كلفنا الأمر ، لأن المسألة قد توسع نطاقها وتجسمت ♦

(٢) فاطر : ٤٣

(*) جريدة العراق العدد ٢٦٧٦ الصادر يوم الخميس ٣١ كانون
الثاني ١٩٢٩ الموافق ٢٠ شعبان ١٣٤٧ .

متى سار المعارضون وراء العواطف ؟

نشر « صدى العهد^(١) » في عدده « ٩٠ » فصلا مسهباً تحت عنوان « أثر المعاهدات في الحياة الدولية » حمل الكاتب في مقدمته على المعارضين حملة لا تليق بكرامة الصحافة وشأن السياسة ، ولا تلائم اساليب النقد وآداب اللياقة التي تتطلبها صحف الوزارة من غيرها لدى كل فرصة ♦

فقد أوّل الكاتب « المعارضة » بالاوهام والخيالات والعواطف وفسرها بالنهضة التائهة ، واستنكر القول بان المعاهدات سر من اسرار الاستقلال ومصدر عظمة الامم ومجدها ، وسخر من القول بانها تمثل مبلغ الامم من السعادة والشقاء والكيان الرسمي أو الاستبعاد ♦ واعتدى على القائلين بان المعاهدات في نظر الامم المغلوبة على أمرها قضية موت وحياة ♦ ونصح للمعارضين أن لا يجعلوا المعاهدات وعقدتها وابرامها شغلا شاغلا لهم في الحياة العامة والخاصة ♦ ونعتهم بالتطرف ، واتهم « المعارضة » بانها بضاعة يتاجر بها المعارضون ويستغلون بها عواطف العامة لمنافعهم الشخصية ♦ ♦ وهذا مما لا يرتضيه غير العراقيين لنا ، اذا ما ارتضاه العراقيون لانفسهم ♦ ومن لا يكرم نفسه لا يكرم » ♦

ولسنا في صدد الرد على هذه المقدمة التي لا يؤمن بها الكاتب نفسه ، ولا الذين نطق بلسانهم ، بعد ان اذيعت مدافعاتهم في الصحف واطلع الرأي العام عليها فوجدها لم تتعد حدود هذه المقدمة ♦ واذا كانت خطابات المعارضين مطعونة في نظر الكاتب فما قوله بخطاب « بهجت بك زينل »

(١) جريدة يومية سياسية أدبية علمية ، انشأها ببغداد المرحوم عبدالرزاق الحصان وصدر عددها الاول في ٧ آب ١٩٣٠ ، فلما ألف نوري السعيد (حزب العهد) في الثاني عشر من شهر تشرين الاول ١٩٣٠ أصبحت (لسان حال حزب العهد) ♦ وقد لبثت تصدر بانتظام نحو ثلاث سنوات وهي تكافح خصوم نوري السعيد مكافحة لا هوادة فيها ♦

عن : عبدالرزاق الحسيني

الذى لم يكن من المعارضين المفرطين ولا من الذين يستغلون عواطف الامة
لمنافعهم الشخصية ، وما كان - مدة حياته - ممن اتخذ المعارضة بضاعة تاجر
بها ، فضلا عن انه من اشياح الوزارة ومن مرشحها ، وقد جاء فى خطابه
من الادلة والبراهين على تفنيد كل كلمة من المعاهدة ما يذوب أمامها الحجر
الصلد لا القلوب المخلوقة من لحم ودم .. فليذكر لى - جزاء الله خيرا -
جوابا على نقطة واحدة لا اكثر ، ما عدا التعريض بالشخصيات ونبش
القبور والتهديد وانكار البديهيات والادعاء العجيب بعلم وجود استقلال تام
فى العالم ولا استقلال بريطانية .. على أن نقد المعاهدة لم ينحصر فى
المعارضين العراقيين بل تناولته صحف سورية ومصر وتركيا وايران . ولو
فرضا ان جميع المعارضين والتاقدين فى الاقطار الشرقية يسرون وراء
العواطف والاوهام والخيالات والمنافع المذمومة ، فما قول الكاتب بما نشرته
صحف الانكليز وما صرح به ساستهم ، وما ترشح من معارضى « عصابة
الامم » ..؟ على كل حال هذا أمر فرغنا منه ، وكل مسؤؤل عن رأيه
وملزم به ، وكل ميسر لما خلق له ، وكل امرىء بما اكسب رهين ، ولا بد
للخسران من بارد العذر ..

أما الذى نريد ان نستلفت اليه الانظار فهو الاعتراف - بعد الوقوع
وبعد خراب البصرة - بالضييم والصفقة الخاسرة والقيود والاصفاد شأنهم
فى المعاهدات السابقة ، كما جاء فى قوله :

« ان الامم الضعيفة الرشيدة التى لا حول لها ولا طول تعقد المعاهدات
التى تكون صفقتها فيها خاسرة وما ذلك الا لانها تعرف انها فى موقف
لا يمكنها من المطالبة بحق أكثر فتصبر على الضييم ثم تعتمد الى العوامل التى
ساقتها الى هذا الموقف فتعمل على ازالتها وتندرع بما له الصوت العالى فى
الحياة وتأتى لتمزيق المعاهدات المحجفة بحقوقها وتحطيم القيود التى كبلها
بها الزمان » .

هذا فيما لو احاطت بالامة ظروف تضطرها الى ان تخسر صفقتها
وتخضع لعقد مجحف بحقوقها وتمد يديها ورجليها لتكبل بالقيود .. فاذا

لم تكن ضرورة فهل تعذر الامة على الخضوع والاستسلام كالميت بين يدي
الغسال؟ واذا كانت ضرورة للاستعجال أليس من الضرورة أيضا التصريح
بها دفعا للاعتراض؟

على ان التصريحات كانت بخلاف ذلك ، فالمعاهدة اعتبرت فوزا مينا
وتوفيقا سماويا ورحمة للعراق والعراقيين ، والآن انقلب السحر ♦♦
وتأييدا لهذه الفلسفة أخذ الكاتب يورد الامثلة من التاريخ المملوء بالعبر
ومن جملتها قوله « دك نابليون الكبير العروش واحتل الممالك وضمها الى
فرانسة واسس فيها دولارا ، ولما أفل نجم مجده وعزه عقدت معاهدة ديانه
سنة ١٨١٥ فهدمت كل ما بناه نابليون وأرجعت فرانسة الى حدودها القديمة
قبل الثورة » ♦

فعلى م اذن زج « رفائيل أفندي بطى » مدير « الزمان » فى أعماق
السجون ، ألكون المثال كان خاليا من عبارة (ولما افل نجم مجده وعزه) أم
لانه لم يرد فيه (فهدمت كل ما بناه) أم لان الاستشهاد كان شرقيا
وهذا غربى؟!

ثم استشهد الكاتب بأمثلة من الشرق فقال : « واذا كان الحلفاء قد
حاولوا تقويض استقلال تركية فى معاهدة سيفر فان تركية عززت
استقلالها فى معاهدة لوزان وخرجت منها برأس مرتفع » ♦
وهذا عين المثال الذى اتهم به « رفائيل أفندي بطى » الا انه قيل فيه
(الفوز المين) بدل (برأس مرتفع) ♦

وجاء فى استشهاد آخر ما يلى : « فان معاهدة فرساي مهما كانت
قاسية بشروطها وبنودها لم تتمكن من اذلال الشعب الالمانى ولم يدب اليه
بها ديب الانحلال والفناء وهذا صوت ألمانيا يرتفع اليوم فتهتز له الامم
والشعوب » ♦

وقد ورد هذا المقال بعينه فى مقال « الاستفتاء ومصيره » ولكن فى
الشكل الآتى :

« أو كعاهدة ورساى التى ارغم عليها الالمان بالقوة القاهرة فأجمع
على رفضها الاحزاب فى هذه الايام » * وما لنا سوى ان ننتظر العدل
والانصاف من القضاء - ولا شك فيهما - لان العدل أساس الملك ولان
الانصاف نصف الدين ولان الرعية أمام القضاء على حد سواء ♦♦

«عراقي»*

* « جريدة نداء الشعب » العدد ٣١١ السنة ٢ الصادر فى ٢٣ تشرين
الثانى ١٩٣٠ / ٢ رجب ١٣٤٩

حول تحديد الثقافة والحجر على الاحزاب

الشعب ناضج والشعب غير ناضج

كان الشعب العراقي عام ١٩٢١ - وهو مرعوم على سياسة الانتداب غنيا في ماله وغنيا برجاله (بالغا درجة راقية يمكن معها الاعتراف بكيانه كالامم المستقلة) كما نصت عليه المادة ٢١ من ميثاق عصبة الامم ♦
فابيح له ان يفتح ابواب الاحزاب السياسية وأن يعلن الدستور ويؤلف البرلمانات الخاصة قاعاتها بمقاعد الاعيان والنواب وجاز له ان يبرم المعاهدات والمقاولات الخطيرة ، ويشرع القوانين وان يتوسع في تشكيلات الدولة باصولها وفروعها الى اقصى مدى وان ينال من التمثيل الخارجى ، ويشيد الصروح لمختلف الكليات العلمية والفنية على أن تكون منها عذبا لرواد الشرق عامة كما كان العراق على عهد المستنصرية والنظامية ♦

وبعد اثني عشر عاما من أعوام التدريب والارشاد على ايدي الاختصاصيين الاجانب بعد ان استقل العراق استقلال تاما وأوشك ان يصفح الدول المعتزة بنفسها في حظيرة الامم ، وبعد ان انفسح له المجال لان يتوسط بين الاقطار العربية لتوحيدها تحت راية واحدة أو لانقاذها من يرثين الاستعمار تراءى للمجددين من رجال الحل والعقد ان اقصر الطرق لبلوغ اقصى الغايات هو الشذوذ عن المحجة التي تسلكها الامم في مضمار التقدم والرقى ♦♦

ومن ذلك الشذوذ الغاء المعاهد العلمية كمدارس الهندسة والزراعة والتجارة وكلية الصيدلة ودار المعلمين العليا ودار المعلمين الاولية وغيرها وكلما ألغوا معهدا اقاموا الادلة على ان الالغاء اضمن لتقدم الشعب تقدا سريعا وبهذا المنطق العجيب اذيع في الخطب والقصائد والفصول الضافية ان قد اعدنا عهد (الرشيد) وحضارة (حمورابى) ومن مظاهرهما ايام المعرض ولىالى الجزيرة ♦

ومن الشذوذ الموصل الى أقصر الطرق اباحة الملاهي والمنكرات وكل ما من شأنه افساد الاخلاق مع العناية بكم الافواه والحجر على الصحافة ومنع الاحزاب السياسية من الاجتماعات العامة وفتح الفروع وممارسة السياسة •

وإذا ما اعتمدت الحجة على تنفيذ هذا المنهج الاستعماري البحت والخضوع له حرفياً لجأوا الى التذرع بالازمة الاقتصادية ووصم الشعب بعدم النضوج ، والاموال تنفق على اللذائذ والشهوات من جهة وعلى الدعايات التي لا ينتفع بها غير الاجنبي من جهة أخرى •

والغريب في هذه الحاجة ان الشعب لم تلح على سخطه تعاريج عدم النضوج الا بعد ان تم للاجنبي ما اراده وزيادة فقد كان الشعب ناضجاً في بيعة مليكه ، وناضجاً في دستوره وفي تأليف الوزارات والبرلمانات وابرام المعاهدات والمقاولات الخطيرة وناضجاً في تشكيلاته الداخلية والخارجية وناضجاً في مناظر ذلك المعرض الذائع الصيت الذي قيل عنه انه ثاني معرض باريس وناضجاً في عقد المؤتمرات وكان مثلاً أعلى لمناطق الانتداب في الرقي واهلا للاستقلال التام وكفوا لان يصفح الدول العظمى في عصبة الأمم •

والآن وقد انتهى دور التكليف من طريق الاعتراف بنضوجه تقهقر تقهقرا آتياً حتى أصبح غير كفء لتعليم الهندسة وفن الزراعة والصيدلة وغيرها من عناصر الثقافة وليس بكفء لان يتمتع بالحريات الممنوحة في صلب الدستور الذي تناوله من يد الاقدار كدية لدمائه المسفوحة في سبيل الحرية والاستقلال •

وإذا اردنا ان نوافقهم على ان الشعب غير ناضج فهل لهم ان يؤاخذونا على مطالبتنا بفسخ ما تم الى هذه الساعة من العقود المجحفة بحقوقه وحبثنا بالغة •• ام ان الشعب العراقي مفرد في فطرته يتطور بحسب المصالح الاجنبية فطوراً يتقدم تقدماً يخوله ان يتعاهد ويتحالف مع اعظم

دولة ويعلن الاستقلال التام على صفحات الصحف ويبدأ مقعده في حظيرة الأمم ويتصدر لانقاذ غيره من الاقطار العربية وطورا يتقهقر تقهقرا يحرم عليه ممارسة الثقافة والسياسة فيوما ناضج ويوما غير ناضج ♦

وكيف يحكم بعدم النضوج على شعب أختير من بين ابناؤه في خلال عشر سنوات خمسون وزيرا ومئات من النواب والاعيان ومثلهم من المتصرفين والمديرين العموميين ورؤساء الدوائر ما عدا القناصل والسفراء والممثلين في العصبة واساتذة الكليات وبالاخص كليات الطب والصيدلة والحقوق وبلغ عدد المنتميين الى مدارسه ستين ألفا كما تذيع صحيفة العراق؟ اللهم الا اذا كانت هذه المظاهر مصطنعة لغاية لا يمكن تحقيقها الا على يدي رجال يهون عليهم الخضوع والاستسلام والتفريط في حقوق البلاد! وعلى فرض ان يكون الامر كذلك وان الظروف اختارت لتلك الغايات فئة خاضعة فتسلمت مقاليد الامور واختارت اناسا على شاكلتها وصدعت بما امرت به فهل مما يزيد هذه الفئة اعتبارا ان تصم الشعب بهذه الوصمة وهي بضعة منه ، ام ان هذا الوصم أيضا من جملة ماهي مكلفة به لقاء الجاه الزائف والحطام الممتص من دم هذا الشعب ♦♦؟

أما نحن فلا يسعنا الا ان نؤل الوقائع ونحملها على محامل أخرى ونطالب المسؤولين بالرجوع عن المقررات المتخذة حول تحديد الثقافة ومصادرة الحريات قبل ان يعقد المؤتمر العربي في بغداد ♦

العراق والمؤتمر العربي

فاذا ما توافد مندوبو الاقطار العربية والحالة في العراق على ما هي عليه فالنتيجة منه لا تكون خيرا من عاقبة المعرض وغيره من ذرائع التبشير والدعايات ♦

وتأييدا لذلك ننقل ما يلي :-

نشرت صحيفة (النظام) الدمشقية في عددها (١٦٤) فصلا حول الموضوع جاء فيه :-

(نريد من هؤلاء الذين يولولون بمناسبة أو بغير مناسبة ان يؤلفوا وقدنا منهم يذهب الى بغداد او عمان ليسألوا القوم هناك هل هم احسن حالا وانعم بالا منا معشر السوريين ؟ * * ثم نقبل بهم حكما مقبول الرأي مرضى الحكم بشرط واحد لا نشترط سواه * وهو ان يكونوا بعيدين عن المصادر التي تشر المال هناك يمينا ويسارا وتنفقه على الدعاية لها سرا وجهارا * * الخ * هذا بعض ما ينعكس الى الخارج من الاعمال التي يعتقد العاملون عليها ان وراءها نجاحا باهرا ولا يزالون يواصلون السير على عين الخطة * نعم * * قد يوجد في الاقطار الشقيقة رجال ممن ضاقت بهم الارض ذرعا فغلبت عليهم الهواجس وصورت لهم الحجة قبة وراحوا يظنون بنا الظنون ، مثلهم كمثل الغريق الذي يتمسك بالحشيش ، أو ان حسن الظن اخذ منهم مأخذه واستحوذت على مشاعرهم اذاعات الصحف المأجورة أو ان هنالك دوافع أخرى *

فاذا ما حضروا دار السلام واتضح لهم ان الاحزاب السياسية محظورة عليها ممارسة السياسة وان اهم معاهد التعليم مؤصدة ، وان لسان الصحافة مشدود بنسعة وان الدستور مغلول وان المراجع الرسمية لا تملك من الامر شيئا وعرفوا ان السبب في ذلك كله هو عدم النضوج ، أو ما تصبح امانيتهم اضغاث احلام وقد شدوا الرحيل الى هذه الديار وهم يعتقدون بأولوية العراق على غيره من الاقطار العربية في اتخاذه قاعدة لتكوين الوحدة ؟ اذ كيف يعقل ان قطراً محظوراً عليه ابداء الرأي حول مصلحته وقضاياه الحيوية يتسنى له ان يعين اقطاراً هي على شاكلته ان لم نقل احسن منه حالاً من بعض الوجوه ؟

انا لا نريد الآن ان نخوض غمار البحث عن الوحدة العربية والمؤتمر العربي أو توحيد التاجين ، وانما الذي نريد ان نعرضه على مسامع من يهمهم الامر ان الحالة الحاضرة في العراق لا تدل على شيء من الحرية والاستقلال حتى يصح لغيرنا ان يستمد منا القوة ويعول علينا ويتقنى من وراء ذلك التعويل نفعا *

فاما ان نسير على قدم الامم الناهضة ونطلق حرية التقيف ونرفع
الحجر على الصحافة والاحزاب السياسية ونلغي القوانين الاستثنائية
ونصلح الاخلاق ونوطد الامن ونرعى للصحة جانباً ونستشعر الرزانة
والوقار ونصدق في أقوالنا ونخلص في أعمالنا ونحترم الرأى ونظهر
العراق بمظهر البلاد المستقلة استقلالاً حقيقياً ونثبت ان الشعب ناضج
وانه شاعر بمقتضيات الحياة في القرن العشرين بالاعمال لا بالاقوال
الفارغة وبعدئذ نمد يد المعونة الى غيرنا اذا كنا حريصين على بلوغ الغاية
من المؤتمر العربى كما يفكر احراز العرب لا المتاجرون بسياستهم ، واما
ان نتوانى فى مثل هذه التعهدات الخطيرة التى لا يعقبها غير الفشل •
واما الدعايات الباطلة فان عمرها قصير لا تكاد تنتشر حتى تنقلب الى
القيض (ان الباطل كان زهوقاً)^(١) •

* «عراقي»*

(١) الاسراء : ٨١

* جريدة الاخاء الوطني العدد (٢٧٦) ١٤ ايلول سنة ١٩٣٢ •

الاخلاق بين العرب والغرب

- ١ -

كان العرب فيما مضى من أحرص الناس على اخلاقهم ومن أشدهم ولوعا بها ، فمكثهم ذلك من تدوين تاريخهم الذي حملته القرون على الاكتاف ، فكان مصباحا تستنير به الدنيا ، والغرب لا ينكر فضل العرب عليه •

عاملان قويان بعثا من الغرب خلقا جديدا ••• والحروب الصليبية التي امتدت مائتي عام ما بين غاليات ومغلوبيات جمعت بين الفريقين في صعيد واحد وكانت واسطة اقتباس الفضائل والاخلاق واساليب الحرب من العرب •• وحلول العرب في قلب أوروبا واستيلاؤهم على شمال ايطاليا وجزائرها وجنوب فرنسا ودوام دولتهم في اسبانيا زهاء ثمانية قرون ••• وما ضعفوا وما استكانوا الا عندما تسرب الوهن الى اخلاقهم وما انتصر الغرب الا بعد ان اتخذ الاخلاق له شرعة ومنهاجا •

والامم الغربية لم تقتبس من العرب الاخلاق فقط بل اخذت عنهم الآداب والعلوم العالية والصنائع والحضارة بفروعها • وتغذت باللباب من فلسفتهم وسياستهم وشجاعتهم وذوقهم السليم •

دخلت العلوم العربية فجر جامعات الغرب منذ عهد الفتح العربي وبقيت الى هذه الساعة •• وكانت البعثات العلمية تتوافد من بلاد الغرب الى جامعة (اشيلية) في كل سنة •

وقد حكى لنا التاريخ ان (البابا) فرانسوا سبلوسستر ، أكمل التحصيل في مدة ثلاث سنوات في شعبة الالهيات من الجامعة المذكورة • وبذلك نال حظوة الملوك وقام بتدريس الامراء واقتضى اثره كثيرون من رؤساء الدين •• وهناك عوامل أخرى بعثت فيهم روح التجدد والنهوض

منها الازداج واختلاط الدم على توالى القرون • ولذلك لا تزال عادات العرب واذواقهم تتمثل فى الرجال والنساء فى البلدان التى دخلت فى حوزة العرب ، ولاسيما مملكة الاسبان •• ومن آثارهم الخالدة فى الغرب ذوقهم الهندسي والكتابات العربية على المعاهد والمؤسسات والمباني العالية القائمة الى الآن فى جزيرة (صقليا) لان اللغة العربية بقيت فى هذه الجزيرة لسان الدولة الرسمي بعد انسحاب العرب منها الى أمد بعيد •

ولو احتفظ العرب بسيرة الفتح وتدرعوا جلادة (طارق بن زياد) وتصلبوا بصلابه (موسى بن نصير) وبغزائم (عبدالرحمن الداخل) وواصلوا الزحف لفتحوا الغرب أجمع •• ولكنهم اصطدموا بقوتين قاهرتين الحسد والغرام •••

فتن فريقا منهم جمال الطبيعة وجذبتهم الروابي الخضر والبطاح المزهرة الى ضلال الصنوبر والبان وخمائل البنفسج والاقحوان • وانغمسوا فى الملذات وغابوا بين ألحان العنادل واسجاع الحمام وسحرتهم الحواجب والعيون ، وغدائر الذهب الابريز ، وقودود الياسمين ومحاجر الزمرد وقلائد اللؤلؤ والمرجان ، ودبت الحميا فى المفاصل فهاموا بين زبرجد القرط وبلور النحور ورنه الخلخال ، والخضر الدقيق ، واناخ الحسد بكللكه على آخرين فطاشوا وجردوا السيوف على اخوانهم وتنازعوا وطمع الولد فى عرش ابيه ، واقتتلوا وجزأوا الملك وانقسموا على بعضهم ثم عادوا الى عبادة الشمس والقمر والكواكب والنجوم ولكن بين الكاس والطاس وغنج الساقية والساقبي وبين سهام الاهداب وورد الخدود وحول ابتسامات الرياض ونغمات الازهار وعلى صفحات اللجين الذائب وعند لواعج اوتار ذلك الخيال الرقيق المتدفق من ندير الحياض المترعة والآلىء النضاحات المتناثرة من حلقات الغدران على حواشى الزنبق والنسرين وعلى أمواج الألوان الطافحة من عيون النرجس وأحداق الشقيق وأكمام القرنفل والجلنار •

وتخشوا وتناسوا المجد والواجب والتاريخ وعكفوا على الملاهي
وأكبوا على الشهوات •• وفرقوا بين الجفن والكرى وواصلوا شرب
الليل بالنهار حتى عم الفساد وئارت القن وتسرب الاحتلال من بلد الى
آخر وتوالى القتل والقتال في الداخل والخارج وفقد الامن وشاعت
الفاحشة ، وتفسخت الاخلاق وسادت الفوضى وعبث الحكام في حقوق
الضعفاء وتمزقت الادارة على أيدي السفهاء وتولى السياسة جهالها وانحلت
أواصر الحكم واضطربت الرعية واختلفت العناصر وتلاعبت الاهواء في
القضاء ففرقوا شيئا وتابعت قوافل الهجرة الى شمال « أفريقيا » وعز
الناصر والمعين وتململ العدو المتربص واختلس الفرصة واستمد القوة
من ذلك القلق السائد على كل ناحية من نواحي البلاد ومن ذلك الهرج
والمرج والقنوط المستحوذ على البأس والمعتر وسقطت (غرناطة) عام
(٨٩٨ م) وبكى (عبدالله الصغير) وغضبت أمه الملتهبة غيرة وشهامة
واجابت سقط الدموع الذليلة قائلة : ابك يا خائن النساء ابك ابك على
ملك لم تستطع ان تدافع عنه دفاع الرجال •

ورثي شاعرهم أبو البقاء ذلك الملك الكبير الذي استحال بدهاء اولي
العزائم من الملوك والخلفاء والامراء وحصافة أهل الرأي والتدبير روضة
من رياض الجنة تجرى من تحتها الانهار تعلوها القصور الشامخة والمعابد
الرهبية وصروح الجامعات ومعاهد الصنایع والآداب تكسوها يد العمران
حلل السندس والاستبرق حتى ضربت به الامثال ••••• وندب كل مدينة
على حدة ووقف عند الزهراء والقصر العظيم وتلهف وارسل اليها
العبرات •• والتفت الى الجامع الكبير القائم على (٨٥٤) اسطوانة من
المرمر الثمين النادر والذي تم بناؤه في قرن وربع قرن وعدد الخطوب
وذكر الاسى وودع واغرورقت عيناه ونعى (غرناطة) و (الحمراء)
وناح على العلم والعلماء والفلسفة والآداب الرفيعة وتمثل له (ابن رشد)
من سماء قرطبة فأطرق اجلالاً وعزى العرب وعرج على الملك المضاع
وقال :

وصار ما كان من ملك ومن ملك
كما حكى عن خيال الطيف وسنان^(١)

فهى المدرس*

(١) البيت لابی البقاء صالح بن شريف الرندى من قصيدته
المشهورة التى مطلعها :
لكل شيء اذا ما تم نقصان فلا يغربطيب العيش انسان

* مجلة الرابطة الاسلامية
العدد ١٧ المجلد الثانى السنة الثانية دمشق ١ جمادى الاولى سنة

١٣٥٢

الاخلاق بين العرب والغرب

- ٢ -

وستان بين ذلك الملك الذى استعبر وبكى ♦♦♦ وبين ملك يصور لك الغيرة والشهامة والتواضع والعظة والهمة القعاء فى كلمة قالها قبل الوفاة وهى :

(حكمت خمسين عاما ، ملؤها شرف وسعادة ومال وجاه ، انى التفت رأيت الملوك يعظمونني ويحسدونني ويهابونني ♦♦♦ وقد حسبت أيام السعادة الحقيقية فى خلال هذه السنين الطوال فكانت أربعة عشر يوما !! فيا أيها الانسان الفاني ! اذا أردت أن تقيس الدنيا والعظمة والحياة فقسها بهذا المقياس) ♦

ذلك هو مؤسس المجد العربي فى قلب أوروبا ، ذلك هو الناصر لدين الله (عبدالرحمن الثالث) أول من حاز لقب الخلافة من الملوك الأمويين فى الاندلس !

تناولت حياة هذا الملك العظيم الحروب والفتوح من جهة ، والاعمار والاصلاح والاحياء والتأسيس والتشييد من جهة أخرى ، وقد تكلمت حروبه جميعها بالظفر ، ومنها حربه مع ملك (ليون) التى انتهت باندحاره واسترداد ما احتله من البلاد على عهد سلفه ♦♦♦ وأما آثاره الخالدة فإنه أنشأ اسطولا كان الأول من نوعه ، وبنى مدينة (الزهراء) البديعة على حافة (الوادى الكبير) وشاد قصرأ اتخذه الغريون مثالا للذوق والهندسة والدقة فى (صنعة التنزيل) و (التخريم) والحفر والنقوش البارزة وعمر جامعا عظيما وخزانة للكتب جمع فيها ستمائة مجلد ♦♦ كل جلد منها عليه اشارة بخطه ، وازدانت أنحاء المملكة بالعلوم والمعارف والصناعات ، وراق الأدب ورق الخيال وشعت أنوار الفلسفة ، وبدأ دور التفكير ، فطفق

أقطاب الفضل والادب يزدحمون على البلاط وعلى منازل رجال الدولة وعظماؤها من مشارق البلاد ومغاربها ، ويترددون على أبواب الجامعات فيقابلون بمنتهى الحفاوة والتعظيم ، وارتفع قدر العلم والعلماء في زمنه الى أقصى الدرجات •

المعنا بهذه الصحيفة المؤلمة من تاريخ العرب لتفهم وتعلم ان الأخلاق هي أسرار العظمة ، وعندما تفسد تفتك بالأمم بدون رحمة وبدون استثناء •• فذهب بالراعي والرعية والأمر والمأمور والشرف الباذخ والتاريخ المجيد ، والصغير والكبير والجاه والمال والحضارة والعمران ، والنساء والرجال على حد سواء •• ويا لها من عظة بالغة لقوم يعقلون ••! أمة تشيد بأخلاقها العظيمة دولة قوية الشكيمة ثمانية قرون في قلب الأعداء ، كلها شوكة ومهابة وعز ونعيم وصيت ذائع في الدنيا ، فتفسد أخلاقها فتخرج صفر اليمين!؟

★ ★ ★

وفي الختام أوجه كلمة الى شباب العرب النوابه ، عسى أن تصادف بين ربوعهم قبولاً حسناً (فذكر ان نفعت الذكرى) (١) •
يا معشر الشباب :

لسنا اليوم في عصر يهيم فيه الانسان على وجهه تائها ، ويعيش رهن الطالع والمصادفات كما تعيش السوائم ، وكما نعيش نحن ••• !
وانما أتم في عصر لكل أمرىء فيه مبدأ وغاية • أما المبدأ فهو المذهب الذي يختاره للكفاح في معترك الحياة •• وأما الغاية فهي المصلحة العامة التي يتوخاها في ضمن ذلك المبدأ •

وليس من سجايا العصر الحاضر وأخلاق جيله ، الايمان بالحجبت والطاغوت والتقرب اليهما بالمعاصي والمنكرات ، وبلوغ الأمانى من ناحية الكذب والزور والغش والدس والتضليل •• هذه صفحات مضى دورها وانطوت بين طيات اللحد ••

(١) الاعلى : ٩

وليست الغاية اليوم من الحياة سد الرمق ونيل الشهوات ، تلك
حياة البهائم والهوام وهى مضمونة لكل ذى روح بلا نزاع ولا جدال ♦♦
(وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها)^(١)
وعار على الانسان أن يكون في مضمار الحياة الاجتماعية أقل نفعاً
من المخلوقات المفطورة على نظام التعاون ، ولقد مشينا عشر سنوات مشية
البهم في الليل البهيم جاهلين ومجهولين ، حتى نسينا بل فقدنا كل ميزة
ورثناها من الماضى ، وحتى تقمصنا كل خلق ذميم وعبرنا عنه بالمهارة
و (المرونة) ♦

وأى عذر ينتحله المرء لنفسه اذا تقاعس عن واجبه وهو عالم به ،
وكان صحيح البنية قوي الحواس ؟ إن للانسان واجبات ازاء نفسه وازاء
وطنه بعد واجباته ازاء خالقه : أما واجباته ازاء نفسه فهى التهذيب
الصحيح الكامل الذى لا تشوبه شائبة ، والذى يمكنه من القيام بعمل من
الأعمال فى مجتمع هو فرد من أفرادهِ ، لئلا يكون عالة على المجتمع وعضواً
مفلوجاً يستتكره الخاص والعام ♦♦ واذا اعتاد الفرد حياة الذل فقد ذابت
ذاتيه وماتت ارادته واقتدى به غيره بطريق العدوى وفسد المجتمع ♦

وأما واجباته نحو وطنه فهى التفانى فى حبه وجعله فوق كل
شئ ♦♦ ولا يشعر الانسان بحب الوطن ولا يتفانى فى سبيله ما لم يهذب
النفس ويجردها عن كل نفع من شأنه أن يعارض المحبة الوطنية
و (حب الوطن من الايمان) ♦

هذه نبذة من أوصاف الانسان فى القرن العشرين !

واذا أردتم أناسي لا همّ لهم سوى تذليل الوطن وتشويه سمعته
بالأفعال والأقوال واهانة الرأى العام ♦♦ فاعلموا انهم أجانب عنه وان
كانوا من ابناؤه : (قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح)^(٢) ♦

(١) هود : ٦

(٢) هود : ٤٦

فاستعدوا للكفاح ولا تعتمدوا الا على أنفسكم ، وأكبروا الارادة في نفوسكم وغذوها بالعلم والعمل ، واستعينوا على تناول الثقافة بتأليف الجمعيات وجمع المال ♦♦ لأن الظروف لا تمكن ميزانية المعارف من توسيع نطاق التعليم ♦
فما علينا سوى أن نفكر في مصيرنا ونقتصد من قوتنا لتحرير عقولنا « وما حك جلدك مثل ظفرك » ♦

وآخر كلمتي أن تستمدوا العظمة من الأخلاق ، لتحطموا الشيود وتهدموا ما بناه الجهل والضلال وتبنوا لقومكم مجدداً يغبطكم عليه أبناء جيلكم ♦♦ « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأتتم الأعلان » (٤) ♦

فهمني المدرس *

(٤) آل عمران : ١٣٩
(*) مجلة الرابطة الاسلامية - العدد ١٨-١٩ دمشق - جمادى الثانية
١٣٥٢ هـ

الاخلاق بين العرب والغرب

- ٤ -

وإذا رجعنا الى الماضي البعيد وصافحنا الاحقاب المتسلسلة من عهد الاساطير الى قرون اليقظة وادوار المجد وانتهينا الى الفجائع الدامية والالواح المزدهرة واحدقنا بما حملته اعناق الدهور من عبر وعظات واستعرضنا الامم والدول والاقوام والحكام والعروش والتيجان والجحافل والاعلام يحف بها النصر والفتح ومن دونهما الجثث المهامدة والارواح المذعورة والدماء المسفوحة والرماح والنبال والفوارس والابطال والسابحات العتاق تقودها الحشمة والابهة والخيلاء تجر وراءها قوافل السلب والنهب تبعثها مقاصف اللهو والنعيم تحدق بها القصور الشامخة والصروح الممردة تتلوها الرسوم والاطلال *

اقول اذا رجعنا الى تلكم العصور وشرحنا صدور العز والعظمة لكل أمة جمعت المكارم والمفاخر ثم انقلبت على اعقابها فانا لا نجد للعلو والهبوط وللتكامل والسقوط وللتوقف والتقدم والتقهقر سوى علة واحدة هي الاخلاق فقط * والاخلاق هي التي تغلب الشعوب ذات اليمين وذات الشمال وهي التي تهين وتسيطر وترفع وتخفض وتفقر وتغنى وتعز وتذل وتبدى وتعيد *

فالاخلاق السامية تحرك ايدي العاملين على بناء المجد وتشيد عروشه وتشر لواء العدل والاحسان وتدحض القروق الباطلة وتساوي بين الطبقات والافراد وبين العناصر والطوائف في حالتى السراء والضراء وهي التي تدير اساليب الوثام والوفاق وتبث أوامر الحب والاخاء حتى بين الخصوم والاعداء وتبعث من بين الملايين من البشر نفسا عظيمة تسيطر آيات الشرف الباذخ والحب الرفيع على نواصي الانسان والاجيال وهذه هي الحكمة البالغة في قوله : (تخلقوا بأخلاق الله) *

وما من أمة اجترمت الجرائم واتسمت بالمعائب والتصقق بها العار
وذقت وبال الذل والخنوع الا وفساد الاخلاق قائدها وهو الباعث
لنفسخها وانحلالها ولذلك بنيت الاديان على مبدئين عظيمين « معرفة
الخالق وتهذيب الاخلاق » ومشيت مع الانسان في تطوراته حتى بلغ انصى
مراتب الكمال في امرى المعاش والمعاد وذلك هو سر البعثة النبوية المنوه
عنه في قوله : « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » (١) ولا تزال جرثومة
الفساد كامنة في الارحام تبعث من مرقدها اما لغلظ في الفطرة أو لضعف
في التربية أو لمرض في النفس أو غير ذلك مما يعترى المتحنيين بشهواتهم
من اعراض فجائية تسد عليهم طرق المحاكمة وتجعلهم يتخبضون خبط
عشواء و (لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) (٢)
واجدها بالذكر نزعات الظروف القاسية التي تنمقها يد غريبة عنك
شاعت الاقدار ان تعبت في مقدراتك فتستغل هذه وامثالها لغايات اقل ما
فيها شل الوحدة والفت في ساعد الجمهور والاخلال في السمعة
وتمزيق الكرامة ومن وراء ذلك تأمين المنافع وترويج المصالح الاجنبية :
(واما يزرغك من الشيطان نزرغ فاستعد بالله) (٣) واذا علمت ان القوانين
تسن لاحتكار الرزق وتذليل النفوس وثقت ان الفقر بالغ منتهاه وان
الجهل ضارب اطنابه وان ابواب الكسب موصدة لا الصنعة تروج ولا
التجارة تنجح ولا الزراعة تسمن أو تغنى من جوع وتحققت ان فساد
الاخلاق امر لا مفر منه •

فلا عتب ولا عجب اذا ما راجت اليوم سوق الفساد في الاخلاق وفي
الادارات واذا كان العدل أساس الملك فالاخلاق أساس العدل واذا كان
شيوع الفضيلة منوطاً بالتقدير والاحترام في الاوساط الحرة المألوفة
لارادتها والتي تغار على سمعتها وذاتيتها فهي بعكس ذلك في الاقطار

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل

(٢) البقرة : ٢٧٥

(٣) الاعراف : ٢٠٠

المغلوبة على أمرها لان السلطة الاجنبية يتوقف بقاؤها على أمور أهمها
الجهل والفاقة وسوء الاخلاق وهذه العناصر الثلاثة هي الدعامة التي تبنى
عليها صروح الاستعمار !

وإذا ما استحكمت شعائر الفضيلة بتشريع القوانين وتكامل نظام
الحياة الاجتماعية واثرى الشعب وارتفع مستوى الثقافة تعلمت النفوس
انها تعيش في قرن تحررت فيه حتى العبيد والمماليك ولو عولجت القضايا
الحيوية بهذه العقلية فالاستعمار يسقط بذاته ذلك لان الاستعمار والاخلاق
السامة ضدان لا يجتمعان •

فمن العجث ان ينتظر العرب من زعمائهم ومن ذوى الشخصيات
التي كانت (لا تريش ولا تبري) فتزعمت في هذا العصر ورأت ان
تعصم بحبل الله وتعنتق الفضيلة وتقمص الاخلاق السامية وتضحى بكل
غال ورخيص في سبيل العتق وفك القيود وانما الامر بعكس ذلك
فالتفريط في المبادئ والمقدسات وبث العداوة والبغضاء بين طبقات الشعب
وبين الافراد وتبرير هذه الاعمال من ناحية الاستهتار والغمز والطمس
على الحقائق والجهر بالسوء والكيد بالابرياء والتعاون على الائم والعدوان
وخنق الحريات والتشهير بهذه الامة على ايدي ابناءها كل اولئك من
الامور الطبيعية لا تستدعى الاستغراب والفتات النظر •• بعد ان تحقق
الجهل وسوء الاخلاق !

والذي يدمي القلوب ان الامم كانت تعتقد بأن العرب اذا اتاح لهم
القدر الفرصة وانفصلوا عن الدولة العثمانية وأسسوا دولتهم سيكون لهم
شأن في منظومة الدول يعيد الى الذاكرة تاريخهم المجيد ولم يكن يخطر
على بال أحد ان يتنازع سادتهم وكبرائهم على الحطام الفاني وتؤلف
حكوماتهم واحزابهم لمنفعة الغير وتذهب أموالهم وخزائنها ودمائهم ادراج
الرياح وفي النتيجة لا يبقى في كنانتهم سوى الالقاب والعناوين المجردة
وتتأصل في نفوسهم الضغائن والاحقاد وتبقى وحدها فقط ميراثنا للاولاد
والاحفاد •

هذه كلمة موجزة عن صفحات التقهقر وفساد الاخلاق ••
فيا ايها العربي التائه السائر في المنام أما أن لك أن تستيقظ من
رقادك وتفقه مايراد بك وتبعث من نفسك قوة تستمد منها الفيرة والشهامة
وتنفذ عن جبينك غبار الذل والعار واذا لم يكن ذلك الطالع افلا ترجع
الى القبور وتبحث في أعماق اللحود عن عظمة آباءك الاولين الذين ذلوا
الامم وثلوا العروش وحطموا التيجان وبسطوا جناحا على الشرق وآخر
على الغرب وتستوحى الرمم البالية والعظام النخرة وتجرد من بين ذراتها
المحدقة بك فزعاوغيظا - روحا تستفز الهمم وتصارع الاقدار اذا خانتك
الذاكرة وغضب عليك التاريخ وعز النصير !!؟

واتم يا شباب العرب : الى كم تغرکم الزخارف وتخدعكم الظواهر
وقد ديست الامة بعد ان كانت مواطىء اقدمها هام الملوك والسلاطين ••؟
أن وراءكم واجبا وان في ذمتكم امانة تسألون عنها في المستقبل القريب
فالى العلم الى تهذيب النفس الى اخلاق عظمائكم الذين طوقوا الاعصار
مجددا لا يبلى بالرغم عن الانوف ، اذا شاءت نفوسكم ان تحيي حياة
الابطال •

فهمني المدرس*

(*) مجلة الرابطة الاسلامية العدد ٢١ السنة الثانية دمشق ١٥
رجب ١٣٥٢ • هذا ما وفقنا في العثور عليه من هذه المقالة المتسلسلة
اما الحلقة الثالثة منها والمنشورة في العدد العشرين من المجلة المذكورة
فلم نوفق في الوقوف عليها •

الجمهورية التركية في عامها العاشر

لم يشهد التاريخ في جميع أدواره انقلاباً تناول جميع مناحي الحياة سياسية وإدارية واجتماعية وأدبية وعلمية واقتصادية في آن واحد وسار على خط مستقيم لا عوج فيه ولا التواء ، وأبليت عليه النفوس وتغلغل في انحاء المملكة ، وتخلل طبقات المجتمع على اختلاف العناصر والمذاهب والأديان وعلى تباين العقول والافهام في عشر سنوات حاملاً راية الفوز والنجاح في كل صفحة من صفحات التجدد والاصلاح وهو محفوف بأنواع العوارض والعقبات ، حتى قبض الغازي كمال باشا على ناصية النهضة التركية وقام بذلك الانقلاب الخطير الذي وقفت عنده دهاة العالم وساسة الامم ، فكان أعظم حجة على مواهب الشرق وما هو كامن فيه من نوادر الخصائص والقابليات ، وحقيق بالشعوب الناهضة أن تتخذ قدوة لها ومثالاً أعلى ♦

وثب الغازي من عرينه والمملكة العثمانية مقطعة الأوصال ، والأمة التركية لا تستطيع حراكاً لما اتبناها في الحرب العامة والحروب المتواصلة قبلها من نقص في الأموال والأنفس والبلدان ♦
خزينة خالية ، وديون مثقلة ، وفقر عام ، وسلطنة تن تحت حراب العدو ، ونفر من الجند منهوك القوى ، هائم في جبال الأناضول ، وأمة تستغيث ولا تغاث ♦

هذا ما خلفته الحروب ، وهذا ما ورثه الغازي عن أسلافه الفاتحين من تلك المملكة المترامية الأطراف ، والشوكة التي كان يرن صداها في مشارق الأرض ومغاربها ستمائة عام ♦

نفخ الغازي في روع الجيش التائه من روح الوطنية والبسالة ما بعث منه أبطالاً يحملون المجد على الجثث والهام سواء عندهم الموت والحياة ♦
وخاض غمار الحرب مع اليونان وفتح البلاد ، ودخل العاصمة ، وأجلى جيش الحلفاء ، ورفع أعلام الحرية والاستقلال على المعازل

والحصون ، وقلب نظام الحكم وأعلن الجمهورية ، ولم تقتر عزائمه
نشوة الظفر ، بل واصل الجهاد وتناول خطة الإصلاح من جميع نواحيه ،
وجاء بالخوارق والمعجزات •

نقضى على الأساطير والخرافات التي كانت تحول دون التقدم والرقى
كما هي الحالة عندنا اليوم ، واستبدل القبعة الأوربية بالطربوش اليوناني ،
والحروف اللاتينية بالحروف العربية وبعث من ملايين الأميين أمة تقرأ
السواد وتتقن الحساب بالأرقام في خلال أربع سنين ، بعد أن كان
القروي لا يهتدى الى من يقرأ له الكتاب ويحجب عنه الا بشق الأنفس ••
وأعد للجيش عدته بحيث أصبح من السهل أن يجتمع لديه في شهر
مايتان وخمسون ألف جندي بسلاحه ومدافعه ومدركاته وطائراته على
أحدث طراز ، وأسس من المعامل الصناعية ما يجعل البلاد بعد ثلاثة أعوام
في غنى عن المنتجات الأجنبية •• وشيد الوفاً من المعاهد العلمية على
اختلاف الدرجات حتى بلغ عدد الطالبين والطالبات ثمانمائة ألف والتأسيس
مستمر وعدد الطلاب يزداد كل عام عشرات الألوف •• وشجع المنتجات
الوطنية ووسع نطاق التجارة والزراعة وجعل مصلحة الاقتصاد بأيدي
الترك بعد ان كانوا بعيدين عنها كل البعد وبعد أن كان حتى القمح يأتي
من الخارج ، وحرص على الذهب ومنع خروجه من البلاد ووضع
دستور : - كل شيء هو لنا - •• وبنى عاصمة للملك في أنقرة تضاهي
عواصم الغرب في بداعة حداثتها وهندسة مبانيها واستقامة شوارعها في
خلال سبع سنين على ما في البلاد من فقر مدقع وقد لا يتسنى لغيره أن يأتي
بمثلها في أقل من سبعين عاما •• وأسس المصارف للزراعة والعمل
والمعادن والصناعات والأماك والأيتام وصار يمد الناس بالمال ويحملهم على
السعي ويجب اليهم كدّ اليدين •• واشترى خطين حديديين لهما
أهميتهما ، أحدهما خط مرسين - أطنه والثاني خط أطنه - فوزي باشا ،
وآتم في هذه المدة القصيرة عملية (١٩٨٥) كيلو مترا من خطوط الحديد ،
وما هو على وشك الختام تبلغ مسافته (٢٢١٣) كيلومترا ، وقد وصلت

الخطوط الأنفة الذكر أنقره بقيصرى وقيصرى بسيواس وسيواس
بصامسون وكوتاهية بباليكسر واولو قشلة ببوغاز كوى وايرمق بفيليسيوس
وفوزي باشا بديار بكر • وأصلح نظام الجامعة وأبلغ عدد أساتذتها الى
أربعماية أستاذ • • وأنشأ في كل قرية من قرى الاناضول مسجدا ومدرسة
وأكثر من انشاء المستشفيات وعني بالصحة العامة أكبر عناية ، الى غير
ذلك مما هو مذاع في احصائيات الجمهورية خلال عشر سنوات •
وجدير بالشعب التركي أن يحتفل اليوم بعيد السنة العاشرة
للجمهورية وقيم الأفراح والمسرات ويلقب هذا اليوم بيوم النجاة والسؤدد
والمجد الطريف ، وهو غرة في جبين الشرق عامة وعالم الاسلام خاصة •
وحقيق بنا أن نشاطر اخواننا الأتراك أفراحهم لما بيننا وبينهم من
روابط مرت عليها القرون وجعلتنا كنفس واحدة فعزهم عزنا ومجدهم
مجدا وسعادتهم سعادتنا ، ولنا أسوة بهم اذا ما أردنا أن نسير واياهم في
مضمار الحياة كفرسي رهان و (لمثل هذا فليعمل العاملون)^(١) •

فههي المدرس *

(١) الصافات : ٦١
(*) جريدة «الاخاء الوطني» العدد ٤٩٤ السنة الثانية ٢٩ تشرين
الاول ١٩٣٣ •

الجمهورية الكمالية

في عامها الحادي عشر

تقام الافراح اليوم في أنحاء تركيا الحديثة احتفالاً بعيد الجمهورية الكمالية التي مرت على تأسيسها أحد عشر عاماً كل يوم من أيامها عيد وأي عيد ... !

وإذا ما احتفل اخواننا الترك بهذا اليوم فانما يحتفلون بحريتهم واستقلالهم وبذلك التقدم السريع في مضمار الحضارة الذي عم البلاد شرقاً وغرباً في كل ناحية من نواحي الحياة حتى بلغ أقصى ما تصل اليه قابلية البشر في مثل هذا الزمن القصير ، ومنتهى ما يتناوله العزم الخارق من الفوز في احياء مجد مندثر وتديير مملكة تكاد تلفظ آخر أنفاسها وليس لها ولي ولا نصير .

حكمة بالغة ودهاء فوق كل دهاء ، وعزم لم يبلغ مداه أحد من المجددين في طي الزمان بتلك السرعة الذائعة الصيت التي شغلت صحف العالم على الاطلاق ، ورددها الساسة والزعماء مع الاعجاب والاكبار في مشارق الأرض مغاربها ، الاصدقاء منهم وغير الأصدقاء .

حقاً لقد أنجب الشرق بعد عقم دام قرونا من بين مئات الملايين من رجاله دهاء يحق للأقوام الشرقية ان تنافس به الامم الغربية اذا عدت مناقب الفتح والتجدد والاصلاح .

أسس الغازي مصطفى كمال باشا الجمهورية على أنقاض دولة تآدت تتلاشى بين أضراس الحرب العامة . لم يُبق لها الطالع العشوم من تراث الفاتحين سوى ذكريات العظمة المطمورة في أعماق التاريخ . ملك مضاع ، وشعب مأسور ، وسلطنة لا تملك من الأمر شيئاً ، وبقايا مملكة تخفق عليها أعلام الاحتلال ، ولم يكن من عناصر القوة سوى

نفر منهوك القوى هائم على وجهه ينتقل من قمة الى قمة يترقب الموت على عدد الدقائق والساعات •

وهذا ما حمل بعض السياسيين في الغرب على التصريح :- بان انترك ماتوا وقبروا ووضع عند رأسهم حجر التاريخ ، ولكن غيرة الله أبت الا أن تكون كلمة الحق هي العليا •

نهض الغازي باولئك نفر المتشردين في الفيافي والجبال ، ونفخ فيهم روح الحماسة والشمم وعرض عليهم من صحائف آباءهم الأولين ما جعلهم يؤثرون الموت على حياة الذل والاستعباد وجرى السيف وسار بهم الى الأمام وأقام على سواعدهم دعائم المجد ، ورفع راية النصر والفتح المبين •

ولم يكن هذا النصر مقصوراً على الأمة التركية بل عمت أفراده الشرق من أقصاه الى أقصاه •

فعيد الجمهورية الكمالية هو عيد الشرق بأسره على اختلاف العناصر والمذاهب والأديان ، كما ان مصيبة الاحتلال من قبل ذلك النصر العزيز لم ينفرد بالأمها الشعب التركي وانما كانت مصيبة الشعوب الشرقية بدون استثناء •

التطور في عهد الجمهورية :

أما تطور البلاد في عهد الجمهورية الكمالية بعد وقوف دام قرونا وبعد نواب الانقلابات ومصائب الحروب المتواصلة فهو من الأمور التي تتوقف معرفتها على المشاهدة ، اذ ليس من السهل ان يتصور الكاتب حركة مستمرة كل يوم هي في شأن ، والسر فيها ان (الغازي) لم يقصر نظره على ناحية من نواحي الحياة ، بل نظر الى جميع النواحي بماستحقته من العناية وعالجها في وقت واحد وبسرعة خارقة معالجة حكيم حاذق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة طبقاً للخطط التي رسمها في مخيلته من قبل أن يقبض على ناصية الحكم ، وأهمها العلم والقوة والمال •

فأعد لهذه العناصر الحيوية عدتها على ما فى البلاد من انحلال وجهل
وخراب وفقر عام ، وأصبح لديه فى خلال أحد عشر عاما جيشان : جيش
مجهز بأحدث الآلات والأدوات الحربية ، وجيش مثقف متقيفا عصريا فى
جميع الشعب العلمية والفنية .

بدأ بالأصلاح العلمى من تعليم الأميين ، وتعديل مناهج التعليم
الابتدائى والثانوى وجعلها مطابقة لمناهج العصر الحاضر الى أن ألقى
(دار الفنون) وأسس بدلاً منها جامعة على نسق الجامعات الأوروبية بعنوان
(اونيون رسيته) استدعى إليها أساتذة اختصاصيين من الأجانب ، وأحدث
فيها كرسيًا خاصًا لألقاء المحاضرات حول انقلاب أنقرة يلزم بها طلاب
التحصيل العالى .

وأنشأ المصارف الزراعية والصناعية ومعامل لمختلف الحاجات
وأضاف إليها فى هذا العام معامل السكر فى (باقر كوي) وفى (أزمير) .
وفى (تور حالي) وافتتح فى أزميز فى ٩ أيلول ١٩٣٤ معرض بين
الملل الرابع ، واشترى سكة حديد (ديار بكر - أرغني معدني) وسكة
حديد (أزمير - ايدين) علاوة على السكك الحديدية التى اشتراها فى
العام الماضى وحصر التجارة بأيدي الأتراك ، وفضل القرض الداخلى على
قرض من دولة أجنبية حذراً من أن يؤدي الى صراع قد يؤثر فى روح
العلائق الودية أو يجر الى التحكم فى بيت المال .

والذى يظهر من النشرات أن البلاد ستكفي بمنتجاتها الوطنية بعد
ثلاث سنوات .

وبعد أن كانت النفوس لا تتجاوز (١٤) مليوناً أصبحت تزيد على
(١٨) مليوناً بفضل الوسائل المعدة لهذه الزيادة ، من التشجيع على الزواج
وتخفيف نفقاته بحكم القانون ، ومكافحة الأمراض الفتاكة ، وحماية
الأطفال ، وتشويق الأتراك على الهجرة من البلاد الأجنبية الى تركيا .
ونهج فى السياسة الخارجية منهج التودد والمسالمة مع جميع الدول

على أساس دفع الشر بالتى هى أحسن ، لأن البلاد فى دور تفتقر فيه الى
الاستقرار التام والانصراف الى السعى والعمل •

ومما يجدر بالذكر فى هذا المقام ما أبداه من المهارة فى تحقيق
الحلف البلقاني الذى عقد فى ٥ شباط ١٩٣٤ الضامن للسلم والمواولة بين
تركيا ورومانيا ويوغوسلافيا واليونان على أن ينعقد المؤتمر عند الحاجة فى
استانبول • والاتفاقات المهمة بين تركيا وروسية ، وتأييد الروابط بين
الشعبين التركي والفارسي والتآخي بينهما عندما زار أنقرة صاحب الجلالة
(رضا شاه بهلوي) شاهنشاه الامبراطورية الايرانية فى ١٢ حزيران
١٩٣٤ ، وانتخاب تركيا للعضوية فى مجلس عصبة الأمم فى أيلول
١٩٣٤ ، وتسوية ما حدث فى شواطئ أزمير من الحوادث الثلاث المعلومة
مع بريطانيا واطاليا وفرنسة بأسلوب ينم عن دهاء وحكمة وانتباه ،
وانعقاد مؤتمر البرلمانات الدولى فى استانبول فى تشرين الاول ١٩٣٤ •

وبين هذه الأعمال التى يحتاج كل منها الى زمن والى انقطاع عما
سواه بنى عاصمة للملك على خطط عواصم الغرب •

أوردنا هذه الكلمة لا لاطلاع القراء على حركة التجدد والاصلاح
فى قسيمتا تركيا خلال أحد عشر عاما المعلومة لدى معظمهم من طريق
المشاهدة أو من اذاعات الصحف ، بل لئلت الانظار الى ان وضع تركيا
قبل تأسيس الجمهورية الكمالية لم يكن بأحسن من وضع العراق حين
الانفصال ، ولكن جهاد اولي العزم من رجالها أوقف كل طامع عند حده
وجاء بما لم يكن فى الحسبان • اذ لا عذر اليوم لأمة تقف أمام الحركة
العالمية وقفة المتفرج لا تبدي حراكاً مهما كان شأنها فى منظومة الدول ،
والظروف الحاضرة جعلت الامم تحسب للدقائق حسابها فضلاً عن
الأعوام •

وان الذي يدرك وضع العالم ويقدر وضع بلاده ويعلم ما يعده البشر
للشمر من الدواهي والآفات لا يلذ له عيش ، ولا يقر له قرار ، ولا تأخذه
سنة ولا نوم حتى يرى بلاده في أقصى مراتب العز والكمال ♦

فهمني المدرس*

(*) جريدة «الاخاء الوطني» العدد ٧٩٢ السنة الرابعة ٢٩ تشرين
الاول ١٩٣٤/٢٠ رجب ١٣٥٣ ♦

فلسطين بضعة من العراق

ما أذاع البرق نبأ التقسيم إلا التهب الشعب العراقي ، وأخذ الحماس منه مأخذه ، وعمّ الهياج ، وغصت الميادين بالجماهير المتهمة احتجاجاً على ما حواه تقرير اللجنة الملكية من الاعتداء على اخواننا الفلسطينيين في حقهم المشروع وعلى مقدساتهم وأمانهم القومية وتراثهم التليد ، والضربة القاضية على مجد العرب وعلى مفاخر المسلمين منذ عهد الفاروق (رض) الى يوم الانتداب •

ولم يخطر على البال ان الانتداب الوقتي الذي فسرتة (عصبة الامم) بالمساعدة والمشورة ينقلب الى جعل الارض المقدسة نهباً مقسماً ، وان التدريب على الحكم الذاتي يتمثل في استباحة ملك الاهلين واجلائهم عن مواطنهم تاركين وراءهم أقدس الخواطر وأعز الذكريات ، وان يحل في محلهم شرادم من المشردين الذين جيء بهم من شتى البلاد النائية لغايات هي ونص الميثاق على طرفي نقيض •

اضطرب العراق وارتعدت فرائضه لهذا القرار ، ووثب وثبة الأسد الهصور لأن فلسطين بضعة منه ، فقد ضمت الارض المقدسة عظام الآلاف من العراقيين الفاتحين الذين جاهدوا في جيش بطل العراق (صلاح الدين الايوبي) ذلك الفاتح العظيم الذي انحنى لجلاله وعظمته العالم بأسره ، وركع أمام ضريحه (ويلهلم الثاني) في أيام شوكته واضعاً عند رأسه التاج اجلالاً لمقامه الرفيع •• وتلك من المفاخر التي تتوارثها الأعقاب جيلاً بعد جيل •

وما من أمة استسلمت للقضاء على مفاخرها الا اندثرت وبادت وأصبحت أثراً بعد عين • لذلك كان النبأ المفاجيء وقعه الأليم في الأندية والمجتمعات العراقية على اختلاف العناصر والطبقات •

ولو لم تعالج الحكومة تلك الثورة النفسية وذلك الهياج العام بالحكمة والموعظة الحسنة لما وقف الأمر عند هذا الحد ، اذ ليس الباعث

على ذلك فوران الشعور الديني وغلجان العصية القومية فقط ، وانما هنالك
بواعث أخرى استفزت العواطف وهزت الاعصاب .

فان إحداث دولة من رعايا أكثرهم أجنب عن البلاد ، رؤساؤها
لهم السيطرة على العالم بما لديهم من أموال لا حساب لها ، خطر يهدد
العراق أولاً وبالذات . . لأنه من المستحيل ان تبقى تلك الدولة المستحدثة
محصورة في الساحل ما دام باب الهجرة مفتوحا وليس في الامكان سده
مهما تعهدت الدولة المنتدبة ومن ورائها عصبه الامم ، واذا ما ضاعت بهم
الارض وانسدت في وجوههم طرق المعيشة فلا ما نع يمنع ذلك السيل
الجارف من التسرب الى العراق والاستيلاء على موارد حياته ، بل ولا مانع
يمنع غيرهم من الاقوام الذين تضيق بهم الارض ويتعذر عليهم سد الرموق
من الهجرة الى ارض الرافدين ومزاحمة الاهلين في ارزاقهم قياسا على
الذين يهاجرون اليها من أرض فلسطين ، فضلا عن الاخطار التي ذكرتها
الحكومة في مذكرتها الى عصبه لامم المنشورة في الصحف المحلية ، وكل
منها سبب كاف للدفاع عن فلسطين ومقاومة ذلك القرار .

فكان حتما على العراق ان يحسب لها ألف حساب ، وان لا يقبله
قرار ، وان يسبق غيره من الاقاليم العربية والاسلامية برفع الاحتجاجات
أما من ناحية الشعور الديني والعصية القومية فلا نظن أن مسلما صادق
الايمان وعربيا يجرى في عروقه دم العروبة يتوانى في تضحية أعز ما لديه
في هذا السيل .

وانا على يقين بان دول الاسلام بما فيهم ملوك العرب وامراؤهم
سيكون لهم في هذا الامر الخطير موقف رهيب . اللهم الا من طبع على
الذلة والمسكنة ولاذ بالخيانة من طريق الحياذ لينال من الاجنبي نصيبا زهيدا
من الجاه الزائف والحطام الفاني ، ولا نظن ان بين العرب والمسلمين من
تحدثه نفسه بمثل تلك الخيانة ، وان وجد على سبيل الشذوذ فذلك ليس
بمسلم حقيقي ولا عربي خالص الدم ، ولا بد من أن يذوق وبال أمره ،
ويستحق لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

ولقد رأينا من صالحنا ومن صالح حليفنا ان نقترح لهذه المعضلة حلا
يضمن الاستقرار والطمأنينة الى أمد بعيد ، ولا يدع مجالا للمقتن والانتقام ،
ألا وهو استفتاء الشعب الفلسطيني في شكل الحكم الذي يرتضيه ، باستثناء
الدخلاء الذين جيء بهم الى الارض المقدسة في عهد الانتداب ، اذ ليس لهم
أي حق يخولهم الاشتراك في مقدرات بلاد ليسوا من أهلها •

كما انا نعتقد بان ذلك الحل في صالح اليهود المتوطنين في البلاد
العربية منذ قرزن ، وهم يتمتعون بعين الحقوق التي يتمتع بها غيرهم من
الطوائف آمين مطمئين لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، وهم المهيمون على
اقتصاديات البلاد ، وهم أصحاب الثروة ونحن الفقراء •

أما اذا تم التقسيم - ولا نعتقد ذلك - فالعاقبة مجهولة ••

اذ كيف يعقل ان تفتك السياسة بالعرب والمسلمين ذلك الفتك الذريع
ومئات الملايين من المسلمين يخلدون الى السكينة ويلتزمون الحياد ،
والشعور بالواجب في هذا الموقف سواء بين العربي والتركي والفارسي
والافغاني والهندي والكردي والصيني وغيرهم من العناصر المسلمة •

هذا ما اردنا بيانه حقنا للدماء ، وحرصا على محافظة السلم العالمي
وقطع دابر الفتن ، معتقدين في ذلك الخير لنا ولهم (والسلام على من اتبع
الهدى) (١) •

« عراقي * »

(١) طه : ٤٧

(*) جريدة «البلاد» العدد ٩٤١ الصادر في ١٠ آب ١٩٣٧/٣

جمادي الثانية ١٣٥٦ •

الشرق وأساليب الاستعمار

مارس المستعمرون طبائع الشرقيين وعجموا عودهم ، فبين لهم بعد الممارسة والتجارب فى مختلف المقاطعات ان الامر لا يتم لهم الا بتمزيق الوحدة وافساد الاخلاق .

أما تمزيق الوحدة فذلك عليهم هين . لان كل مقاطعة من مقاطعات الشرق تضم بين ظهرانيها طوائف وعناصر شتى ... ومن السهل ايقاظ الفتن اذا كان القوم طرائق قديما ، واذا كان التعصب الاعمى مسيطرا على العقول ، ومن وراء ذلك سياسة الانغراء تمدهم بالقوة والمال .

فما احتلوا أرضاً من أراضى الشرق الا استفحلت العداوات ، وانتهت الحزازات ، وتوالت الفتن وتمادت الثورات ، وسالت الدماء ، وتمزقت الوحدة ، ساءت الاخلاق . والامثلة على ذلك أمامنا ونصب اعيننا ، ومن الطرق المؤدية الى هذه الغاية التلويح بالمناصب لنفر من الاسقاط ، لانهم أسلس قياداً ، ولانهم أسرع واسطة لمسح الشعور وافساد الاخلاق ، وترويج المقاصد فتشور فى النفوس نائرة الحسد ، وتدفعهم العنجهية الى التكالب على المنافع الشخصية من وراء الجاه الزائف .

فمن تزلف ومواربة ، ودس ومغامرة ، الى تشاحن وتباغض ، الى نزعات هدامة ، حتى تنكشف المعاييب والمساوىء ، وتفصم عرى الوئام ، ويقوم الحكم على أساس فاسد لا يمكن تلافيه والاستعمار (باسط ذراعيه بالوصيد)^(١) .

هذا ما ظهر للمستعمرين من تجاربهم التى مكنتهم من الاستعباد على طول المدى .

(١) الكهف : ١٨

ولن تتبدل تلك السياسة مادام الاستعمار فاعراً فاه لا يغادر بقعة من
بقاع هذا الشرق الغافل الاحاول احتلالها ♦

الحكم الاهلي :

وقد افادتهم التجارب ان تأسيس الحكم الاهلى فى المستعمرات
اضمن لمصالحهم من الحكم المباشر واقل مؤنة ♦
فيؤلفون حكومات واسعة النطاق لها من التشكيلات الادارية والسياسية
والصحية والعلمية والزراعية ، ومن مؤسسات العدل والامن وال عمران
مالغيرها من الحكومات العريقة فى الحكم ، وقد تكون اوسع منها بالرغم من
حدائقها واحتياجها المحدود ♦ ذلك ليتناول جم غفير من الاهلين رزقهم من بيت
المال بدون ادنى مشقة وعناء ويعرضوا عن الاكتساب عن طريق التجارة
والصناعة والمهن الحرة والتشبت الشخصى المتوقف على مواصلة السعى
والعمل ، واقتحام العقبات ♦

فتستغرق ميزانية الدولة نفقات الرواتب والترف والابهة وفى ذلك
فائدة اخرى للمستعمرين وهى التمويه على المقاطعات التى لم تصل اليها ايديهم
من بلاد الشرق لعلها تنجذب الى تلكم المظاهر الخلافة فتقع فى الفخاخ
كما وقع غيرها ♦

واذا ما تحتم انفاق شىء على مشروع ما حقاً كان أو باطلاً فعندئذ
يفتح باب القرض على مصراعيه لتنوء البلاد بأعباء الفاض ورأس المال ♦

الحكومة الاهلية ومظاهرها :

تتألف الحكومة الاهلية على هذا النمط فتعص دواوينها بجماهير
الموظفين من مديرين ، ومعاونين ، ومميزين ، وملاحظين ، ومدققين ،
ومراقبين ، ومشاورين ، ومفتشين ، ورؤساء ، وحكام ، وكتاب ، وطابعين ؛
وغيرهم ♦

واذا تتبعنا الآثار فانك لا تلمس من هذه التشكيلات المنظمة سوى
عدد كبير من السيارات المصطفة فى قاعات الحكومة وغرف مؤتة بأجمل

الاماث واضبارات مسطرة على المناخذ تسع وتسعون بالمائة منها معاملات تدور حول أمور لا شأن لها سوى تكثير السواد ؛ وقوانين تعدل وتغير بحسب الاغراض ، ونقل وتحويل لا داعي لهما سوى الاشتغال بالعبث والاسراف فى النفقات ، والغاء يعقبه احداث بعين المعنى ، وعود على بسء كلما تغيرت الوزارة ، وجمهور من المراجعين على ابواب الدواوين يترقبون الرحمة من أولياء الامور ، وآلاف من المرضى تعبت فى حياتهم اطماع الدجالين :
والناس فى غفلة عما يراد بهم

كأنهم غنم فى بيت جزار

أما مؤسسات المعارف ، والصحة ، والامن فمما تحمل على الاعتقاد بانها لم تؤسس الا لافساد الاخلاق ، وقبض الارواح ، وتشجيع الجرائم ؛
ومما يحمل المستعمرين اوزارا فوق اوزارهم •

الملاهي والخلاعة :

ولكى يصرف الرأى العام عن التفكير فى هذا الوضع الاليم يفسح المجال لتشييد مواقع اللهو والخلاعة والمقامرة بأنواعها فيغمس الشعب على اختلاف الطبقات ذكوراً واناثاً فى اللذائذ الدنيئة والشهوات البهيمية المؤدية الى الافلاس ، ومسوخ الاخلاق ، واقتراف الجرائم ولا سائل ولا مسؤول •

الدستور والبرلمان :

ومن أساليب الاستعمار ان يخلع على المستعمرة دستوراً يجعل الحكومة مسؤولة تجاه برلمان ينتخب اعضاؤه من قبل الشعب وفقاً لقانون خاص ، ولا يعمل به • لان الوضع يقضى بأن لا يتعارف النواب والشعب الا فى قاعة البرلمان •

غير انه - تحلةً للقسم - تجرى مراسم صورية تتناول ما جاء فى قانون الانتخاب من هيئات تفتيشية ، والواح معلقة ، وخزانات مهياة فى المناطق ، واذاغات فى الصحف عن فوز المنتخبين الثانويين والنواب •••

والشعب لا رأى له فى جميع ما يجرى من هذه المراسم التى عرف دخالها
فابى الا الابتعاد عنها ، ويعبر عن هذه المقاطعة العمومية بالهدوء والسكون •
والغرض من هذه المراسم ان يصطبغ البرلمان صبغة مشروعة فى الظاهر لان كل
وزارة تتبوأ مقاعد الحكم مكلفة بتنجيز قسم من مطالب المستعمر كتشريع
القوانين التى تتطلبها مصالحه وتصديق المعاهدات والمقاولات المجحفة
بحقوق البلاد •

وإذا سمح للشعب بانتخاب نوابه على الطريقة الدستورية فمن
الملحوظ ان لا تحقق الاكثريه المؤيدة للوزارة والوزارة مضطرة الى مجلس
يؤيدها على كل حال ، بعد ان تحل المجلس السابق بحجة استفتاء الشعب فى
الاصلاحات الخطيرة والاصلاحات الخطيرة فى لغة المستعمرات هى تنجيز
تلك المطالب الاستعمارية عن طريق البرلمان ، كأن الشعب هو الراغب
فيها •• واما ما يخص البلاد من الاصلاحات فابقاء ما كان على ما كان هو
الاصح لىستمر التطور المعكوس المؤدى الى التفسخ والانحلال وبذلك
يطول أمد السيطرة ويمتد النفوذ من طرف خفى الى كلييات الامور
وجزئياتها فيظهر عندئذ رجحان الحكم المباشر على الحكم الأهلى ولذلك
يطلب الى رجال الحكم ان يصرحوا بأنهم احرار فى تصرفاتهم لتسند
الخيانة اليهم ويشدد التذمر من أعمالهم والاستهتار بهم ، والنقمة عليهم
ويتخذ ذلك سبباً لاسقاط الوزارة عند انتهائها مما هى مكلفة به من
الاصلاحات الخطيرة التى مر ذكرها وهكذا دواليك •

المعارضة المصطنعة :

ومن جملة الاساليب ايجاد فئة معارضة فى البرلمان على ان لا تتجاوز
حدود الاقلية الضئيلة للايهام على الخارج وعلى الاجيال المقبلة بمشروعية
الاعمال ، فتحمس ، وتجادل ، وتصخب وتثير ضجة يرن دويها فى
الآفاق ، وتهان ، ويخرج بعض رجالها من المجلس ، ويستقيل وان هى
الأمور مصطنعة •

وان هذه المراسم الصورية وتلك المعارضة المرتبة لما يسد باب
الاعتراض فى المستقبل على المشاريع التى ينجزها مثل هذا البرلمان ضد
مصلحة البلاد •

الاحزاب والجمعيات :

وقد تتألف الاحزاب والجمعيات فما تلبث ان تخدم انفسها لما تقاسيه
من مطاردة الحكومة الاهلية ، فلا يسعها التوسع وايقاف الرأى العام على
ما يضره وينفعه لان ذلك يعارض أهداف السياسة الاستعمارية التى ترمى
الى تدريب الشعب على الجمود والانخزال •

حرية الصحافة :

ومن الاساليب المألوفة لديهم اطلاق الحرية للصحافة المحلية قبل
تأسيس الحكم الاهلى فاذا ما حكم الاهلون ضاق عليها الخناق وتقيدت
بالمدح والاطراء ما دامت الوزارة قائمة واذا ما انتهى أمدها قلبت لها ظهر
المجن وانقلبت الى طعن وتشنيع لئلا يبقى بين الاهلين من يوثق باخلاصه
ونزاهته وتبقى الكفة الراجحة فى جانب الحكم المباشر ، وتوزن الاخلاق
بهذا الميزان •

الغرامة فى منح الحكم :

ومن اغرب ما فى الاساليب انهم لا يمنحون هذا الحكم الهزيل
الا بعد الملاحم الدامية والتهجير والتقتيل والحبس والنفى ، والاعدام •••
ليترأى للشعب المجاهد بعد الحصول عليه انه خرج من الظلمات الى
النور ••• فيقيم الافراح ، والاعياد والحفلات ، والمهرجانات ، ويرفع
الاعلام ، ويطوف المدن ويضرب الطبول ويعزف ويترنم بالاناشيد ويهنئ
بعضه بعضا باسم الحرية الكاذبة والاستقلال الموهوم •

واذا ما عرضت عليه المعاهدات والمقاولات فانه يقبلها عن طيبة خاطر ،
وهى تلکم الصكوك الاستعمارية الا انها تكتسب شكلا مشروعا بالموافقة عليها •

الاستعمار ومسح الشعوب :

ولو شاء المستعمرون لجعلوا من المستعمرات جنانا مزدهرة بأزاهير

الحضارة والمدنية لا تختلف عن بلادهم في شيء * * * ولكن غرضهم الاسمي هو القضاء على البقية الباقية من مواهب الشرق ليسمى لهم الاستعباد الى امد بعيد * * * ولذلك لهم من الاساليب ما من شأنه ان يجرد الشعب من الارادة وحرية الأختيار ويسلبه جميع خصائص الانسانية من راقفة ورحمة وغيره وحمية وشهامة *

فلا يتألم لفاجعة ، ولا يحزن لمصيبة ، ولا يرق لبائس ولا يشعر بواجبه تجاه نفسه ووطنه وخالقه ، ولا يستنكر الفاحشة ما ظهر منها وما بطن (كأنهم خشب مسندة) (٢) *

الخاتمة :

اتينا بهذه التبعة من الاساليب المعلومة لدى الكثيرين من متبعي سياسة الاستعمار لتثنيه اخواننا المسلمين المجاهدين في البلاد المعذبة الى ان مثل هذا الحكم المقوت (لا يستحق) التضحية بالانفس والاموال فلا تغرنهم الفخفخة ولا ينخدعوا بالظواهر كما انخدع غيرهم (ولات حين مناص) (٣) *

« عراقى » *

(٢) المنافقون : ٤

(٣) ص : ٣

* الكفاح ، العدد ٢٦٨ الصادر في ٤ آب ١٩٣٨

حول التربية والتعليم

يجب ان تبني التربية على أسس التعاليم الاسلامية

التعليم الابتدائي :

لما كان التعليم الابتدائي هو الاساس الذي تبني عليه درجات التعليم في جميع شعبه وفروعه وأول مرحلة يجتازها المتعلم في سن تتطلب الملايمة مع نفسيته وبنيته وادراكه وجه اليه ذوو الشأن في البلاد الحرة أقصى ما يمكن من العناية والاهتمام بعد الممارسة والتجارب الدقيقة فأعدوا له طبقة من المعلمين الذين في استطاعتهم ان يتمشوا مع مستوى التلميذ وحالته النفسية المتغلب عليها الانفعال لادنى شيء .

والتزموا في منهاجه وكتبه منتهى السلاسة والسهولة مع مراعاة التدرج بحسب النمو والقابلية بحيث ان التلميذ لا يشعر بأقل كلفة في تلقي المباحث وحفظها والانتقال من صف الى آخر .

وحدودا عدد التلاميذ في الصفوف ليتمكن المعلم من تمرينهم فرداً فرداً .

وجعلوا للمدرسة ميزة على غيرها في تنسيق حدائقها والعابها ليقبل عليها التلميذ اقباله على أحب شيء اليه .

وابتكروا من الهدايا ما يتناسب مع اذواق التلاميذ ليزدادوا شوقاً ونشاطاً وحبا للمدرسة .

وقد مضى على تأسيس الحكم الاهلي في العراق (١٨) عاما ولم تفكر في اعداد طبقة من المعلمين والمعلمات على الوجه المذكور ولا وضعنا منهاجا وكتبا تلايمه ولم نحدد عدد التلاميذ في الصفوف ولا نزال دور السكني المعدة لبضعة اشخاص على هندسة سقيمة لا يتخللها الهواء الجيد ولا فسحة

فيها للتنفس فضلاً عن الحداثق والالعب يكتظ في حجراتها المئات من
الاطفال بالرغم من اختلال صحتهم واضطرابهم من ذلك الازدحام ♦
ومن القائص البارزة في التعليم الابتدائي ان معظم كتبه غير مشكول
وذلك مما يشكل القراءة على الطفل ويتعب ذهنه ويولد في نفسه الملل
ويعود ابناءنا وبناتنا على اللحن حتى بعد الدراسة الثانوية كما هو واقع
بالفعل ♦♦ والاستغناء عن الحركات انما يصح اذا كان تدريجياً وبنسبة
الممارسة والرسوخ والوقوف على القواعد والافتلמיד يستمر على اللحن
حتى يصبح اللحن عادة ملازمة له ♦

وقد اطلعنا على كتاب الدين فوجدنا اكثر المباحث لم يقسم على الصفوف
تقسيماً يلائم قابلية الطفل والطفلة كتكليفهما بمعرفة (الصفات الثبوتية
والسلبية) وهما في الصف الثالث وان الكلام هو المعنى القائم بذات الله ♦♦
والزامهما بمعرفة القروض والواجبات والسنن والمستحبات ♦♦ فذلك
كله مما لايسعه ادراكهما ♦ على ان الطريقة العملية في الوضوء والصلاة
في هذا الصف أكثر فائدة من حفظ الالفاظ بدون فهم وتطبيق ♦

وبعض المباحث لازم حذفه بالنظر الى الاناث كالزام البنت الصغيرة
بمعرفة أحكام اللحية الكثيفة واللحية الخفيفة في الوضوء وكيفية صلاة
الجمعة والعيدين وهي غير مكلفة بها ♦

وابحاث تسمم من نفس الطفل والطفلة كتكليفهما بوزن مقادير
النجاسة المغلظة والنجاسة المخففة في الصحيفة (٧) والمياه تتدفق من كل
جانب ♦♦ الى غير ذلك مما نؤمل ان يتناوله منهاج الاصلاح فيما يتعلق
بتهديب كتب الدراسة الابتدائية ♦

ولذلك نجد الطفل مغتبطاً يوم قبوله ، وبعد قليل تبدو عليه علامات
النفرة والانزعاج ثم يؤول به الامر الى اتئحال الاعذار للتأخر والانقطاع
واستعمال وليه معه الشدة والارهاب حتى تنقلب المدرسة في نظره الى سجن
وينقلب العلم الى آفة من الآفات ♦

ومن هنا يظهر الفرق بين اسلوب التعليم والتربية في العراق وبين اسلوبه في البلاد الاخرى ومع ذلك يزدحم أولياء الاطفال على أبواب المدارس كلما حان وقت القبول ازدحاما لا يتفرق الا بالقوة .

العراق والمواهب الفطرية :

على ان العراق لم يكن - قبل هذا العهد - محروما من التربية والتعليم وان العراقيين لهم من المواهب الفطرية ما يمكنهم من قطع المراحل بأقصر مدة ويجعلهم في مقدمة الناجحين في الاعمال .

كما سبق لهم ان امتازوا عن غيرهم في المدارس العثمانية - على اختلاف درجاتها - ملكية وعسكرية مع ان لغة التدريس كانت غير لغتهم . ويكفي دليلاً على ذلك ان معظم القائمين بالعمل منذ تأسيس الدولة العراقية هم اولئك العراقيون الذين تخرجوا في تلك المدارس ومارسوا الاعمال في ذلك العهد .

الوضع الخاص وتأثيره :

ولولا اساليب الوضع الخاص وعوامل اخرى ليس هذا محصل بيانها لما كان نصيب العراق من التقدم والرقى بأقل من نصيب قسيمته تركية وجارته ايران في خلال السنوات العشر الاخيرة .
فان من اساليب الوضع في العراق التزام عدم التجانس بين رجال العمل ، وتوديع الامور الى غير أهلها لاعتبارات لا أثر لها في غير هذا القطر . وذلك مما يجعل السير مرتبكا - بطبيعة الحال - في جميع المشاريع الحيوية - ومن جعلتها مشروع التربية والتعليم .

فكلما تكونت المادة الصالحة اعتورتها الاهداف المتضاربة والتهمت من الوقت الثمين ما يتعذر تلافيه كالمناقشة حول تقرير (مونرو) الذي لا يستحق البحث والمناظرة لان الرجل لا يعرف من تقريره سوى التوقيع .
والجدل حول التربية اللاتينية والتربية الاميركية المجهولة مفاهيمها لدى الفريقيين والاختلاف حول القراءة الصوتية القراءة الجميلة وكتبها التابع فيها

الفوز - بين آونة واخرى - لانتقال القوة من جهة الى جهة ، وعود على بدء بحسب التقلبات الادارية المتوالية التي لا داعي لها سوى ايجابيات الوضع وتأثير العوامل التي اعرضنا عن ذكرها لضيق المقام .

حتى انقلبت ساحة التربية والتعليم الى حلبة نضال شخصي ومبارزات هي ومصلحة العلم على طرفي نقيض . . . وأدت الى النقل والاقصاء وحملت فريقا من الاكفاء على اعتناق عمل آخر وفتحت ثغرة في الملاك وجعلت مهمة التربية والتعليم ما بين جزر ومد .

نتائج التذبذب :

وكان من نتائج ذلك التذبذب حدوث الوقائع الاخيرة التي أماطت اللثام عن حقيقة التربية المنازع فيها بضع سنين بين فريقين كلاهما على ضلال . . . لان أساليب التربين اللاتينية والامريكية بعيدة كل البعد عن نفسية هذا الشعب وبيئته وحالته الاجتماعية وطبيعة الاقليم فضلا عن التباين في خصائص العرقين السامي والآري .

التربية الاجنبية والبيئة العراقية :

وأنتى لأبناء الشمال والجنوب ان يتأدبوا بأداب التربية اللاتينية والاميركية ، وهم حفاة عراة تلفح وجوههم الشمس ، ويهري أجسامهم الزمهرير ، قصورهم الاكواخ ، وحمائمهم المستنقعات ، ومستشفياتهم المرائب ، ووقودهم الروث والسرجين ، وقوتهم الدخن والشعير ، يعيشون على المصادفات ، متكئين على مراحم الطبيعة يفتك بهم الحر والبرد والمطر والريح العاصف والبرد والتلج والسييل والمحل ، علاوة على فتك الحميات وسائر العلل والعاهات .

فمن أى النواحي يتسنى تطبيق الاساليب اللاتينية والاميركية على هؤلاء البؤساء الذين يحسبهم اللاتيني والاميركي من بقايا القرون الاولى . . ؟!

ان لكل قوم تربية تلايم طبيعتهم ومزاجهم وشروط حياتهم وتقاليدهم وعنعاتهم .

فمن المستحيل ان يتأدب الفرنسي بأداب التربية الانكليزية ، وبالعكس وكلاهما غريبان والمسافة بينهما لا تزيد على ساعة وخمس دقائق في ال (مانش) فكيف العراق . . . !

والعراق يختلف شماله عن جنوبه ، ومدنه عن اريافه والمدن يختلف بعضها عن بعض باختلاف العناصر وتغلب البداوة والأمية على أكثر أقسامها حتى العاصمة . يختلفون في الطعام والشراب والمعايشة والنفسيات والعادات والطبايع والازياء واللغات والقوانين . . . وفي مثل هذه الفوضى الاجتماعية تزدهم على مداركهم القاصرة أساليب مختلفة الغايات والنزعات باسم التربية والتعليم .

النزعات وعواقبها :

فمن تربية لائنية الى تربية أميركية ، الى تلقين صناعة الموت الى تقوية الشعور القومي الى وحدة عربية الى تنبيه العنصريات الى نعرات طائفية الى امبراطورية مترامية الاطراف الى شطحات مقبسة من أساليب (جمعية الاتحاد والترقي) حتى تفرقت الكلمة وتمزقت الوحدة العراقية وصار النشء يتعثر بالاساليب السقيمة والنظريات العقيمة ويخطب خطب عشواء . واذا كنا لا نستطيع ان نكون جامعة تجمعنا في عقر دارنا او في زاوية من زوايا المسجد للنواح على شهدائنا فكيف نقوم بمشاريع خطيرة وأعمال جبارة تتوقف على القوة والاتحاد والحرية والمال ؟

واذا كانت التربية العراقية أميركية والتربية اليمانية تربية دينية واللبنانية افرنسية والتربية المصرية اسلامية في الدرجة الاولى وفي سائر الاقطار بدوية والوحدات القومية انما تقوم على اساس التربية والثقافة فعلى أى أساس تتحقق الوحدة العربية . . ؟

انا لا نريد ان نستعرض الصفحات التي طواها العراق في خلال (١٨) عاما ولم تترك وراءها سوى الاسراف في الوقت والمال . . . فذلك مما يجدد الاسى والألم . وانما نريد ان نستفز الهمم لوضع قواعد للتربية والتعليم

يكون لها أثر حسن في حياتنا الاجتماعية المتألمة عليها عوامل الفساد

منذ الاحتلال •

ومن جعلتها أساليب التربية العامة التي اقتضت الظروف ان يتولى أمرها بعض العناصر ممن لا تسع مداركهم خطورة التعهد بهذا الأمر الخطير الذي يتناول صلاحه وفساده حياة الملايين ومن النفوس فكانوا عالة عليها •

وان من شروط القيام بهذه الممارسة النضوج والتخصص بتحليل النفسيات بعد التشبع من المبادئ القويمة منذ الصغر في احضان الامهات وفي بيئة تقيم للتربية الصالحة وزنا وتحسب للنقيصة الف حساب ••• والنظريات وحدها لا تفي بالمرام •• والقائم بها يجب ان يكون مثلاً للغيرة والاخلاص ومحاسن الاخلاق بعيدا عن كل نزعة ما عدا النزعة الوطنية مجبولة على احترام التقاليد والعنعات ، شاعراً بالتبعة ، لم تشبه شائبة مما ينتقص من كرامة مركزه الدقيق في المجتمع حريصاً على حسن السلوك لئلا يكون قدوة سيئة ولا سيما في التفاضى عن انتهاك الحرمة والكرامة • ولذلك لا يتعهد بها الا القليل •• وقد سبق السيف العذل •• وأصبحت الفكرة المختمرة في الازدهان ان الغاية من الحياة هي التأنيق والخلاعة واتباع الشهوات والاسراف عليها من حلال او حرام ، والخروج على كل اسلوب من أساليب التربية المألوفة في العالم والحصول على الوظيفة بأنواع الطرق كما هو ظاهر للعيان •• وقد يكون للحادثات الاخيرة علاقة بهذه الفكرة المنبعثة من اساليب التربية السقيمة التي شوهدت خصال هذا المجتمع التزويه •

والعالمون عليها ما بين شامت ومتفرج • وقد بحث الصحف المحلية في خلال (١٨) عاما بالتنبية الى الخطر المحقق بهذا الشعب من وراء التربية الفاسدة وصاحت وناحت ولكن الوضع ابى الا الاستمرار على الفساد حتى استفحل الأمر واستحالت التربية الفاسدة الى طبيعة ثانية •

وان أهم ما توجه اليه العناية في ساحة التربية والتعليم توجيه الناشئة الى الهدف الاسمى فى معترك الحياة أثناء تجهيزهم بما يؤهلهم لخدمة المجتمع من الثقافة والتهديب وتلقينهم بأداب اللياقة فى الاكل والملبس والمشى والمعاشرة والمقابلة واحترام النفس واجتناب المساوىء والتخلق بمكارم الاخلاق ليكون المتعلم عضواً نافعا لا مجرماً وشقيماً والهدف الاسمى هو خدمة المجتمع بشتى الاعمال من ناحية الوظائف فقط •• وان يقتنع الطالب بأن طلب العلم هو للعلم أولاً وبالذات •• واذا كان الهدف مقصوراً على الوظائف فالعراق يضيق ذرعاً وذلك خطر على مستقبل البلاد اذ لا بد من ان يحدث يوماً ما عداء بين المنتظرين وبين القائمين بالامر فيقع مالا تحمد عقباه •

المسؤولية والوضع الخاص :

وان الوضع الخاص الذى من شأنه ان يجعل الاكفاء المخلصين مكتوفى الايدى فى مراكز المسؤولية وآخرين فى حل من تصرفاتهم الشائنة هو الذى هياً أسباب الفوضى •• والا فاما هو العذر المبرر بعد ان اتسع نطاق التشكيلات العلمية اتساعاً لم يدع جهة مما للحكومات العريقة فى الحكم من جهات الاختصاص الا تناولها ، وأخذت الحكومة تنفق عليها المال بسخاء •• كمديرية التربية والتدريس العامة ، والمقتضية العامة ومديرية المباحث الفنية ومديرية التعليم الثانوى ومديرية التعليم الابتدائى والقروى وعدد كبير من المديرين والمعاونين والمفتشين وملاحظات للنشر والترجمة والاحصاء والرسائل والبعثات والحسابات والمكتبة العامة وشعب الاممور الذاتية والصحة والطبابة والاشغال والتربية البدنية والتدريب العسكرى ولجان للمناهج وكتب الدراسة وتعادل الشهادات والترقية والانضباط واسئلة الامتحانات والمبايعات ومكتب خاص •• الخ وفوق ذلك المجلس الاعلى والى جانبه مديرية المعارف العامة •

وانا على يقين من ان هذه المراجع تضم بين جوانبها من رجال العلم والعمل من يغار على تهذيب الناشئة وتقويم عناصر الفضيلة ولكنه لا يملك من الامر شيئاً فيكظم مكلوماً أو يغادر مهموماً •

وما كنا لنتنظر من الوضع غير الذي عودنا اياه منذ (١٨) عاما لولا ان الحادثات المؤسفة أخذت شكلاً يحتم على ذوى الشأن وضع حد لها • وعسى ان تعالج بهذه الفرصة معضلة التربية على الوجه الاصلح اذا سمحت الظروف لان خطر الفساد لا يقتصر على شخص او على فئة أو جماعة وانما يتناول عشرات الالوف من ابناء العراق عن طريق المشاهدة والاقباس •

التربية والتعاليم الدينية :

والوجه الاصلح ان تبنى قواعد التربية على الاسس والتعاليم الدينية الملائمة لنفسية الشعب على اختلاف العناصر والطبقات فتسير به في مضمار الحياة سيرا مستقيما موحداً ••••• واذا ما تحققت وحدة التربية على هذا الاساس فان الوحدة العراقية تتكون بذاتها والوحدة العراقية هي حجر الاساس في بناء الوحدة العربية • ومن ورائها الوحدة الاسلامية •

والتربية الصالحة هي التي تقوم عناصر النجاح في كل أمر خطير ولا تتحقق هذه التربية الا بتصفية العناصر الفاسدة ••••• ولكن الوضع عودنا خلافه فان الذي يسد في وجهه باب الرزق تفتح له ابواب التربية والتعليم كأن التربية والتعليم من سقط المتاع ، وان المراجع المختصة لا تمسك بالعناصر الطيبة •

أما اذا لم يقيم التعليم على أساس التربية الصالحة فلا حاجة الى تكثير المعاهد التي يتسع بها نطاق الجهالة وسوء الاخلاق ••
(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم) (١)

* «عراقي» *

(١) التوبة : ١٠٥

* الكفاح - العدد ٢٧٠ الصادر في ١٨ آب ١٩٣٨ •

الامية وآفاتها وواجب المعارف

يتألف الشعب العراقي - باعتبار الاكثرية الساحقة - من طبقات الاميين المنبئين شمالاً وجنوباً على طول البلاد وعرضها الذين يرجع في أحكامهم الى العرف والعادة لا يفهمون من صفحات الحضارة سوى المنجل والمحراث اللذين ورثوهما عن آباؤهم الاولين منذ قرون ، خاضعين لنفر من الرؤساء خضوعاً مطلقاً اقتضته التقاليد لعدم تمييزهم بين ما يضرهم وينفعهم في أمر دينهم ودنياهم •

يكدون في الليل والنهار ذكورا واناثاً وليس لهم من حاصل كدهم سوى سد الرmq وستر العورة بابخس المواد ، والرؤساء هم الذين يتمتعون بالخيرات حسب اذواقهم • وفوق ذلك يعثون بدمائهم ارضاء لجهة من الجهات لقاء (سلفة) أو اعفاء دين ، او قطعة أرض ••• ولا حظ لهم فيما يناله الرؤساء سوى انهم يخربون بيوتهم بأيديهم •

والرؤساء هدفهم الزيادة التي لا حدود لها من الملك والمال (فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا اذا هم يسخطون) (١)

هذا ديدنهم وتلك حياتهم وذلك مبلغهم من العلم •
تمر العصور وينقلب نظام العالم وتتغير أساليب الحياة ، وهذه العنفة لا يعتربها نقص ولا زوال ••• ولن تتغير مادام الجهل مخيماً بالربوع وما دامت الامية ضاربة اطنابها ومن وراء ذلك سياسة الوضع التي لم يكن يلايمها الا ابقاء ما كان على ما كان في جميع الادوار •

وشعب هذه اكثريته ، حقيق بأن يتأخر في مضمار الحضارة وان يكون عالة على غيره •

والاصلاح غير عسير في هذا اليوم الذي توفرت فيه الوسائل وتمهدت السبل وعرفت الاساليب ••• وقد اصطلح كثير من الشعوب في زمن لم

تكن أسباب الإصلاح متهيأة فيه والامم الناهضة اخذت تحسب للدقائق
حساباً فضلاً عن الشهور والاعوام !

ونقص كبير ان نهمل هذه الناحية الخطيرة وان تغذى الهمجية وتموفى

احضان المدنية وفي عصر العلم والنور •

التشكيلات العلمية ونتائجها :

ولما اتسعت التشكيلات العلمية اتساعاً من شأنه ان يحدث انقلاباً

خطيراً في ساحة التربية والتعليم تبادر الى الذهن ان نظام التوسيعات

سيتناول - اولاً - وبالذات - مناطق الامية ومعالجة الامراض الاجتماعية

في انحاء الجنوب والشمال ليعرف الفرد ماله وما عليه ازاء نفسه وخالقه

ووطنه ويقدر رغد العيش فلم تخدعه احابيل المضللين وبذلك يقطع دابر

الفتن ويصبح الفرد عضواً نافعا بعد ان كان آلة شر وفساد •

وان رجال التربية والتعليم المتخصصين في اساليب التربية الاميركية

ادرى من غيرهم بأن اقصر الطرق الموصلة الى هذه الغاية ان يقوم ذوو

الاختصاص بالقاء محاضرات على العوام باللغة المألوفة لديهم حول الصحة

والزراعة والدين والواجبات الاجتماعية وقوانين الحكومة حتى يتروى

السواد الاعظم بما يرفع المستوى العقلي ويقرب الى الاذهان ضرورة اليقظة

والانتباه لئلا تكون الاكثرية الساحقة عقبة في سبيل التقدم كما قامت

الجامعة الاميركية بمثل ذلك فكان أول عامل من عوامل تقدمها السريع

ونهضتها الوحيدة في تاريخ النهوض •

ومما يتبادر الى الذهن ان نظام التوسيعات سيكون له اثر بليغ - بالسعى

المشترك مع المراجع المختصة - في انشاء القرى العصرية المجهزة بالماء

الصحي والكهرباء ... في كل قرية مدرسة ، ومسجد ، وحمام ومستشفى

وصيدلية وروضة للاطفال وسوق يتناول المواد الغذائية تحت مراقبة مأمور

الصحة وغيرها من الحاجات الضرورية المتوقف عليها نظام الحياة في هذا

العصر ودائرة بلدية وسينما لتمثيل المناظر الزراعية والروايات المهذبة

للاخلاق وطرق معبدة ووسائط للنقل تربط القرى بعضها ببعض اذ ليس من المروءة ان يتمتع رجال التربية والتعليم بمعيشة هنيئة على حساب الاكثرية الساحقة والاكثرية الساحقة تمثل حياة البؤس والشقاء لجهلهم بمقتضيات الحياة .

هذا ما كان ينتظر من توسيع التشكيلات العلمية .

وبعد الانتظار الشديد بعد ان مضى على تأسيس المعارف الحديثة (١٨) عاما والناس يعللون النفس من عام الى عام ، ومن دور الى دور ، اذاع وزير المعارف السابق معالي السيد صادق البصام^(٢) على اسرة المعارف بيانا بتاريخ ١٨/٩/١٩٣٥ جاء فيه :

(فعلى كل منا ان يؤدي الامانة المطلوبة منه وان يعمل بكل صدق لابقاء هذه المؤسسة منبعا لناشئة قوية متحلية بالاخلاق القويمة والشعور القومي الصحيح بعيدة كل البعد عن الافكار المضرة والنزعات الهدامة التي حاول بعض الاغرار ادخالها في صفوف اسرة التعليم) .

واولئك الاغرار المؤتمنون على تهذيب الناشئة وهم الذين تولوا قيادة الحركات المناهية للمصلحة العامة وسياسة الدولة ومبادئ الوحدة . . . وفريق من السذج يجرفهم التيار على حساب الافكار المضرة والنزعات الهدامة وهم لا يشعرون .

النتائج المعكوسة :

وكان من نتائج التشكيلات العلمية الارتباك في النقل والتحويل على الدوام والاستمرار وبسرعة تتم عن نوبة عصبية فقد عين أحد الموظفين ملاحظا للمكتب الخاص وبعد يومين نقل الى الممزية الذاتية وبعد ثلاثة ايام احيل الى ملاك التعليم وبعد عشرة ايام عين ملاحظا للاحصاء . وأمثال ذلك مما يضيق به المقام .

(٢) وزير سابق ، اشترك في عدة وزارات ، واختير لعضوية مجلس الاعيان لدوراته الرابعة والخامسة والسادسة . عمل في المحاماة والصحافة العراقية فأصدر جريدتي « الدفاع » و « الحيداء » . توفي في ٢٨ آذار ١٩٦٠م / ١ شوال ١٣٧٩هـ .

ومنها فتح مدرسة الهندسة ودار المعلمين العالية ثم اغلاقهما في دور
التقدم والنضوج ثم فتحهما بعد سنين وهذا التذبذب مما جعل العراق عالة
على غيره في استقدام المدرسين ♦

وابلاغ عدد المناطق الى اربع عشرة منطقة ثم تنزيلها الى خمس ثم
تزييدها الى سبع ♦

وتغيير الانظمة لا حاجة ماسة بل لتبديل عبارة بمثلا في المفهوم
كتعديل النظام لتعديل عنوان (رئيس المفتشين) بد (المفتش العام) والتقهر
في الثقافة بدالة الرسوب بنسبة تتجاوز النصف والنفقات الطائلة على بعوث
يستخدم اعضاؤها خارج دائرة اختصاصهم ♦

والانحطاط في التربية العامة الدالة عليه الحوادث الاخيرة التي
شوهدت سمعة العراق وأدت الى عدم الثقة وهدمت دعائم الفضيلة ومحاسن
الاخلاق ♦

وكان على المسؤولين ان يتباعدوا عن مراكز المسؤولية بعد هذا
النشل المريع كما هو جار في غير العراق عندما يبين الخلل ويتحقق عدم
الاقتدار ♦

الوضع الحاضر وبواعثه :

ومن البواعث على هذا الوضع ان مؤسسة المعارف قام بتأسيسها - في
وقت حرج - رجال لا تتفق اهدافهم والمصلحة العامة ولم يكن في الامكان
تغييرها ♦ وقد تولى أمرها من الأهلين صنفان صنف لهم من الكفاءة والممارسة
ما يؤهلهم لتنظيم شؤونها وليس لهم من الامر شيء ♦

والصنف الآخر عكس الاول على خط مستقيم ولكنهم احرار فسي
تصرفاتهم فصارت تتقلب ما بين نقض وابرام ومحو واثبات واحداث والغاء
وفتح واغلاق حتى انتهت الى الوضع الحاضر ويكفي على الانحطاط ان
المسؤولين في هذه المؤسسة نفسها لم يعتمدوا على مدارس المعارف وكذلك
غيرهم من أصحاب المناصب والمقامات ♦♦♦ والا لما اختاروا لاولادهم مشقة
السفر وكلفة الغربة ولوعة الفراق والنفقات الزائدة ♦

واجب العراقيين أزاء الوضع :

ولما كانت هذه المؤسسة مكلفة بتكثيف المادة الصالحة للتعليم العالي وهي تهىء للدولة رجال العمل فى مختلف الدوائر وتهذيب الرأى العام وما كل عراقى فى استطاعته ان يهذب أولاده خارج العراق كما يعالج ذوو السعة منا أمراضهم فى المستشفيات الخارجية وعلى فرض الاستطاعة لا يصح ايفاد الطفل الى الخارج من أجل التعليم الابتدائى أو الثانوى لما فيه من محاذير لا تقبل المكابرة ومن جملتها المباينة فى الشعور وفى أساليب التربية التى تجعله اجنبيا فى بلاده كما هو ثابت بالتجربة كان لكل عراقى الحق المشروع فى ابداء رأيه حول هذه المؤسسة وبطالب اولياء الامور بانقاذها من حالتى التذبذب والانحلال وأساليب التربية التى أدت الى القتل والجرح والاعتداء وقذف المعاهد بالنار والتهديد ♦

وإذا كان الله قد منّ على بعضهم بالقدرة على أن يهذبوا ابناءهم وبناتهم فى غير العراق فليجعل أولو الامر منهم نصب اعينهم الوقوف بين يدي الله (يوم لا ينفع مال ولا بنون)^(٣) ويفكروا فى مصيبة الالاف من ابناء جلدتهم المفجوعين ما بين ثقافة مشوهة وتربية فاسدة ♦

الاكثرية الساحقة واهمالها :

وهذه الاكثرية الساحقة تتخبط فى ظلمات الامية وان بقاءها على ما هى عليه خطر يهدد البلاد فى كل حين ♦♦ ويقلق الراحة والأمن ويلهي الحكومة ويبتلع المال ويؤخر العراق عن التقدم المفروض عليه ليسير مع اخوانه على حد سواء ويظهر الشعب العراقي بمظهر لا يليق ويجعل نصيب الاقلية المثقفة غير متناسب مع المواهب الفطرية وما تستحقه القابلية من العناية ♦♦ لان المتعلم اذا ما قاس ثقافته - على نقصها - بأمية الاكثرية المحيطة به من كل جانب توهم انه بالغ أقصى مراتب الكمال ♦♦ كما ان المراجع المختصة قد تغلب عليها مظاهر الامية التى لا تفارق الانظار داخل البلاد وخارجها سهولها وبطاحها وعلى قمم الجبال وخلال الديار فيتراءى لها انها كونت ثقافة وتربية على الوجه الاتم ♦

وان أول مرحلة من مراحل الإصلاح انشاء مدارس منظمة تنظيما
كاملا في الشمال والجنوب لا كبعض مدارس المنطقة الكردية في زاوية
من زوايا الاصطبلات ولا كبعض مدارس الجنوب في الصرائف وعلى مقاعد
من جذوع النخل فان ذلك مما يزيد من الحطة والوضاعة ♦
ومن الضروري تهذيب الرأي العام في ساعات الفراغ على الطريقة
المعروضة في صدر المقال ♦
ومما يجب الاهتمام به تكثير المدارس الاولية في المنطقتين بحسب
الحاجة وهذا أمر يتطلب من ذوى الاختصاص العزم والاخلاص
والسعي المتواصل ♦
ان الواجب يحتم علينا ان نعرض ذلك على من يهمهم الأمر عسى
ان تأخذهم الرأفة بهذا الشعب في أمر المعارف فان الاستغاثة مما حل
بمدارسنا بلغت أقصى حدودها ♦
والله من وراء العزم والاخلاص

« عراقي » *

حول التعليم القروي والتخصص

توفد الامم الشرقية الى البلاد الاجنبية من الطلاب من تعتمد على اخلاقهم وثبت كفاءتهم بالاختبار للتخصص في الصناعات والعلوم فتستغنى بهم اضعاف ما تتفقه عليهم من المال كالامة اليابانية *

فقد كانت حكومة اليابان في بداية نهضتها توفد الى أمريكا وانكلترا وفرناسة والمانيا وغيرها من البلاد الاوربية آلافا من الطلاب لتتخصص في الصناعات والفنون والطب والسياسة والفلسفة والآداب تحت مراقبة شديدة وبموجب قانون يفرض أشد العقوبات على من يرتكب المخالفة منهم *

حتى توفرت لديها المادة الصالحة للعمل في مختلف الفروع واخذت تضاهى اوربا في مدارسها وجامعاتها وتزاحمها في الصناعات والحرف وصارت المصنوعات اليابانية تتغلغل في بلاد الشرق والغرب بلا منازع وأصبح لها كيان يحسب له حساب في عالم السياسة *

فكانت فوائد البعوث بالنظر الى ما انفق عليها من المال اضعافا مضاعفة *

البعوث العراقية وعواقبها :

والحكومة العراقية التفتت الى هذه الناحية وبدأت منذ عام ١٩٢٤ توفد الى الكلية الامريكية في بيروت طلابا على نفقتها غير ان المراجع المختصة لم تعين خطة مرسومة للبعثة ولم تلتفت الى ما يطلبه الايفاد من قيود وشروط تجعل البعثة صالحة للانتفاع بها كما هي العادة في سائر البلاد * بل التزمت مبدأ الارضاء ورعاية خاطر ومسائرة الظروف في المحل الموفد اليه وفي انتخاب الموفدين وفي درجة التحصيل *

وان من أهم الشروط الملتزمة في البعوث ان يوفد الطالب بعد ان يجاز من أخذى الشعب العالية لمهمة التخصص لا لدرجة دونها ، لما فيه من محاذير نبهت اليها الصحف المحلية في حينه ولم تجد اذنا صاغية *

ومن جملة المحاذير تأثر الشعور القومي والتربية الوطنية بشعور
أجنبي وتربية اجنبية فيعود الموفد غريبا عن قومه وبلاده وذلك مما يبعث
على التبلبل في الحياة العملية لما يتخللها من عناصر غير متجانسة كما هو
واقع بالفعل في دائرة المعارف نفسها •

ثم جاء دور التخصص فلم تلاحظ الكفايات المطلوبة وقابلية الطالب
في جهة الاختصاص فصاب فريقا منهم الفشل ولم ننتفع بالآخرين
لاستخدامهم في وظائف خارجة عن دائرة الاختصاص بالرغم مما يعادل
الانعاب والنفقات من الفوائد •

ولو ان المراجع المختصة استطاعت ان تلتزم جهة الكفاءة من ناحيتي
العلم والاخلاق واعتبرت المصلحة العامة فوق جميع الاعتبارات ووجهت
للمتخصصين أعمالاً داخل اختصاصهم لكان للبعوث من الفوائد ما لغيرها
في سائر البلاد ولكن النتائج دلت على أن الغاية من الايفاد لم تكن عين
الغاية التي تستهدفها الامم ، وانما هنالك مآرب أخرى •

التعليم القروي ونواتج الاختصاص :

أما التخصص في مصلحة التعليم القروي فالذي يترتب على الموفد
لهذه الغاية ان يمارس حياة القرية من جميع نواحيها : مزارعها وحدائقها
وجداولها ومعايها ومطاعمها ونظافتها وطرقها ووسائلها الثقيلة ومعامل
المواد الغذائية وآدابها الاجتماعية وانتظام القرويين في الملابس والمآكل
والمعايشة وتقسيم الاعمال وصورة نقل الفواكه وغيرها الى المدن وتربية
الحيوانات الاهلية وهندسة البيوت وغير ذلك من آثار السعي والعمل
والمظاهر الجميلة المتمثل فيها منتهى ما يبلغ اليه الجد والاجتهاد • ويستنبط
من مجموع مشاهداته وتتبعاته خلاصة نستعين بها من ناحية التعليم القروي
على اصلاح القرية العراقية التي لا تزال في حالة ابتدائية يتسع فيها
مجال العمل •

ومما لا شك فيه ان مشاهدة الموفد آثار النظام في حياة القرية الاجنبية
أمريكية كانت او اوربية تبعث فيه روح العزم والنشاط وتحمله على العناية

بما يتطلبه القروى العراقي من الاصلاح والتهديب اذا كانت مداركه تساعد على التقدير والاقتباس والتطبيق ♦

واذا ما قام بواجب الوظيفة فانه يعوّض بمساعيه المنتجة ما انفق عليه

من المال وما عاناه من الاتعاب فى سبيل التخصص ♦

وليس من الصعب حث القرويين على النظافة وافهامهم شروط الصحة

والسعى وراء ردم المستنقعات وازالة الاوساخ والاوحوال من المنازل

والطرق وان يث فيهم روح الوطنية الصحيحة وحب السعي والعمل

والتجدد فى الزراعة والتمسك باهداب الدين كما يتمسك القروى بكيسة

فى القرية الاجنبية ♦ ويصلح من أمراضهم الاجتماعية ما يبغض اليهم

الشقاق والنزاع لادنى شئ ويجب اليهم التعاون المشروع ويدربهم على

آداب اللياقة فى الاكل واللبس والمباشرة ويهئ لهم بواسطة المرجع

المختص من يرشدهم الى وسائل الانتفاع باسارهم وحاصلاتهم أكثر من

المعتاد عن طريق التحسين ومعالجة الآفات ♦ بعد ان يعد للتدريس منهاجا

يلئم الوضع والحاجة ووسائل للقراءة تتناول المواضيع المذكورة زمرة من

المعلمين المتخصصين بالتعليم القروى لافى دار المعلمين الريفية البعيدة كل

البعد عن تمكين المتخرجين من القيام بما ذكرنا ♦ وبهذه الطريقة تتقدم

حياة القرية تقدا مما يساعد على سير الحضارة فى المدينة ♦

أما اذا كان التعليم القروى مقصورا على الدراسة الحاضرة فذلك

لا يحتاج الى التخصص وانفاق المال وكلفة السفر الى الديار النائية وهاهى

القرية تلك القرية والقروى ذلك القروى غير ان الاخلاق ازدادت شراسة

وانحطاطا كما يظهر من تراكم الدعاوى الباطلة فى المحاكم ♦

وليست مظاهر العاصمة بأحسن منها ♦

التربية الامريكية ومبادئها :

ان ما يدر من طبقات المثقفين من الاوضاع لا يتألف مع آدابنا ولا

مع آداب التربية الامريكية القائمة على مبادئ الجد والرزانة واحترام

النفس وحب الاجتهاد والصدق فى القول والعمل ♦♦♦ ومن شدة التصلب

فى هذه المبادئ يوصف الامريكيون بالجمود وبرودة الطبع حتى ان الطالب والطالبة ليقيمان فى غرفة واحدة من غرف الجامعة ليلا ونهارا ويسود بينهما الطهر والعفاف •

ومن مؤثرات تربيتهم المطبوعين عليها ان الذى يدعى الى المحكمة يحرم حق الانتخاب ، وان انتهت الدعوى ببراءته •• لانهم يعتبرون مجرد الشخوص الى المحكمة مما يخل بالكرامة ••• والسبب فى ذلك ان انتقال القضية الى المحكمة يدل على عدم الاهتمام بالشخوص أمام المحاكم أو عدم الاقتدار على التسوية بوجه من الوجوه قبل الانتقال اليها •

ولذلك لا يمكن ان يتأدب بالآداب الامريكية الا الامريكى ، لان مبادئها على جانب عظيم من الصلابة والمتانة والقيود الثقيلة ، واذا تعذر على الانكليز والالمان اعتناق مبادئها وهم من عرق واحد فكيف يهضمها غيرهم ؟

القرويون والوضع الحاضر :

أما بقاء القرويين على وضعهم الحاضر فمما يؤثر فى حياة المدن عد ترددهم ، اذ لايبعد ان يحملوا اليها الجرائم وذلك خطر يهدد المجتمع العراقى •

والامم الراقية تهتم بحياة القرية أكثر من اهتمامها بحياة المدينة ، لان القرية هى التى تمون المدينة وهى الاساس الذى تبنى عليه قواعد الانتخابات •

فاذا كان القروى جاهلا أفسد على الشعب أمرين من الامور الحيوية • وابناء القرية العراقية - على تأخرهم - يحملون من الذكاء ما يسهل على ذوى الاختصاص مهمة التهذيب والتربية •• ولا ينتظر من المتخصص أن يبعث من القرية العراقية قرية أمريكية فى عام او عامين بل المطلوب منهم البدء بالعلم على خطة معينة تتمشى مع الزمن بسير مستمر •

الاهمال ونتائجه :

ولكن آفة هذه المؤسسة هى الاهمال الناشئ من عدم المسؤولية

كاهمال المستنقعات المحيطة بمدارس العاصمة .. التي مضى عليها شهور
وهي تنفث السموم ، وما ردمها بالامر العسير ، وليست هذه المرة الاولى •
ومن جملة الاسباب المؤدية الى الوضع الحاضر عدم توديع الامور الى
أهلها لاعتبارات ليس هذا محل بيانها حتى آل الامر الى هذا الانحلال
الخطير •

واى انحلال اشد خطرا من تسرب السياسة الى صفوف التعليم ،
واقتراف الجرائم العظيمة والهفوة التي كادت تؤدي الى توتر العلاقات
بين شعبين عربيين ، والفشل في مهمة البعث ، والاسراف في المال بغير
حساب كابتياح مقاعد من أمريكا بمائتي دينار تحطم قسم منها قبل الاستعمال
وزورقين من نوعها للسياحة من بلجيكا بمثل هذا المبلغ ، واستيجار دار
بمائة وثلاثين دينارا في السنة لنام الطلاب ولم تكن صالحة فجعلت مخزنا
لرسائل القراءة الممنوعة سنتين ، وانفاق الاموال على هذه القراءة ثم يقرز
منعها ، وأمثال ذلك من الاسرافات الدالة على عدم المبالاة بالمال • وتلاميذ
القرية يستغيثون من حياة الصرائف والمستنقعات والاصطبلات والمراجع
العليا انما تقدم المال لينفق على مشاريع ضرورية لا على شهوات المبدرين •
وانا اذا بحثنا عن المعارف فانما نبحت عن الوضع بوجه عام ، لم
نقصد مقاما أو شخصا معينا لان المعارف ليس فيها شخص مسؤول منذ
بداية التأسيس ، وليس فيها من هو قائم بالامر على الدوام .. ولا غرض
لنا سوى بيان ما هو الاصلح او الانفع لمستقبل البلاد بحسب اجتهادنا •
ولقد كتبنا في هذه المواضيع لدى كل فرصة منذ عام ١٩٢٤ مع
العلم بأن الوضع لا يتغير مهما تغيرت الوجوه .. غير ان العادة جرت ان
ينتقد الخلف اعمال السلف ، وأعماله من نوعها • كأننا هناك خطة
مرسومة •

التربية الاسلامية والاستهتار :

وان كان هذا هو الوضع فما معنى الانانية والشذوذ عند آداب البحث
والمناظرة بعد الاعتراف بجميع ما كتبناه وزيادة ؟
نحن نقول : ان التربية الصالحة للبلاد هي التربية الاسلامية القائمة

على أسس التعاليم الدينية ، ودين الدولة الاسلام ♦
فيقال : هذه فكرة رجعية ، وعقلية بالية ، وبقية من بقايا العهد
العثماني ، وفتنة تثير العواطف (تهديد ١٠٠) وتعارض التجدد (المزعوم ١٠٠) ♦
الى غير ذلك من عبارات التهكم والاستهتار ♦ وهذا مثال من أمثلة التربية
التي نوهنا عنها في مقالنا السابق ♦

أما التربية الاسلامية فهي منزهة عن أمثال هذه الشطحات لانها تأمر
بالتفكير والامعان والتحليل من وجوه علمية ، لا بالاساليب المزرية بشأن
المركز المؤتمن على حراسة العلم والادب والتربية والاخلاق ♦♦♦
والآن وقد ايدتنا الحكومة المصرية فماذا يقال عن التربية الاسلامية
أهي فكرة رجعية وعقلية بالية وبقية من بقايا العهد العثماني أم ماذا ؟ ومهما
كان الامر فانا نقترح تطبيق التشريع والمنهاج اللذين وضعتهما الحكومة
المصرية حول التربية الاسلامية وصيانة اخلاق الشباب ، اذ العراق احوج
من مصر الى مثل هذه التدابير والرأى العام في جانبنا ♦♦ وفي ذلك فائدة
أخرى وهي تأمين الوحدة المنشودة بين العراق ومصر واليمن والحجاز
وسائر الاقطار العربية على هذا الاساس المتين ♦

مصر والثقافة الاسلامية :

ولكى يطلع الرأى العام على ما يدور في مصر حول الثقافة الاسلامية
وحماية اخلاق الشباب ننشر المقتبسات الآتية :

(الفت وزارة المعارف لجنة من كبار رجال التعليم لوضع برنامج
مفصل عن الثقافة الاسلامية يدرس في السنتين الرابعة والخامسة من
المدارس الثانوية ، يتناول تمكين العقيدة في نفوس الشبان في هذه الفترة
الدقيقة من حياتهم ، وكذلك شرح الدين لهم شرحا مبسوطا من الشوائب
وتصويره لهم تصويرا ملهما يملأ نفوسهم ايمانا وعزة ♦♦ ويشتمل
البرنامج على بحوث حول التاريخ الاسلامي في ازهى عصوره وحول
البطولة الاسلامية والسيرة المحمدية الطاهرة وما يتصل بهذه البحوث كلها
من ابراز جمال القدوة والمثال ♦

وقد أخذ صاحب المعالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف في وضع تشريع يكفل صيانة اخلاق الشباب وتكوين اعوجاجهم وحمايتهم من عوامل الضعف والانحلال والتبدل وقد عكف معاليه وقتاً طويلاً على دراسة القوانين الموضوعية في هذا الصدد في مختلف البلدان تمهيداً لوضع هذا التشريع . كما ان معاليه كتب لوزارة الخارجية المصرية كي تحصل له على الانظمة الموضوعية لحماية الشباب بنين وبنات من ارتداد الملاهي ، والنظم الموضوعية لمراقبة دور الملاهي والسينما والمطبوعات بقصد حماية الاخلاق والآداب العامة في انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا وتركيا . هذا ما كان على دائرة المعارف عندنا ان تفكر فيه وتكون قدوة حسنة ، لانها تقابل الاقتراح بتلك الغلظة والخشونة زاعمة ان التجدد الذي تقوم به لا يتفق والتربية الاسلامية التي تعتبرها حركة رجعية وعقلية بالية ، متجاهلة ان ذلك التجدد جر وراءه ضعف الايمان ، وسوء الاخلاق ، واقترف الجرائم والخيانات والاسراف في المجال والتذبذب والانحلال وفشل البعث والرسوب الهائل ، والثقة المشوهة السائرة على منهاج قديم باعترافها ، ومع ذلك تفاخر بعشرات الالوف من المثقفين على هذا المنوال . . . ولا تفكر في ان العبرة للكيفية لا للكمية ، وان الف مثقف تقيفاً صحيحاً خير من مائة الف مما يعدون .

البعثة العلمية واولو الامر :

أما هذه المؤسسة فهي الكل في الكل بين مؤسسات الدولة ، وعليها المعول في اعداد رجال العمل ، ومن أهم العوامل لبلوغ هذه الغاية البعثة العلمية . واذا استقل بها الذين دلت النتائج على تساهلهم في أمر الانتخاب ومراعاة الشروط فمن الملحوظ ان يكون مصيرها كمصير اخواتها . وما لنا سوى ان نلفت انظار اولي الامر الى مراقبة أمرها بما يستحق من العناية والاهتمام ، لانهم هم الذين يقدمون المال لتحقيق الفائدة منها وهم المسؤولون أمام الله والذمة والتاريخ .

« عراقي » *

بمناسبة البيان عن شؤون المعارف :

المعارف بعد ثمانية عشر عاماً

ثمانية عشر عاماً توالى على حياة المعارف الحديثة في العراق ، تولى أمرها في خلال هذه المدة ثمانية عشر وزيراً وتسعة من المديرين العاملين ، يساعدهم طائفة من المستشارين والمرشدين والاساتذة والخبراء المستقدمين من مصر وغيرها ، وذوى التجربة من العراقيين ، ومجالس ومؤتمرات وتشكيلات واسعة الطاق تضم زمرة من المثقفين والاختصاصيين والمجددين ، وبعوث علمية في كل عام ، ونشرات ودعايات ، وأسفار الى تركيا والمانيا وفرنسة والكتلة وأموال بغير حساب .

وبعد هذه العناية التامة والمدة الطويلة والنفقات الكثيرة ، والضجة حول التجدد والأصلاح ، والتعامل على العهد السابق بما لا يليق ، والخطب الرنانة والمحاضرات المطبقة حول الأنفجار ، والذبذبة والطنطنة والانتظار الشديد ، تبين ان القوم لم يأتوا بجديد ، لأنهم في دور التجربة كما علله البيان المشهور في احدى الصحف المحلية بتاريخ ١/أيلول ١٩٣٨ . وهذا ما كان منتظراً من الوضع منذ بداية التأسيس . . . لأن الظروف اقتضت أن يتحكم في مقدرات هذه المؤسسة التي عليها تقوم تشكيلات الدولة ، ومنها يشع نور الحضارة والمدنية ، نقر " يصعب عليهم تقدير الغاية من تأسيس المعارف ، والأموال التي تنفق عليها ، وحقوق الملايين من النفوس والعوالب الوخيمة ، فصارت تتقاذفها الأهواء ، وتقلبها ذات اليمين وذات الشمال ، على مرأى ومسمع من أولى الامر ولا سائل ولا مسؤول . فالاساتذة والخبراء المستقدمون لا يفسح لهم مجال العمل ليسأموا البقاء ويفادروا البلاد ، او يفتك بهم الاعتقال والجرح والاهانة على صفحات الصحف ، وذوو التجربة من العراقيين يجعلون نصيبهم التنقل من عمل الى عمل ومن دار الى دار لئلا تنتج جهودهم ومساعدتهم ، والامور تودع الى

غير أهلها ، والاموال تصرف في غير محلها ، والبعوث تعبت بها الاهواء ،
والمصلحة العامة تنبذ جانبا ، والاختصاصيون لا يستفج بهم لعديم المبالاة لجهة
الاختصاص ، والافكار المضرة والنزعات الهدامة تسرب الى صفوف
التعليم •• ويرتفع الحساب بين التلاميذ والقائمين بأمر التربية ، ولم يعد
في الامكان اعادة النظام الى نصابه ، ولم يجدوا مخرجا سوى التعلل
بالاعذار الواهية •

وضع المعارف والمحاولات :

وبعد مضي ثمانية عشر عاما يحاول الكاتب المجهول تحليل النتائج
القطعية بما ملخصه :

ان الوضع الحاضر هو من سيئات العهد العثماني ، ومن ضيق
الميزانية • وعدم كفاءة المعلمين ، والمدة لم تكن كافية لوضع الخطط
والمناهج وتخريج المعلمين الكفاء والتجربة من الامور الضرورية ، والتبعة
تقع على الذين تولوا الأمر في بداية التأسيس •

والعراق انفصل عن العهد العثماني منذ (٢٣) عاما ولم يبق أى اتصال
بينهما •• والميزانية مهما اتسعت فانها تزداد ضيقا مادامت الاموال تصرف في
غير محلها •• والمعلمون الكفاء مهما كثروا لا يستفاد منهم مادام الوضع
يحمل على استخدامهم في غير مهنة التعليم •• ولما كانت المعارف منزهة عن
التبعة فلا حاجة الى تعيين جهة لها •• واذا كانت الاعوام الثمانية عشر لا
تعد شيئا مذكورا وتلك الاعذار تبرر الوضع الحاضر فالوضع اذن لا يتغير
(حتى يلج الجمل في سم الخياط)^(١)

ولم يلتفت الكاتب الى يمينه وشماله ليرى مظاهر التقدم في تركية
وايران •• ولم تكن ايران قبل عشر سنوات بارقى من العراق ولا كان
مستوى الاناضول بأرفع من مستوى بلادنا ولا كانتا أغنى منا مالا • ولكن
رجال العمل عرفوا كيف يخدمون معارفهم ويعتنون منها عوامل التقدم

(١) الأعراف : ٤٠

والرقى في جميع مناحى الحياة • ثمانية عشر عاما تكفى لان تبعث الامم من مراقدها ، فتمزق الاكفان ، وترمي حجر التاريخ الى ما وراء الحدود ، وتبذ العهود ، وتسلب السيف ، وترفع راية النصر على هام الظامعين كتركية وايران والمانيا ولا تكفى عندنا لوضع منهاج للتعليم الابتدائي •

ثمانية عشر عاما والاطفال مكلفون بوزن النجاسة المغلظة ، والنجاسة المخففة ، والطفلة ملتزمة بمعرفة أحكام اللحية الكثيفة واللحية الخفيفة في الموضوع وأمثال ذلك مما نوهنا عنه سابقا •

وإذا قيل لهم اصلحوا المنهاج رافة بالأطفال ، قالوا هذه فكرة رجعية ، وعقلية بالية ، وانما نحن مجددون ، والتجدد يحتاج الى التجربة والزمان •

والذى يترتب عليهم فى هذا الموقف الخجل والاعتذار •

المعارف وأساليب الوضع :

ومن أساليب الوضع فى هذه المؤسسة أن يقابل كل اقتراح مفيد وكل نقد نافع بالهجمات العامية واشلاء الاقلام المأجورة لثلا يقدم أحد على مثل ذلك ماداموا فيها ، والا فما هى المناسبة بين طلب اصلاح التعليم الابتدائي وكتبه التى مرّ مثال منها وبين الفكرة الرجعية والعقلية البالية •• وما هى العلاقة بين ترجيح التربية الاسلامية على غيرها وبين احداث التفرقة وشقة الخلاف وما هى الصلة بين تصوير الواقع لمجرد التشجيع على الاصلاح وبين الطعن بالمدارس العراقية فى العهد العثمانى واتهامها بتلقيح الالحاد وبث أمور خلاف الدين والصاق المثالب بالرغم من التناقض ••؟!

حقا ان الوضع الذى لا نزال نبحت عنه ليخرج موقف القائم بالدفاع عن المعارف ويورطه فى مثل هذه المغالطات والمنافضات من حيث لا يشعر مهما كان متفنتا فى قلب الحقائق وجريئا على التمويه والتضليل •

المدارس فى العهد السابق والمثالب :

ومما جاء فى عبارات الطعن بالمدارس العراقية على عهد الدولة العثمانية

قوله :

« ان العراقيين الذين امتازوا عن غيرهم أقلية لا يصح اتخاذهم مقياساً لأحكامنا ، فالحقيقة التي لا غبار عليها هي ان البلاد بقيت محرومة من ارتشاف مناهل العلم وعارية من ارتياد المعاهد والمدارس التي فتحت وقتئذ وظل الناس ينظرون الى المدرسة كمحل لتلقين المفاصد حيث لا يأمن الاباء على اولادهم ، وكان تلميذ المدرسة مدار التقلات المسيئة ومبعث الشك والريبة ، وكانت كلمة (مكتبلي)^(٢) عندهم تضم ضروب المعاني البذيئة ، هذا فضلاً عما كان معروفاً عن المدارس من أنها تلقن الالحاد وتبث أموراً خلاف الدين مع ان الحقيقة خلاف ذلك وقد استمرت الحالة الى حين قيام الحكم الوطنى)

هذه هي أساليب الوضع فى المعارف ، وهذا نموذج من التربية التي نوهنا عنها فى مقالنا السابق

أما المتخرجون فليسوا بأقلية وانما يبلغ عددهم الآلاف من (مُلكيين) وعسكريين بينهم وزراء ومتصرفون وكبار موظفين ورؤساء دوائر وقضاة وحكام وماليون وحقوقيون وسياسيون وكتاب وأدباء وأساتذة ومهندسون وأطباء ومحامون وضباط وأمراء الجيش ونواب وأعيان فى العهد السابق وفى هذا العهد (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر)^(٣)

ولولا البقية الباقية من العهد العثمانى من (مُلكيين) وعسكريين فمن كان يتولى ادارة الدولة العراقية ويملاً الفراغ ؟ وما هو الداعى للتشهير ، وما هي علاقة العهد العثمانى بالوضع الحاضر بعد الانفصال الذى مر عليه ثلاثة وعشرون عاماً ؟

وأية تربية فى العالم تبيح وصف المعاهد العلمية بذلك الاسلوب ومس كرامة النائمين فى مراقدهم ، والعاكفين على أداء واجبهم ، والمنزوين فى عقر دارهم من مئات المتقاعدین ؟

(٢) مكتبلى : تلميذ مدرسة ، منسوباً الى « مكتب » على الطريقة التركىة فى النسب باضافة « لى » .
(٣) الأحزاب : ٢٣

ولو فرضنا أن المدارس العراقية في العهد العثماني صادفت شيئا من عدم الرغبة في بداية تأسيسها قبل ثمانين عاما بتأثير التعصب الذي لا يفارق الأمم لدى كل شيء جديد ، أياح ال يتخذ وسيلة للتطرق الى هتك الحرمات ولو عن طريق النقد والرواية ، وفي ضمن المتخرجين رجال الدولة منذ تأسيس الحكم الاهلي وزمرة في دائرة المعارف نفسها •• ؟ وللأمم من مناقب التعصب ما ملأ بطون التواريخ فان جامعة (كمبريدج) لما احدثت الشعب الفنية بعد ان كانت الجامعة دينية بحتة تحفز المتعصبون من الإنكليز للقيام ضدها ومهاجمة الطلاب بالحجارة والمواد المتبذلة لدى ذهابهم واياهم مدة من الزمن ، حتى أصبحت هذه المهاجمة عنفة وصارت تمثل لدى كل حفلة تقام في الجامعة للمجاز عند نيله الشهادة الى الآن • يجتمع الطلاب في ساحة الاحتفال يحملون المجاز على الاكتاف ويطوفون به أشواطا وفريق منهم يقذفونه بالمواد المذكورة تذكارا لعهد التعصب •

فإذا تأخر البعض عن التحصيل في تلك المدارس أيعد ذلك التأخر منبهة للمدارس ويحمل على محامل شائنة •• ؟
وإذا كان الآباء لا يأمنون على أولادهم فمن اين تخرج الآلاف من العراقيين ؟ أما ألف (مكتبلي) فقد كان كفواً لمصاهرة أغنى وأنجب العوائل العراقية مشهورة بشدة التعصب في أمرها المصاهرة •
وكان محظورا على الطالب ارتياد الملاهي ملكيا كان أو عسكريا وإذا تعيب عن الصلاة وقتا من الاوقات يمنع من الخروج شهرا كاملا في المدارس العسكرية الداخلية ، ولم يتم بادارة المعارف في ذلك العهد اشخاص من المبتدعين وأشبه الأमीين حتى تسقط المدارس الى الدركة التي اختلقها الكآب لغرض من الاغراض •

فإذا تأخر البعض عن التحصيل في تلك المدارس ايعد ذلك التأخر منبهة للمدارس ويحمل على محامل شائنة ••

وإذا كان الآباء لا يأمنون على أولادهم فمن أين تخرج الآلاف من العراقيين؟ أما الف (مكتبي) فقد كان كفؤاً لمصاهرة اغنى وانجب عائلة والعوائل العراقية مشهورة بشدة التعصب في امر المصاهرة .
وكان محظوراً على الطالب ارتياد الملاهي ملكيا كان او عسكريا
وإذا تغيب عن الصلاة وقتاً من الاوقات يمنع من الخروج شهراً كاملاً
في المدارس العسكرية الداخلية ، ولم يتم بادارة المعارف في ذلك العهد
اشخاص من المبتدئين واشباه الاميين حتى تسقط المدارس الى الدركة
التي اختلقها الكاتب لغرض من الاغراض .
وكان التدريس يضم نخبة من افاضل العراقيين الممتازين بالكرامة
والحيثية .

وماهي الحكمة في تسيير تلك المثالب اذا كانت الحقيقة خلافها .
اليس الغرض هو التشجيع بها علانية بهذا الاسلوب المدسوس . . ؟
فاذا نشرت الصحف مثلاً في وصف الكاتب المجهول تلك المثالب
عينها وقيل بعدها (والحقيقة خلافه) . . فماذا يكون وضعه . . اليس هو
الوضع الذي يتمثل للقارئ في هذا المقام . . ؟ اللهم الا اذا كان لايعبأ
بالمثالب والاهانات . . وهذا ما لا نعتقد . . وسدا للباب نحمل هذه الهفوة
على قلة البضاعة وعدم النضج .
ومن الغريب ان الكاتب له ولعل يتكرر كلمة (البالي ، والبالية) كأن
التجدد في نظره عبارة عن الالفاظ ونحن طلبنا التحدد في المنهاج
وهم العاكفون على القديم باعترافهم في نفس البيان .

مصر والتربية الاسلامية :

اما اذا كان الغرض من البالي والبالية التعريض بالتربية الاسلامية
فلنا اسوة بمصر الحديثة ، وقد نشرنا في مقالنا السابق عناية الحكومة
المصرية بها ، وبصيانة اخلاق الشباب ، وها نحن نشر البلاغ الرسمي
الاخير الصادر من وزارة المعارف الى عموم المدارس المصرية :

« تحرص وزارة المعارف على أن تكون دراسة الدين الإسلامي مقصودا بها تأديب الناشئة بأدابه واحساسها الايمان الصحيح والخلق السليم وان المرء لا يكمل ايمانه حتى يحب لاخيه مثل ما يحب لنفسه ، وتهذيب نفس الناشئ وتقوية عقله وقلبه بالمبادئ الاسلامية السامية ، مبادئ الاباء والمحبة والايثار والبر والتقوى ♦♦ ليصل بذلك الى كمال الخلق وليجعل منه القواعد السليمة لصلاته بغيره وهذه قواعد الحضارة اساسية يقوم النظام الروحي فيها اساسا لتكامل الخلق ويكون الخلق لها اساسا للمعاملات والحياة الاقتصادية ♦

وتبنت هذه القواعد في نفس الناشئة بتقنينهم في قواعد الاسلام وتوجيههم الى ادراك الحياة على اساسها ادراكا علميا دقيقا وتفتح اذهانهم لذلك الى المثل الاعلى الذي يدعو الاسلام اليه وتقويم اخلاقهم ليكون هذا المثل الاعلى غاية مبتغاهم ، هو ما نرجو ان يكون الثمرة للتعليم الديني في المدارس حتى يتأتى لمصر بقوة ايمان ابنائها ان تنهض بحظها من رسالة الحضارة في العالم » ♦

وقد اقتفت سورية اثر مصر وقررت عقد مؤتمر يشترك فيه علماء سورية ولبنان وغيرهم من علماء المسلمين لتقرير منهاج وكتب للثقافة الاسلامية على أن تتخذ أساسا للتطبيق في عموم المدارس تأمينا لوحدة الثقافة والتربية الاسلامية ♦

وبعد هذا الاتحاد بين مصر وسورية ولبنان واليمن والحجاز في الثقافة والتربية الاسلامية ماذا يفكر الكاتب المجهول في وضع العراق ازاء الاقطار العربية أبقى بلا تربية كما هي الحالة الآن ويدعو الى القومية المجردة التي لم يلتفت اليها غير المرتزقة ♦♦ أم ماذا ؟

وعلى كل فانا نلقت انظار اولى الأمر الى معضلة التربية وحلها بأسرع وقت لان استمرار التذبذب خطر يهدد مستقبل البلاد ، ورجال

التربية والتعليم ليس في استطاعتهم ان يضعوا خطة للتربية ومنهاجا للثقافة
كما دلت عليه الوقائع والحادثات • وكلما تقدمت الأمم ميلا الى الامام رجعا
اميالا الى الوراء والتجربة اكثر من ذلك ضياع للوقت والمال
« وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » (٤) •

« عراقي » *

(٤) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه •

* مجلة الكفاح العدد ٢٧٤ الصادر في ١٥ أيلول ١٩٣٨ •

فلسطين بين الوعد والوعيد

عشرون عاما والدماء تسيل فى الارض المقدسة على مرأى ومسمع من العالم المتمدن والأمم المتظاهرة بالعطف على الرقيق ، وحماية الحيوان ، والحرص الشديد على السلم وحقن الدماء •

وما من يوم الا والاثير ينقل الى انحاء البسيطة من احوال المجازر ودماء الابرياء ما يتلخخ به جيئن القرن العشرين المنعوت بعصر العدالة ، وانقاذ الامم الضعيفة ، واحقاق الحق الذى من اجله اقيمت محكمة العدل فى (لاهاى) ومن ورائها عصبه الامم •

تتقض المواثيق ، وتمزق المعاهدات ، وتسخخ خريطة العالم ، ويجلي مئات الالوف من اليهود من ارض المانيا وايتاليا وبولونيا ورومانيا وجيكوسلوفاكيا وغيرها ، فيتيهون فى الصحراء حفاة عراة يقطعون الفيافي مشيا على الاقدام وتلفظهم البلاد وتسد فى وجوههم الابواب جزاء بما كسبت ايديهم ، الا (وعد بلفور) كانه العروة الوثقى التى لانفصام لها !

عشرون عاما وهذا البلد الامين يعانى اشد العذاب والعرب يرددون الانفاس ما بين المشائق والسجون والجثث الهامدة ودوى المدافع والنار الحامية التى لم ينج منها الشيخ الهرم ولا الطفل الرضيع ولا البائس العليل فتستغيث الارض والسماء والدولة المنتدبة لانتهى من سياسة الوعد والوعيد وامريكا لاتعطف الا على الدخلاء اليهود فى ارض فلسطين •

واولئك الدخلاء هم الذين اوقدوا نار الفتن ودبروا المكائد وسيبوا سفك الدماء والعرب المطاردون فى عقر دارهم هم المجرمون فى نظر السياسة • لاذنب لهم سوى جبههم لاوطانهم والدفاع عن حقوقهم المشروعة وليس وضعهم كوضع الحبشة او كوضع الصين •

وهذه امم الغرب - على نعمها التى غمرت بها اليهود منذ عهد بعيد ، وساوت بينها وبينهم فى الثقافة والتهذيب ، والحرية الكاملة فى مزاوله

المهن الممتازة كالطباعة والصحافة والمحاماة والتجارة وغيرها من الصناعات والاشتراك في السياسة والادارة والقضاء والتشريع والمناصب والرتب الملكية والعسكرية حتى رجحت اكدتهم على كفة العنصر الحاكم - أخذت تستغيت من مكايدهم ودسائسهم في جميع مناحي الحياة علاوة على احابيل الغش والخداع وكفران النعمة ، ولم تجد للخلاص من شرورهم سوى الاجلاء • وهو آخر علاج فكرت فيه • فهلا يكفي ذلك دليلا على ان العرب احق من غيرهم في جزعهم من هؤلاء الاشرار ومكافحة هذا الداء الويل الذي تطهر منه القسم الاعظم من بلاد الغرب فكانوا عالة على ارض فلسطين ، ومالبثوا ان عاثوا في الارض فسادا وسلوا السيف على أهل البلاد ، وليس لهم فيها اى حق ماعدا وعد (بلفور) •

اما وقد آل الأمر الى القتل والقتال ، فلم يبق للعرب سوى أحد أمرين ، اما ان تزهق ارواحهم الى آخر متنفس منهم ، واما ان يعترف بحقهم المشروع وحق المسلمين الصريح المعترف به منذ ثلاثة عشر قرنا من لدن عهد الفاروق الى عهد الانتداب الذي فسرتة العصبية بالتدريب والمشورة والمساعدة ، فظهر ان معناه الحقيقي هو التقتيل والتهجير والسجن والنفي والاعدام والتدمير والتحطيم وغصب الحقوق •

وهذا مصير انصواء العرب تحت لواء الحلفاء قبل التثبيت من عواقب الامور • انا لا نريد ان نعيد الى الاذهان اخطاء ذلك التسرع في اعتماد العرب على تعهد الحلفاء ايام محنتهم غير ملتفين الى ان ظروف الحرب غير ظروف الهدنة ، حتى وضعت الحرب اوزارها ، وقلب الحلفاء لهم ظهر المجن •• ومهما كان الامر فتلك نقطة سوداء في تاريخ المدينة يحملها العصر الحاضر الى الاجيال المقبلة للعة والاتباه •

بين المقترحات والتسويات :

ولقد كثرت المقترحات حول الحل المرضي لمعضلة فلسطين واختلفت

الروايات ولم نجد بين ما تنقله الاسلاك البرقية من الحلول ماهو مرض ولعلها ملتقطة من الافواه اذ الحل المرضي هو الاعتراف بحق العرب وحدهم في تقرير مصيرهم ، ولا يتأتى ذلك الا عن طريق الاستفتاء العام اذا كان حل المعضلة امرا مرغوبا فيه على ان يسلم الاستفتاء من كل شائبة كما جرى في منطقة السار •

وإذا كان هنالك من ينظر الى العرب كأمة مستضعفة من السهل اخضاعها بالقوة وارغامها على احدى الطرق المتوتية ، فالقضية ليست منحصرة في العرب وانما هي قضية اسلامية ومن حق العالم الاسلامي ان يستमित في سبيلها على اختلاف المذاهب والعناصر •

وليس من السهل اخضاع مئات الملايين من المسلمين المنبعثين على وجه البسيطة بالقوة ، كما انه ليس من السهل ارتياح الدول التي لها علاقة بالامة الاسلامية لحل غير مرضٍ والتنافس السياسي جعل الامم المتحضرة للوثوب تتلمس في مطاوي الحادثات اضعف حجة لاستئناف الحرب العالمية •

ولاعبرة للحل السلي الذي تم على أيدي الدول الاربع في مؤتمر مونيخ فانه وقتي كما صرح به ساسة الدول انفسهم •
وليس من السهل ان تؤلف المنافع من الدول ذوات الشسآن كتلة تنفق على هضم حقوق العرب واهانة الامة الاسلامية والنزول عند رغبة اليهود المطاردين من قبل اكثر الدول الغربية •

لذلك ، ولكوننا من ذوى العلاقة بالارض المقدسة من النواحي الدينية والسياسية والاقتصادية كما بينا في مقالاتنا السابقة وكما جاء في مذكرة الحكومة العراقية الى عصبة الامم ، وللروابط التي تربطنا بالدولة المنتدبة بصفقتها حليفة العراق نقترح حل المعضلة عن طريق الاستفتاء العام لاعتقادنا بأنه الحل الوحيد الذي يقطع دابر الفتن • ومن العدل والكياسة اطلاق الحرية للاكثرية الساحقة في تقرير مصيرها وقد

جرت السياسة على ذلك فى معضلة «البار» ومعضلة «السوديت» لو لم يتم حلها على الوجه المعلوم • لان الارغام بالقوة لا يطول امره فى الحقوق العامة كما دلت عليه الوقايع والحادثات ، ومن جملتها ارغام المانيا على معاهدة « ورساي » وارغام تركية على معاهدة « سهر » •

وليس للدخلاء من اليهود اى حق فى تقرير المصير ، لان المهاجر الى بلد لا يخول حق الاشتراك فى مقدرات اهله المتوطنين فيه منذ قرون ولهم فيه روابط مادية ومعنوية وعنعات وذكريات فى كل بقعة منه يتوارثها الابناء عن الآباء فضلا عن الشعائر والمقدسات والدخلاء لم يلبثوا الا عشية او ضحاها •

وبعد ان تحقق لدى الامم الغربية - على عظمتها - ان ليس فى الامكان احتمال اليهود الذين دلت معاملتهم على انهم مجبولون على الغدر والخيانة لتأمين منافعهم وان أدى ذلك الى هلاك العالم ، كما سبق لهم ان دبروا الحرب العالمية ليستغلوا نيرانها ودماءها لجمع المال بمختلف الطرق والاساليب وتم لهم الامر كما أرادوا • ولولا ان تدارك اقطاب السياسة معضلة «السوديت» وحلها بالطرق السلمية وقد كانت الحرب قاب قوسين او ادنى لذهبت الملايين من النفوس ضحية حيلهم واحيلهم وتدابيرهم الشيطانية •

فهل بقى محل للتمسك بوعد «بلفور» واضطهاد العرب ؟ واحتقار مئات الملايين من المسلمين ؟ واذا كان (بلفور) قد اخطأ فى وعده فما ذنب العرب ان يذهبوا ضحية الخطأ الذى قامت عليه الادلة والبراهين واذا كان من المحتم لدى الدولة المنتدبة ايجاد وطن قومي لليهود فأرض الله واسعة، أما فى فلسطين فمن المستحيل ان تنطفى شرارة الفتن الى بضعة قرون والعالم فى أشد الحاجة الى الراحة والسكون •

ولما اليهود المتوطنون فى ارض فلسطين من قبل الحرب العالمية فاولئك غير مقصودين فيما نكتب ونقول • وانما البحث مقصور على الدخلاء

الذين ضاقت بهم الارض ففتحت لهم الابواب لغايات نوهنا عنها في مقالاتنا
السابقة ، ومن حق البشر لا العرب وحدهم ان ينفروا منهم اينما حلوا .
وليس لهم الا ان ينتخبوا ارضا في هذا الربع المسكون بعيدة عن
الاختلاط ويتخذوها وطنا قوميا لهم ويرفعوا عليها راية الدولة الاسرائيلية
ولهم بين الدول المعظمة من يميل الى حمايتهم جبا بالمال .

فهى المدرس *

* مجلة « الكفاح » العدد ٢٨١ السنة العاشرة الصادر فى ٢٤ تشرين
الثانى ١٩٣٨ .

عظمة محمد

صلى الله عليه وسلم

ليس في الامكان تصوير العظمة التي تجلت على العالم في مثل هذا اليوم بجميع ما انطوت عليه من حكم واسرار مالم يبلغ العلم في صفحات تطوره اقصى مراتب الكمال . والعلم لا يزال في بداية انكشافه كما يظهر من سير البوادر والحادثات . وما كشف العلم سرا من اسرار هذا الكون الا انتبعت الاذهان الى موضع الاشارة اليه في خفايا الآيات البينات . ومن ذلك يتبين ان الذي توصلت اليه الافهام في استنباط حقايق القرآن ان هو الا جزء مما لم تتوصل اليه ، وان وراء ذلك دقائق لاتزال في طي الخفاء (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ^(١)) وهذه هي المعجزة التي هزت العالم ، واخضعت الامم ، وخرت لها العروش والسيجان وتلجج امامها اولو الفصاحة والبيان ، فجادوا بأموالهم وانفسهم وما ملكت ايديهم لاعلاء كلمة الله . ولما كانت عظمة هذا اليوم تزداد روعة كلما تطور العلم والفن كان حتما ان يتعذر على الباحث في هذا المقام الاتيان بما ينطبق على الحقيقة والواقع ، كما يتعذر التعبير عن هذا الكون الذي هو مضمون من مضامين تلك العظمة وسر من اسرارها ولم يتوصل العلم الا الى اكتشاف بعض حقائقه .

فما دام العلم يتردد بين الظهور والخفاء ، وبين التطور والانكشاف فلا ينطلق لسان التعبير في هذا الموقف ولا يتسع مجال البيان (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) ^(٢) .

اما ما يمكن ايراده فهو ما تناولته التواريخ وكتب السير عن طريق النقل والرواية . ومما جاء فيها على سبيل الاجمال ان ذلك الانقلاب

(١) الكهف : ١٠٩

(٢) الاسراء : ٨٥

العظيم الذى قلب نظام الاجتماع الانسانى وانقذ المجموعة البشرية من ظلمات الجهل والضلال والذى يزداد عظمة كلما اعيد ذكره على الاسماع ، لم يكن وراءه جيش عرمرم ، او مال غزير او ملك جبار ، او عصبية قومية ، او ملك لايبلى ، وانما الامر على النقيض من ذلك •

فقد كان يتمثل فى شخص يتيم ، امى ، عائل ، اعزل ، يطوى يوما ويقتات يوما ، ظهر من بين الصخور السود ، فى واد غير ذى زرع ، حاملا فكرة التجدد والاصلاح و (الله اعلم حيث يجعل رسالته ^(٣)) من حوله قوم جبلوا على الانانية وحب الذات ، لا يخضعون لسلطان ، ولا تلتين لهم قناة ولا يلوون على احد ، وفوق ذلك لهم من تقاليدهم الموروثة عن آباءهم الاولين ما يجعلهم يخرجون على كل جديد فى الحياة • مقيدى بسلاسل اعتقادات ولدتها الهواجس والاهوام ، توالى عليها القرون ، وانتقلت الى الاصلاب جيلا بعد جيل ، حتى امتزجت باللحم والدم ، واستحالت جزءا من حجيراتهم ، فلم يكن فى وسعهم التخلي عنها ولو لمعت على رقابهم السيوف • ولم تكن هذه الحالة النفسية خاصة بهم ، دون غيرهم من الاقوام ، بل كانت هذه سيرة البشر على الاطلاق وفى هذا الموقف الرهيب ينكشف سر النبوة • • دعاهم الى الايمان غير ملتفت الى مالهم ، وعدهم ، وسلاحهم ، وحميتهم الجاهلية ، وليس له مما يشايه سوى ايمانه بحلول الوقت لاصلاح البشر فى امر دينه ودنياه ، والسير به على خطط مرسومة تقرب الى ذهنه المعرفة بخالقه وبحقائق الاشياء ، والغاية التى خلق من اجلها •

فناوأوه ، وآذوه ، وتآمروا عليه ، وسخروا منه ، وهو ثابت ثبات الجبال • • • حتى حل فى مداركهم ، وسحر قلوبهم ، وامتلك شعورهم وهيمن على نفسياتهم ، وحرر عقولهم من تلكم الخرافات التى جعلتهم مطمورين قرونا فى أعماق ماضيهم وقوض آلهتهم ونزع ما فى صدورهم

(٣) الانعام : ١٢٤

من غل ، وجمع شملهم تحت رايته ، وأدبهم بأداب شريعته وبعث منهم
خير أمة أخرجت للناس •

بعث من شتات ذلك القوم المنافر المتمرد أمة متراصة متضامنة ذات
بأس وقوة وعزم لا يقل ، واردة لا راد لها ، وإيمان يلين له الحديد ،
فامتطوا متون عزائمهم فذلت لهم الصعاب ودانت الأرض بما فيها ، فطووا
سهولها وحزونها وجبالها الشاهقة وپجارها الهائجة ، ولم يشنهم حر لافح
ولا برد قارس ولا ريح صرصر ، حتى بسطوا سيادتهم على ما يقارب
الربع المسكون ودوت كلمة التوحيد من بطحاء مكة الى أعالي تركستان
وجنوب أوربا الى نهر الرون الى جبال بيرنه ومن بحر العرب والاقيانوس
الهندي وصحراء أفريقية الى بلاد السند والبنجاب الى الاقيانوس
الاطلانتىكي ، وملأوا الافاق علما وعدلا وحكمة وأمنا وهيبة وجلالا • تلك
هي الروعة التي يتعذر على الباحث تصورها ، وذلك محمد بن عبد الله
صاحب هذا اليوم العظيم (ص) •

ففى مثل هذا اليوم يفتح البشر عهدا جديدا ، وتستهل الانسانية
تاريخا حافلا بسياسة العدل والحرية والمساواة ومكارم الاخلاق والبحث
والتفكير فى خلق السماوات والأرض وطلب العلم وفرضه على كل مسلم
ومسلمة والسير فى انحاء العالم وتمحيص الانار وتزكية النفس والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر •

وينطوي عهد الاساطير والعبودية ، ويعرف الانسان ما له وما عليه
ازاء نفسه وخالقه والمجتمع الذى يضمه ويؤويه • ويدرك أن الطبيعة وما
فيها آية من آيات الله ليس لها من الامر شىء (ألم تر أن الله له من فى
السماوات ومن فى الأرض^(٤)) ، وليس الفضل لهذا اليوم مقصورا على
المسلمين وانما هو شامل لجميع طبقات البشر التي اقتبست من نوره عن

طريق الدرس والاتصال وممارسة الأثار الإسلامية (وما أرسلناك الا
رحمة للعالمين ^(٥)) •

سيأتي يوم يعترف به من لم يعترف اذا ما قطع العلم مراحل أبعد
مدى في طريقه نحو التكامل والارتقاء ، لان هذا القرآن يهدي للتي هي
أقوم في السياسة والادارة والاداب والاجتماع والاخلاق ونظام الحكم
لكل جيل وفي كل قطر على اختلاف الطبائع والعناصر والطبقات قويا
وضعيفا وفقيرا وغنيا حسبما تقتضيه المصلحة العامة وتدعو اليه الحاجة
ولان مبادئ دين الاسلام اضمن لاستقرار الامن في العلم وحفظ السلام
العام (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) ^(٦) •

ومهما اصاب المسلمين من نكبات فان اعلام هذا الدين ستبقى خافقة
مادام على وجه البسيطة أثر للحياة •

أما النكبة فكلما عظمت فانها تزيد الأمم المنكوبة يقظة وانتباها وغیظا
وحقدا واحتقارا للحياة ، فتستأسد ، وترخص لديها الأرواح ، ويهون
عليها كل عزيز ، وتستعذب الموت ، حتى تسترد الحق المغصوب ، وتعيد
المجد ، وتحيي معالم العظمة وترفع راية النصر ولو على الخرائب والأطلال
(وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) ^(٧) •

فهى المدرس *

(٥) الانبياء : ١٠٧

(٦) آل عمران : ٨٥

(٧) الروم : ٤٧

* مجلة « العالم الاسلامى » الجزء الاول والثانى - السنة

الاولى ١٩٣٨ م •

فلسطين بين التقسيم والامبراطورية العربية

عرفت سياسة الاستعمار كيف تستدرج بعض الرجال عام (١٩١٤م) وتحملهم على تلقيين السواد الاعظم بان الغرب أخذ يعطف على الامم الضعيفة ، وان في النية مساعدة العرب على نيل استقلالهم واحياء مجدهم بتأسيس امبراطورية مترامية الأطراف من الخليج الفارسي الى جبال طوروس ، ومن ساحل البحر المتوسط الى حدود ايران اذا هم انضموا الى مجموعة الحلفاء •

فانبثت الدعايات بين الطبقات بمختلف الأساليب حتى كاد العرب يلمسون الامبراطورية المزعومة بأيديهم •• وأخذت الحماسة مأخذها وانطلقت ألسن الشعراء والخطباء بتعريد الأناشيد واستعراض المجد الطارف والتلديد ، كأن الأمر بين الكاف والنون • لأنهم لم ينتظروا من الحلفاء ان يستدرجوا أمة في القرن العشرين بهذا الاسلوب كما يستدرج الطفل الصغير ، وانضوا تحت لواء الحلفاء وخاضوا غمار الحرب متكئين على الوعود •

وطووا كشحاً عن اقتراح حكومة (الاتحاد والترقي) على يد جمال باشا^(١) قائد الفيلق الرابع في دمشق حول اعتراف الدولة العثمانية باستقلال العرب على أساس (اللامركزية) فوراً اذا هم التزموا الحياد •

ونسوا ان الغرب منذ مئتي عام يحاول اقتسام البقية الباقية من بلاد الشرق لاستغلال منابع ثروتها ، وببذل الجهود المتواصلة لتحقيق هذه

(١) ولد في استانبول عام ١٨٧٢ ، وتقلد مناصب مهمة كثيرة كالمصرفيات والوزارات وقيادة الجيش الرابع في سوريا • وكان اتحادياً من اشد الاتحاديين تمسكا بالفكرة الطورانية ، وسفاحا يحسب الاعداء من واجباته اليومية • قتل في (تفليس) عاصمة كرجستان في ١٨ تموز ١٩٢٢ •

الأمية وفي ضمنها بلاد العرب كما نصت عليه معاهدة (سايكس بيكو) (٢) والمنعقدة بين فرنسا وانكلترا عام (١٩١٥م) وكان قد آن الأوان ، ولذلك قامت الحرب على ساقها .

وكاد الأمر يتم لهم لولا أن قيض الله لتركية وايران من بعث فى الأمتين روحا يذوب أمامه الحديد ويفنى الجبروت .

وما وضعت الحرب أوزارها الا انقلب للعرب ظهر المجن . . فاذا بأعلام الاستعمار تخفق على ربوعهم واذا بهم يتخطون بدمائهم ، ولا ذنب لهم سوى غيرتهم على أوطانهم ، والدفاع عن حرياتهم ، وقد مضى على فلسطين عشرون عاما وهى تردد الأنفاس بين المشائق والسجون .

فلسطين والانتداب :

اما الانتداب الذى فسرتة (عصبة الامم) بالمشورة والمساعدة ورفضه العرب رفضاً باتاً فهناك صفحة من صفحاته :

ما خفق علم الانتداب على أرض فلسطين الا فتحت أبوابها لمئات الألوف من الصهيونيين المشردين الذين جىء بهم لمزاحمة الأهلين فى مواطنهم ومقدساتهم وفيما ملكت أيديهم ، ولاحداث معضلة تشغل العالم بضع سنين ثم تتخذ ذريعة للتوصل الى حلها من طريق التقسيم المتصور من

(٢) معاهدة سايكس - بيكو : هو الاتفاق السرى المبرم فى ٢٦ أيار ١٩١٦ بين انكلترا وفرنسا والخاص بالاستيلاء على ممتلكات الدولة العثمانية وتقسيمها الى مناطق نفوذ بريطانية وفرنسية وتقطيع اوصال الوطن العربى الى خمس مناطق ساحلية وداخلية . وقد بقيت بنود هذا الاتفاق سرية حتى اعلنتها روسيا بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ فانكشفت نوايا انكلترا وفرنسا وروسيا تجاه البلاد العربية عامة والثورة العربية بصورة خاصة التى (تزعمها) امير مكة الشريف حسين باشا ضد الدولة العثمانية . وقد اشتهر الاتفاق بهذا الاسم نسبة الى المفاوضات الانكليزية والفرنسية اللذين وقعا قبيل توقيع روسيا القيصرية عليه ، وهما السير مارك سايكس الخبير الانكليزى فى شعوب الشرق الاوسط ، والمسيو جورج بيكو القنصل الفرنسى العام فى بيروت آنذاك .

قبل الحرب العالمية ومن قبل أن تقسم البلاد العربية الى مناطق نفوذ ، لأنه
أمنع الوسائل لتعزيز طريق الهند وحماية أنابيب النفط •
وما وطئت أقدامهم الارض المقدسة الا ثارت الفتن ، وأريقت الدماء ،
وتحولت الربوع الآمنة الى مجازر على طول البلاد وعرضها ، وبلغ الجزع
منتهاه فكانت العضلة المقصودة • فمن لجنة الى لجنة ، ومن تحقيق الى
تحقيق ، حتى تكامل العدد المطلوب من المهاجرين الصهيونيين لاسماع
صوتهم في قاعة العصبة كشعب مظلوم •

فلسطين ومشروع التقسيم :

أذيع مشروع التقسيم مع التصريح بأنه أفضل حل وجدوه ، لأن
القسم المهم الذي تتألف منه (دولة فلسطين) وفيه القدس يلازمه الانتداب
الى أجل غير مسمى ، و (دولة أرض اسرائيل) يخفق عليها علم الانتداب
الى حين ، والبادية الجرداء يساق اليها العرب كما تساق البهائم ، وتؤسس
فيها (دولة جنوب سورية) لان العرب مغرمون بهذا الاسم من القديم كما
علله وزير المستعمرات في لجنة الانتدابات •

وبهذا الاعتبار تقوم مقام المتصرفيات الثلاثة التي كانت على عهد الدولة
العثمانية وهي : القدس ، عكا ، نابلس ، دول ثلاث لها عروشها وتيجانها
وتشكيلاتها الادارية والسياسية ، وتدعى مراكز الأولوية بالعواصم ، وتكفل
مقاعد المتصرفين بأصحاب الجلالة •••

فلسطين ومؤتمر زوريخ :

ولكن مؤتمر (زوريخ) المعبر عن رغبات (١٧) مليوناً من الصهاينة
والناطق بلسان مئات الملايين من البانوات رفض هذا الاقتراح المرصع
بالعروش والتيجان ، لأن القسم المخصص للدولة الاسرائيلية في الساحل
لا يسع تشكيلات دولة ولا يستوعب النفوس المنتظر تقاطرها عليه من يهود
العالم ، وقرر المطالبة بفلسطين كاملة مع انضمام شرق الاردن اليها والا فلا •
فأوصت لجنة الانتدابات بأن يدرس مشروع التقسيم درسا دقيقا
ويؤجل الى عام (١٩٤١م) •

فلسطين والامبراطورية العربية :

وعلى أثر التأجيل اقترح فريق من الصهيونيين تأسيس حكومة مشتركة بين العرب واليهود فارتأت الدولة ذات الشأن - ان صح الخبر اللاسلكي - ان تجمع بين قرار المؤتمر الصهيوني وبين هذا الاقتراح وتستدرج العرب ثانية بالالفاظ الخلافة ، وذلك بتأسيس امبراطورية عربية تضم العراق وفلسطين وشرق الاردن على أن يفسح المجال لاسكان مليوني صهيوني في هذه الأقاليم علاوة على الموجودين منهم البالغ عددهم مليوناً بوجه تقريبي .
قد ينخدع بعض البسطاء بظاهر الألفاظ كما انخدعوا عام (١٩١٤م) ، ولكن الذي نعتقده ان المفكرين من العرب لا تغرهم حبات الفخاخ بعد تلحم التجاريب وبعد ان عجموا عود السياسة واطلعوا على دخالها .
فليس بالأمر العسير ان تنقلب (الامبراطورية العربية) الى (امبراطورية عبرية) بعد ان ينهال الملايين من الصهيونيين وينحدروا كالسيل الجارف ويصبح العرب في حكم الأقلية . لان الصهيونيين لا ملجأ ولا حامي لهم بعد اليوم سوى بريطانيا العظمى ولديهم من المال ما يذلون به الصعاب ، وان الذي يفقد بقعة من الارض يأوي اليها تهون عليه التضحية بأعز ماله .

وإذا كان التقسيم مآله تهجير الفلسطينيين من أوطانهم فمشروع الامبراطورية معناه جلاء العرب عن المتناطعات المذكورة ، اذ لو كان من الممكن احتمال الصهيونيين بوجه من الوجوه لاحتملتهم ألمانيا وبولونيا ورومانيا وغيرها وهم في كل قطعة منها أقلية ضئيلة ، وقد تخلقوا بأخلاق أهلها وتعلموا لغاتهم وتثقفوا بثقافتهم وتآدبوا بآدابهم ، واندمجوا في طبقاتهم ومع ذلك استغاثوا ولم يجدوا لهم علاجاً سوى اقصائهم عن البلاد .
فكيف يكون وضع العرب اذا ازدحم الملايين على مواطنهم وهم ضدان لا يجتمعان لما بين الفريقين من الأحقاد التي لا تمحوها القرون فضلاً عن اختلافهم في الجنسيات واللغات والثقافة والأمزجة والمبادئ والعادات ، قبضوا على موارد الرزق واحتكروا المهن ، وتسربوا الى دواوين الحكومة .

والى قلب الجيش وأخذوا يتاجرون بالسياسة وامتلكوا البقية الباقية من
الاملاك والاراضى وشادوا القصور وتعلبت عليهم الانانية وسولت لهم
أنفسهم تأسيس (الامبراطورية العبرية) الموعودين بها ومن ورائهم أعظم
دولة فى العالم تمدهم بالسلاح والعتاد كما هى الحالة فى فلسطين بالرغم
من أقليتهم * * ؟!

وقد صرح الهر هتلر فى مواقف عديدة أن اليهود هم الذين أثاروا
الحرب العالمية لغايات من جعلتها استغلال الوضع كما وقع ، فقد انتقلت
ثروة الألمان وأماكهم اليهم علاوة على انتقال المهن ووظائف الدولة ، وفى
رومانيا بلغ سوء الظن بهم مبلغا حمل الحكومة على منعهم من معاملات البيع
والشراء بدون محضر من البوليس * وفى بولونيا ضاقت الأنفاس من
تصرفاتهم فى الاقتصاديات وتلاعبهم فى السياسة *

فالذى يتحتم على العرب عامة وعلى العراق خاصة الوقوف ازاء هذا
الخطر والذود عن كيان البلاد بالأرواح والأموال * * وخير للعرب أن
يموتوا أعزاء من أن يعيشوا عيشة البأس والمعتر *

العرب واليهود المواطنين :

قد يغتبط مواطنونا اليهود بهذا المشروع لاعتبارات لا حاجة الى
بيانها كما اغتبط العرب قبل أربعة وعشرين عاما فكانت العاقبة أضغاث
أحلام * * ولكن الذى يجب أن يفكروا فيه هو ان اليهود الأوربيين كما
انهم أجنب عنا كذلك هم أجنب عنهم فى طبائعهم وغاياتهم وأنانيتهم
وتربيتهم الاجتماعية التى تبعث فيهم حس الاحتقار للشركيين وان كانوا
اخوانهم فى الدين *

فاذا ما استحوذ الملايين منهم على موارد الحياة فى جميع تفرعاتها
- ولهم حق الرجحان من وجوه شتى - فمن المستحيل أن يستقيم لهم رغد
العيش الذى يتمتعون به فى البلاد العربية منذ عصور * *

نقول هذا وهدفنا الوحيد هو الصالح العام من دون تفريق • ولم
يسبق أن فرق العرب بين مصالحهم ومصالح الطوائف التي أوت الى راية
حكمهم قرونا وشاطرتهم الحياة على أتم الوثام •
هذه كلمة جئنا بها للتذكرة والانتباه و (لعل الله يحدث بعد ذلك
أمراً) (٣) •

« عراقي » *

[Faint handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page. The text is mostly illegible due to fading and bleed-through.]

* مجلة « العالم الاسلامي » الجزء الاول والثاني ١٩٢٨ •
(٣) الطلاق : ١٢

فلسطين بين المشانق والمآذب

تتوالى الحفلات وتقام المآذب في (لندن) اليوم للوفود والامراء وتخللها مقابلات مع اسمى مقام ، وتدور المفاوضات في (سان جيمس) في جو هاديء بين العرب والانكليز من جهة وبين الانكليز واليهود من جهة اخرى حول معضلة فلسطين ، وفي فلسطين تحمل المشانق للعالم المتمدن ما يكشف الستار عن حقيقة المدينة الكاذبة ، وموقف الانسانية المخدوعة ، وسرائر المفاوضات *

تدور المباحث في (سان جيمس) وتشعر الوثائق وتعقد الاجتماعات ، ويعقب ذلك مزاورات وسياحات على حساب فلسطين ، وفلسطين تستغيث من جيش الاحتلال وما يستتبعه من تحطيم واحراق وحبس ونفي وانتهاك للحرمان على حساب اليهود الدخلاء *

أما المفاوضات فلا تخرج عن حدود التناقض على خط مستقيم بين الفريقين العرب واليهود في الظاهر ، وبين العرب والاكليز في الباطن ، لان اليهود في الحقيقة ليسوا سوى أداة مسخرة لسياسة الاستعمار في الارض المقدسة *

يشترط عرب فلسطين للدخول في المفاوضات اعتراف بريطانيا اولا بالاستقلال وتأسيس دولة عربية ذات سيادة ، ومنع الهجرة اليهودية ، وبيع الاراضي لهم ، واعتبار اليهود أقلية لها من الحقوق ما للاقليات في البلاد الاخرى *

ويشترط اليهود الاعتراف بالوطن القومي ، والاستمرار على الهجرة اليهودية ، واستملاك الاراضي ، واعتبار اليهود أكثرية بالنظر الى المستقبل القريب .. والصدان لا يجتمعان *

ولا عجب اذا ما اعتبرت بريطانيا العظمى شرارهم اليهود المشردين
والمطاردين من قبل ثلثي دول العالم كشعب له حق الكلام ، لانها هي التي
لمت شعبهم في الارض المقدسة لغايات لو عقل اليهود لما بذلوا في سبيلها
الجهود والاموال الغزيرة بالنظر الى تحول النياسة العالمية في
البحر المتوسط .

غير ان الذي لم يسبق له مثال في تاريخ البشر هو ان ترغم بريطانيا
العظمى عرب فلسطين على احلال اولئك اليهود محلهم بقوة الحديد
والنار ، وفلسطين وديعة مقدسة في يدها ، والاستقلال منصوص عليه في
ميثاق العصبة وفي معاهدة (لوزان) وهي مكلفة بتقديم المساعدة والارشاد
لترقية البلاد وأهلها كما جاء في الفقرة الرابعة من المادة (٢٢) من
الميثاق المنقولة فيما يلي :

(ان بعض البلاد كانت في القديم تابعة للامبراطورية العثمانية وقد
بلغت درجة راقية يمكن معها الاعتراف مبدئيا بكيانها كأمم مستقلة ، على ان
تستمد الارشاد والمساعدة من دولة اخرى . . ان اعتبار رغبات هذه البلاد
يجب ان يكون في الموقع الاول في انتقاء الدولة المنتدبة) .
فأين هذه المبادئ السامية من سفك الدماء وغضب الحقوق ،
والتهجير ، والزج في السجون وانتهاك حرمت المقدسات ؟ . .

وما بال عصبة الامم لا تبدي حراكا ولا تبسب بنت شفة ، وهي
انما تألفت لنشر السلام والامن في العالم ، ولزيادة التعاضد المادى
والفكرى بين الامم كيما تصبح حياة البشر أسهل وأسعد وأشرف من
قبل ، كما نص عليه الميثاق .

وجاء في الفقرة (أ) من المادة (٢٢) من الميثاق ما يلي :
(في المستعمرات والاراضي التي لهم تعد بعد الحرب تابعة لسيادة

الحكومات التي كانت خاضعة لها سابقا والتي يعجز سكانها عن القيام بالحكم الذاتي في بلادهم تحت الظروف الصعبة في العالم الحديث ، يجب ان يطبق المبدأ القائل بان رفاهية هذه الشعوب وارتقاءها وديعة مقدسة من ودائع المدينة وان يتضمن هذا الميثاق الضمانات اللازمة للقيام بهذه الامانة) •
فاذا كان ميثاق العصبة قد ضمن لسكان المستعمرات والبلاد العاجزة عن القيام بالحكم الذاتي هذه الضمانات الاكيدة لاسعاد الاهلين واعمار بلادهم ، وعددها وديعة مقدسة من ودائع المدينة ، فكيف بفلسطين التي شهدت عصبة الامم بريقها واعترفت باستقلالها فى ضمن المقاطعات المنسلخة عن الامبراطورية العثمانية ••؟ واليهود ليسوا بشعب وليس لهم ذكر بين الشعوب •

وفلسطين لم تخفق عليها راية الاستعمار منذ عهد الفاروق الى يوم الاحتلال البريطاني ، وكان العرب فى جميع الادوار هم الحكام ولهم السيطرة التامة وكذلك وضعهم فى عهد الدولة العثمانية فانهم وان كانوا شركاء مع الاتراك فى الحكم الا ان السيطرة لهم ، وكلمتهم هى العليا ، وقد قاموا بواجبهم نحو المقدسات أحسن قيام •

ومما يجدر بالذكر فى هذا المقام كلمة (المهاتما غاندى) عظيم الهند فى خطاب ألقاه على عشرات الألوف من المستمعين وهى :

(ان فلسطين ملك للعرب كما ان انكلترا ملك للانكليز •• ولماذا لا يريدون ان تكون فلسطين وطنا لشعب ولد تحت سمائها ويكسب رزقه فيها •• انه لمن الخطأ ومما يخالف المبادئ الانسانية ان يفرض اليهود على العرب فرضا) •

ولا يعقل ان يتغلب اليهود وهم مشردون فى الآفاق ، منبذون من قبل الامم الاوربية ، ولم يتجاوز عددهم (١٦) مليوناً فى جميع انحاء العالم - مهما حاولوا الاطماع بالمال واستهواء السياسة بالحيل والدسائس -

على العرب الذين لا يقل عددهم عن (٧٥) مليوناً يشايهم (٣٥٠) مليوناً من المسلمين ، ومن ورائهم قوة الحق الصريح ، والسياسة العالمية ، والعصية الشرقية ، وفوق ذلك الايمان بعدالة أحكم الحاكمين .

ومن الأدلة ما جاء في أخبار لندن بتاريخ ٢٣ شباط ١٩٣٩ عن الشعور الهائج في (بلكته) نقلاً عن صحيفة (نجمة الهند) ما ملخصه :

« ان ما تشره هذه الصحيفة من مقالات الانتصار لفلسطين يبعث اهتماماً كبيراً في العاصمة الانكليزية ، ومن جملتها المقال المنشور بعنوان (مسلمو الهند يؤيدون العرب تأييداً قوياً) فقد تظاهر في شوارع (كلكتة) ستون ألفاً من المسلمين حاملين أعلاماً سوداً ورايات مكتوباً عليها : انقذوا العرب من الانضمام الى محور روما - برلين . ان استقلال العرب هو الضمان الوحيد للسلام في البحر المتوسط . . . واذ لم يمثل الهند في مؤتمر فلسطين فإن تسعين مليوناً من الهنود يصابون بالاجحاف . »

وجاء من لندن ان الجمعية الاسلامية التي تمثل مسلمي الهند عامة رفعت مذكرة الى الحكومة البريطانية بعد اجتماع حضره خمسون ألفاً من الهنود فندت فيها مزاعم اليهود وختمت المذكرة بما يأتي :

« ان الجمعية الاسلامية لتعلن بان مسألة فلسطين هي مسألة المسلمين في جميع انحاء العالم ، واذ لم تجب الحكومة البريطانية مطالب العرب العادلة التي هي مطالب مسلمي العالم فان مسلمي الهند سيتبعون أي برنامج يسنح لهم ويكونون على استعداد لبذل أية تضحية يقدرها مؤتمر اسلامي دولي مع مسلمي الهند لتحرير العرب من الاستغلال البريطاني والاستبداد اليهودي » .

وقد صرح أمام عصبة الامم ممثلو الحكومات التركية والارمنية والافغانية والعراق بان قضية فلسطين يجب ان لا ينظر اليها من ناحية العرب فقط ، بل من ناحية العالم الاسلامي أجمع ، وان هذه الحكومات

لا توافق على السماح لليهود بانشاء الوطن القومي ، والتقسيم الى ثلاث مناطق دولية ، وذلك بعد تقديم المذكرة المشتركة المقدمة الى حكومة بريطانيا بتاريخ ٤ آب ١٩٣٨ وقد أعرب وزيران من وزراء خارجية مصر عن شعور المصريين نحو عرب فلسطين وتأييد حقوقهم المشروعة ، مما لا يبقى شكاً في ان العالم العربي والعالم الاسلامي يؤيد مطالب الفلسطينيين بالاجماع •

ومع هذا التساند أبدى العرب من التسامح ما يبرهن على انهم لم يخرجوا موقف بريطانيا في المؤتمر •• فقد تعهدوا بتقديم الضمانات لحقوق الاتليات اليهودية والدرزية وغيرها ، ومنح جميع السكان الحقوق الشخصية السياسية والمدنية على حد سواء بدون تفریق بين المذاهب والعناصر والاديان ، وان يكون حق الانتخاب عاما بحسب المبادئ الديمقراطية ، وان يشترك اليهود في الحكومة بنسبة عددهم ، وان يخولوا حق الادارة المحلية في المناطق المأهولة باليهود ، ومراعاة النسبة في تمثيلهم في المناطق المشتركة بينهم وبين غيرهم ••

وذلك منتهى ما يمكن السماح به لفضة أجنبية عن البلاد ، عالة عليها في سياستها وادارتها وأخلاقها وعاداتها ولغتها ومعاشها وأراضيها الضيقة • فكان ازاء هذا التساهل ان عرض مسير مكدونالد على المؤتمر اقتراحات ترمي الى اشتراك العرب الى حد محدود في ادارة فلسطين بدل الاستقلال التام ، وتحديد الهجرة بدل ايقافها ، وتحديد بيع الاراضي بدل منعه منعا باتا ، وذلك على أساس تقسيم فلسطين الى ثلاث مناطق : المنطقة الاولى وهي الاراضي الخصبة الكثيرة الزراعة وفي هذه الاراضي لا يمنع البيع ، والثانية التي تقل عن الاولى من حيث القابلية الزراعية ينظم فيها البيع ، والثالثة وهي التي تشتمل على أراض غير صالحة للزراعة وفيها يمنع البيع منعا باتا •

والذى يفهم من هذه المقترحات ان سياسة الاستعمار لم تتغير قيد شعرة عما كانت عليه قبل عشرين عاما •• فلم تعترف بريطانيا للعرب بالاستقلال ، ولم تتعهد بمنع الهجرة اليهودية وبيع الاراضى ، ولم تعدل عن فكرة التقسيم ، غير ان المناطق الثلاث كانت فى التقسيم الاول تعتبر عواصم عزوش وتيجان ، فأصبحت مناطق زراعية ، والنتيجة واحدة ، فكما ان نصيب العرب من التقسيم الاول كان التهجير الى الاراضى السباخ ففى هذا التقسيم كذلك •

وسواء منع البيع فى المنطقة الثالثة أم لم يمنع افلاراضى السباخ مستثناة بحكم الطبيعة من البيع والشراء وليس فى ذلك فضل على العرب أو حل للمعضلة •

أما العرب فلا يقر لهم قرار ، ولا يأمنون شر اليهود مادام عددهم بلغ (٤٥٠) ألفا بعد ان كان خمسين ألفا فقط ، ومادام باب الهجرة مفتوحا على مصراعيه وبيع الاراضى مسموحا ، وما دامت السياسة البريطانية تقضى بحمايتهم لجعل فلسطين محطة للقوى الجوية والبحرية • وهذه دول اوربة المعتزة بقوتها لم تسلم من شرورهم بالرغم من القوانين الصارمة التى حرمت عليهم مزاوله الصحافة والطباعة والمحاماة والتجارة والصيرفة والسمسرة وغيرها من المهن والصنائع ، كما حرمت عليهم التجول فى المنتزهات والركوب فى السيارات والاختلاط بالشعب الأرى •

وقد حملت لنا الانباء اللاسلكية ان الحكومة الجيكوسلوفاكية أصدرت مرسوما بتاريخ ٢١ شباط ١٩٣٩ منعت فيه اصدار المواد الثمينة من البلاد بعد ان شعرت بان الاموال الجيكوسلوفاكية تهرب الى الخارج بمقياس واسع بواسطة المهاجرين اليهود ، وتشمل هذه المواد ما يملكه اليهود من مصنوعات المعادن الغالية والاحجار الكريمة •

واصدت حكومة برلين أمراً في ٢٦ شباط ١٩٣٩ ينص على تجريد اليهود من الأشياء الثمينة كالقطع المصنوعة من الذهب والفضة والبلاتين والاحجار الكريمة والآلء لقاء تعويضات تقررها وزارة الاقتصاد •• وان المدير العام للمعمل الكيماوى فى براغ منع اليهود من ذبح الطيور والمواشى طبقاً لتقاليدهم كما منعهم من بيع اللحوم (الكاشير) عسى ان يضطروا الى المهاجرة •

وليس عرب فلسطين بأقوى من ألمانيا وإيطاليا ورومانيا وبولونيا وليتوانيا وجيكوسلوفاكيا ولا أدرى منها بحيلهم وهذه الدول فى حيرة من أمرهم •

لذلك انا لا تعلق آمالا كبيرة على المؤتمر ونتائجه ، لان الحل الوحيد فى نظرنا هو اتباع سياسة الدول الاوربية وذلك بأخراج اليهود الدخلاء من فلسطين واسكانهم فى بلاد أخرى وابقاء ما كان على ما كان اذا صح ان السلم العالمى أمر مرغوب فيه •• ومما لا يخلو من فائدة ان نقل بهذه المناسبة عن الانباء اللاسلكية الفقرة التالية :

« ان تركية التى ضمنت استقلال جميع الشعوب المنفصلة عن الجسم العثمانى فى معاهدة لوزان لا يمكنها ان تقف مكتوفة الايدى الى الابد تجاه أمور خطيرة تجرى على مقربة من حدودها بصورة مستمرة • وما على الدول الاجنبية الكبرى الا ان تمنع النظر فى أمر هذه الامم الحية وتعيد السلام الى البلدان التى تقطنها لثلا يستفحل الامر وتكون نهاية غير منتظرة •• »

وكنا قد أشرنا الى هذا المعنى فى مقالاتنا السابقة وبيننا ان تركية لم تتنازل عن سيادتها فى المقاطعات المنفصلة عن المملكة العثمانية الا بشرط الاستقلال ، فبالاد العربية مستقلة بذاتها ، لا تحتاج الى ثورات ومؤتمرات وزحف الجيوش الجرارة ، وإزهاق الارواح ، واحداث الاضطرابات لا تنتج غير الخسائر الفادحة للاهلين وللمحتلين •

وعلى أثر انعقاد المؤتمر الفلسطيني في لندن نشر (الكونت سفورزا) وزير خارجية إيطاليا السابق المقيم في باريس وهو من معارضي السنيور موسوليني مقلاً بعنوان (الحرب القادمة سببها فلسطين وسورية) جاء فيه :

« لم يثبت اليهود انهم ابناء عم العرب ، اذ كيف يتسنى لهم ان يثبتوا ذلك وهم يحاولون الاستيلاء على فلسطين . واذا لم تتدارك الدول الاوربية مسألتى فلسطين وسورية فلا شك في ان الحرب المقبلة ستبتعث من هناك . لقد أخطأ الانكليز ومن ورائهم اليهود في اطلاق اسم فلسطين على قطعة الارض الضيقة الواقعة في غربى الاردن ، لان هذه الارض هي قطعة من سورية ، وسورية من الوجهة الجغرافية والتاريخية جزء من العالم العربى الموثب واذا سألتهم القرون في ايام الحروب الصليبية وما قبلها وما بعدها علمتم ان فلسطين بلاد عربية ، بل انكم اذا سألتهم الامبراطورية الرومانية تبين لكم انها كانت تسيطر على سورية باعتبار انها قطر عربى يتولاه أمراء العرب الذين كانوا يؤلفون اكثرية السكان . وكان على انكلترة ان تعلم ان اسكان اليهود لا يتم الا بموافقة العرب وان تعلم ان السوريين والعراقيين كلهم عرب وان اختلفوا في المذاهب حتى الموارنة والدروز وان ثمانين فى المائة منهم يسرى الدم العربى فى عروقهم وقليلة هى الامم التى تجدون بينها نسبة عالية كهذه ، والعرب شعب متوثب لهم مستقبل عظيم سيملاً الدنيا نورا كما ملأها فى الماضى . فعلى اليهود ان يتدبروا أمرهم لئلا يكونوا أول ضحية لهم ، فالنهضة العربية واقعة لا محالة واذا حاول اليهود ان يقفوا فى طريقها فلا يلو من الا انفسهم » .

وجاء من (بكرش) فى شباط ١٩٣٩ - ان قد جرد من الجنسية الرومانية (٣١) ألفاً من اليهود خلال ثلاثة اشهر ، ويجرى الآن تدقيق سجلات النفوس على أساس القوانين ضد اليهود . وقد طلب وزير العدلية

انهاء ذلك في ٣١ مارت ١٩٣٩ - اذ لا يزال عدد كبير من اليهود الذين
يجب ان يحرموا الحقوق المدنية *

ولو كان غرض اليهود مجرد الحصول على بقعة أرض ياوون اليها
لما رفضوا اقتراح فرنسة في عامي ٣٥ و ٣٦ حول اسكان عدد منهم في
سورية بشرطان يكون لديهم رأس مال صغير ، وان لا يحاولوا تأسيس
وطن لهم ، وان لا يكونوا منتمين لأية شركة أو جمعية . . ولكن هدفهم
أبعد من ذلك مدى ، وربما تناول بسط سيطرتهم على فلسطين وسورية
وشرقى الاردن والعراق ، وسياسة ألمانيا وايطاليا بهذا الباب واضحة ،
وحكومة بريطانيا أعلم بوقوفهما موقف المترصد ، وتراكية لم تنازل عن
سيادتها في هذه المقاطعات الا بشرط الاستقلال ، فمشكلة فلسطين أصبحت
من مشاكل السياسة العالمية كما أشرنا اليه أكثر من مرة *

وليس من المنطق ان تنقاد السياسة العالمية لدسائس جماعة مخذولة
أجمعت الامم المتعددة على تشييت شملها للتخلص من الاحايل التي لا تنتهي
عند حد ، ما عدا أمريكا وانكلترا المسيطرة عليهما بقوة المال *

هذا هو الوضع العالمى ازاء العرب واليهود ، والفرصة سانحة للعرب
أكثر مما هي لليهود و (الحق يعلو ولا يعلى عليه) *

وقبل ان نختم كلمتنا نحى أرواح الشهداء وبطولة الاحرار
المجاهدين الذين خلدوا في تاريخ العصر الحاضر صحيفة من صحائف
الخلفاء الراشدين ، ورفعوا راية العرب والاسلام الى أعلى مقام ، وسلام
على الاحياء وألف سلام على الاموات ورحمة الله وبركاته *

« عراقي » *

* مجلة « العالم العربى » الجزء الخامس والسادس السنة
الاولى ١٩٣٩

اليوم الثاني عشر من ربيع الأول وروعة دين الاسلام والوضع الحاضر

« يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا •
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا • وبشر المؤمنين
بان لهم من الله فضلا كبيرا » (١) •

حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الرسالة وبشر بها قبل
أربعة عشر قرناً ، ولا يزال يرن صداها في أنحاء العالم حتى يكشف
العلم أسرار الكون وخفايا الطبيعة وما وراء الطبيعة ، ويتكامل العقل
الانسانى ، وتتجلى الحقيقة لمن كتب الله له سعادة الدارين •
وفي مثل هذا اليوم من كل عام تنطوى الأبعاد بين الأفطار الشاسعة
الاسلامية ، ويتماج الشعور ، وتتصل القلوب ، ويتجاذب مئات الملايين
من المسلمين ذكريات ذلك الانقلاب الخطير الذى اقتتح عهد اليقظة
والانتباه ، وتستعرض من أعماق الماضى البعيد ألواح العظمة التى هزت
العالم ورجت الأرض ، ودكت الجبال وطوت الفيافى والبحار ، ورفعت
راية الاسلام فى مشارق الارض ومغاربها ، ودوت صرخة الحق فى
الآفاق (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) (٢) •

فانظمت معالم الظلم والجبروت لهذا الفرع الأكبر ، وذلت
الرقاب ، وخرت العروش ، ونادوا آتينا طائعين •
تتجلى الاتصالات المعنوية ، والجواذب الروحية كلما عاد اليوم الثانى
عشر من ربيع الأول ، وشعت الأنوار من مطلع الهداية ومهبط الوحي
والتبوة ••

وكان على المسلمين أن يستوحوا القوة من معجزات هذا الدين ،

(١) الاحزاب : ٤٥ - ٤٧

(٢) النحل : ٩٠

وروعة ذلك التاريخ ويستقزوا العزائم لاعلاء كلمة الله كما أمروا به ••
ولكنهم اتكلموا على ماضيهم ، وأغمدوا السيوف وناموا ، ولم يعتبروا بعواقب
الامم من قبلهم ، وهان عليهم ان يتعاون على انحطاطهم فريقان منهم ، أولياء
الأمر من جهة ، ودعاة المذاهب من جهة أخرى •

انغمس اولو الأمر فى غمرة من اللهو واللذات فهاموا ، ونفتت
السياسة سمومها فى صدور العلماء وألتهتهم بأمر ليست من الدين ولا هى
من الدنيا فى شىء ، فاختلفوا وتنازعوا وتفرقوا ، واوغروا الصدور بما
جعل بعضهم ينظر الى بعض نظر الكافر والمرتد ، وأخروا المسلمين قرونًا
عن السير نحو الهدف الاسمى ، والعدو يعد العدة ليستأثر ويبطش بهم
ويهيمن على خزائن أرضهم وما ملكت أيديهم ويقبض على ناصية الملك
بقوة الحديد والنار ، وهم يختمون على الفمحة والكسرة ، والغاية
والمغيا ، وتفضيل زيد على عمرو ، ويتنظرون من أعماق الخفاء من يعيد
لهم جلال المجد وعظمة التاريخ •

فثروا الهمم وشجعوا التعصب الأعمى ، وأيقظوا الفتن بين المسلمين ،
وانغزلوا عن العالم واخاروا لأنفسهم الذلة والمسكنة واعتمدوا على الطوابع
والاحلام •• حتى غلب على الظن ان موضوع الدين الاسلامى لا يتعدى
الأوهام وذلك الجمود وتلك النزعات ، والتبست الحقيقة واحتجبت الحكم
بين الأغراض الفاسدة ، وابتعد الدين عن الأهداف السامية حتى كساد
ينكرنا • ومنعا لتسرب الخطأ الى حقائق الدين يسد باب الاجتهاد ، وبهذه
الحجة يوضع الحجر على العقول والألسنة وسائر الحريات مما له اتصال
بحياة الأمة وسياسة المملكة ، وترسم الخطب على تسق واحد فى اللفظ
والمعنى ويلزم بها الخطباء على المنابر فى جميع أنحاء المملكة الاسلامية
سداً لباب النقد والتعريض ، وفي هذا الخفاء تبت الدعايات السامة باسم
الاختلافات المذهبية ، وتدون المجلدات وتشر فى الأوساط ، فينفرط عقد

الوحدة ويضعف كيان الدولة وتنحل الإدارة ، ويختل نظام الحكم ،
وتوسد الأمور الى غير أهلها ، وتنفق الأموال في غير محلها ، وترتكب
المعاصي وتوقف الحدود الشرعية ، وتمسخ الأخلاق ، وتمرد الجيوش ،
وينتقل العصيان من بلد الى بلد ويتناوب القتال على الحكم ذوو الأطماع ،
وتقسم الممالك والبلدان ، والعدو يجوس خلال الديار ، والخلاف يزداد
نشاطا كلما انهد ركن من أركان الدولة ، حتى آل الأمر بالمسلمين الى
الوضع الحاضر ، ولا يزالون مختلفين ابتغاء الأثرة والابهة الكاذبة ••
ولا يقطع دابر الخلاف ما دام له رواج في الأقطار المتغلغلة فيها السياسة
الأجنبية ، ولا يرجى للمسلمين انتعاش ما دامت هذه النزعات آخذة
بخناقهم ، وما دامت تعبت بوحدتهم ، وتتخذ مستغلا لاعداء الدين ••
وليس لهم أى عذر فيما فرطوا في جنب سياستهم بعد أن مهد لهم الدين
سبل الهداية ولم يترك أمراً من أمور الدنيا والآخرة الا بسط له
شرعة ومنهاجاً •

الدين والنظم الاجتماعية :

فمن الناحية الاجتماعية وضع هذا الدين قواعد التضامن بين الأفراد
والجماعات عن طريق المسؤولية المشتركة باعتبار الأمة الاسلامية كنفس
واحدة ، وبهذا الاعتبار مهد أقوى ضمان لصلاح المجموع وسلامته ، وشد
أزر هذا التضامن بالتآخي بين المؤمنين على اختلاف العناصر وبعث منه وحدة
متماسكة جاءت بتلك القوة الجبارة التي بسطت سيادتها على ممالك وأفاليم
لا تقل مساحتها عن ثلثي الربع المسكون ، وعزز أواصر الاخاء بتسمية روح
التآزر والتعاون على المصلحة العامة ، والاعتماد على النفس والاستقلال
بالذات بمواصلة السعي ومراعاة التوازن بين الأغنياء والفقراء منعا للخروج
على النظام بدافع الضرورة ، والتبعية في ذلك تقع على المجتمع من ناحية

التضامن والمسؤولية المشتركة ، والعطف على اليتيم باعتباره عضواً من جسم المجتمع والمجتمع مسؤول عنه حتى يبلغ أشده ، ورعاية أهل الكتاب على قاعدة المساواة في الحقوق وذلك منتهى مقاييس العدالة •
ولما كان نظام الاسرة مدار انتظام الهيئة الاجتماعية بنى أحكام الاقتران على اسس تضمن لها اكمل شروط الحياة من وجود التحليل والتحرير ، وحيثية التناسل ، والكفاءة المطلوبة لنجاسة الاعقاب وسير المعاشرة ، والموازنة بين حقوق الزوجية في الحل والعقد ، والعناية بالمرأة من تعليم وتربية ترفع مكانتها الاجتماعية ، وتمكنها من مشاطرة الرجل صلاح البيئة ، كما بنى احكام الميراث على علل واسباب نسبية تتجلى فيها العدالة والحكمة •

الدين والتعاليم التهذيبية :

ومن تعاليمه الهذبية الحث على السير في انحاء العالم والتتقيب عن التاريخ القديم والاقتباس مما تدرجت اليه العقول •• والتفكير في خلق السموات والارض تشجيعاً على ممارسة العلوم والفنون لاكتشاف اسرار الكون والتوصل منها الى معرفة الخالق ، وتحقيقاً لهذه الغاية فرض العلم على كل مسلم ومسلمة ، ورفع درجة العلماء وجعلهم ورثة الانبياء •
وقوم عناصر الاخلاق بالصدق والامانة وقول الحق والوفاء بالعهد واصلاح ذات البين وبذل الصدقات ، والحلم ، والرأفة ، والتواضع ، والاعتدال في الاقتصاد ، وعزة النفس ، والعضو عند المقدرة ، وترك المرء مالا يعنيه ، وان لا يحدث بكل ما سمع ، وان لا يقول مالا يفعل لثلاث نزول الثقة بين الافراد والجماعات ، وان لا يتعرض لامور لا علم له بها ، وليست من اختصاصه ، وجعل حب الوطن جزء من الايمان ، واعتبر المسلم من سلم الناس من يده ولسانه ، ونزه النفس من المساوىء والمنكرات ، ومنها التجسس ، والخيانة ، والغش ، والوشاية ، وشهادة الزور ، والتهتك

والنفاق ، والحقد ، والانتقام ، والكبر ، والغضب ، والممز ، وانحسده ،
والاثره ، والكفران ، والبطر ، والسخرية ، والخبث ، وسوء الظن ،
والحنث فى اليمين ، وايتار النفع الخاص على النفع العام •

الدين والسياسة :

ومن الناحية السياسية اوجب اطاعة اولى الامر ، على أن تكون مقيدة
باطعتهم لله ورسوله ، كما قيد ادارة الملك بسياسة العدل • لان العدل قوام
الدين ، وحيثما يكون العدل فهناك شرع الله ودينه •• وامر باعداد العدة
لارهاب العدو ، وسد الثغور ، وسلامة الدولة •• واشترط ان يكون نظام
الحكم شورى بين الناس ، لثلا يعث بمقدرات الملايين من النفوس شخص
او بضعة اشخاص ، وهو اول نظام عرفه البشر ، ولم تتحقق الشورى على
الوجه المشروع حتى الان فى معظم الاقاليم ، لان غريزة الاستبداد اذا لم
تهذبها ثقافة الدين تهلبت على الحق بالقوة القاهرة •• وشرع القصاص
على ان تدرأ الحدود بالشبهات لثلا ينحرف الحكم عن مجرى العدالة ،
ويبتز من جسم المجتمع عضو سالم لا يعوض ، والمملك يدوم مع الكفر ولا
يدوم مع الظلم •

ومنها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وفى ذلك دلالة صريحة
على منح الحرية التامة فى القول والنشر حول الصالح العام والقيام بهذا
الواجب يضمن بلا ريب سلامة المجتمع من تسرب السوء الى مناحى الحياة
•• وتوسيد الامور الى اهلها ، وهذا هو الاساس التكوين الذى يقوم عليه
نظام الحكم ، وبخلافه يختل النظام وتسود الفوضى المؤدية الى الندهور
والاقراض ، والامثلة على ذلك ملأت بطون التاريخ •• ومن العقوبات
الزجرية حد الشرب والبغاء عن طريق الجلد ، وهو امنع زاجر لتحديد
الموقار وصيانة الاخلاق •• (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله

ويسعون في الارض فساداً ان يقتوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وارجلهم من
خلاف او ينفوا من الارض) (٣) •

فالدين الاسلامي بالنظر الى ما تقدم هو دين العدل والحكمة والرافة
والاجتماع ، ودين الحضارة والسياسة والعلم والفن والتفكير ، ودين القوة
والحزم والحرية والمساواة والتعاون والتضامن والسعي والعمل والتقدم
والارتقاء ، ودين الانسانية المتكاملة في مكارم الاخلاق ، ودين الفطرة ،
وهو الدين الخالد على وجه الارض مادام في دهاء الناس ذو عقل سليم •

الدين والقوانين الموضوعة :

وقد مرت القرون ، وتعاقبت الاجيال ، وانجبت البشرية من اعظام
المفكرين رجالا خبروا الحياة والامها ، والمجتمعات وامراضها ، وانظمة الحكم
واساليبها ، وانقسموا الى مذاهب واحزاب سالت على جوانبها الدماء ، وهلك
في سبيلها من هلك من ملوك وقيصرة ، حتى انتهوا الى النزعات الاخيرة
كالنازية والفاشية والاشتراكية والشيوعية والديمقراطية ، وتلونت الاعلام
والقمصان ، لكل نزعة علم ودستور ولون ورمز ويوم تقام فيه الاعياد باسم
العدالة والحرية والمساواة • • فكانت العاقبة ان دولة تفترس دولة ، وامة
تمحو امة ، والشقى ذلك الشقى ، والبؤساء اولئك البؤساء ، والانسانية
المخدوعة لا تزال تنوء بأعباء السياسة وشروورها •

لان تلك المذاهب والدساتير من وضع البشر ، والبشر مقصور نظره
على الزمان ، والمكان والمطامع ، والانانية ، وتعاليم الدين الاسلامي وحى من
الله جاءت بحسب الفطرة التي فطر الناس عليها ، والتطور اللازم لها في
سابق علمه الازلى ليحيوا حياة آمنة مطمئة كأسرة واحدة الى امد غير محدود
ايما كانوا وحيثما حلوا • ويكفي دليلا على ذلك حياة اليهود في بلاد
المسلمين ، وما يتمتعون به من حرية كاملة ونعيم دائم وقرار مكين ، وحياتهم
في بلاد الغرب والسياسة التي حرمت عليهم تنفس الهواء وسد الرمق ،

وحياة العرب في ديارهم ، وما تستيحه السلطات الاجنبية من الفجائع بأسم
الانسانية والديمقراطية ، والأضطرابات العالمية المنبئة من بين التنفس
السياسي الذي جعل البشر صاحباً في جميع انحاء الدنيا يتلمس مخرجاً
روحانيا يقيه شر الفتن وسفك الدماء ♦

الصخب العام والانقلاب المنتظر :

وعسى ان يكون الوقت قد حان لان يلتمسوا ذلك المخرج الامين في
تعاليم الدين الاسلامي بعد ان باء بالفشل جميع الانظمة والقوانين ، وعلماء الغرب
مارسوا هذه التعاليم في جامعات قرطبة والقاهرة وبغداد ، ونقلوا معظمها
الى لغاتهم ودونوا فيها الموسوعات والمجلدات ، ودرسوها في جامعاتهم ، وقد
نشر حديثاً كتاب لمستشرق شهير بعنوان (محمد والاسلام) جاء فيه :

(محمد هو النبي الوحيد الذي وصلت اليها اخباره سالمة من كل
شائبة ، وهو النبي الوحيد الذي يمكننا من وجهة تاريخية ان نجزم بوجوده
وهو الذي استطاع ان يحدث هذا الانقلاب العظيم في الدين والاخلاق
والمعاملات في مدة لا تتجاوز عشرات السنين ♦♦ انزل الله عليه القرآن
كتاباً عربياً بزّ في الفصاحة والبلاغة كل كتاب في العالم ولا يجوز مقارنته
بكتاب آخر لانه الوحيد من نوعه ♦♦ القرآن مدن امة ثم مدن العالم ، مدن
الامة العربية التي بنت المدنية الاسلامية الفخمة الخالدة ، ثم اخذت عنها
اوربا مدنتها التي تفاخر بها ولم تحصل اوربا على مدنتها هذه الا بعد ان
اضاء نور الاسلام وانتشرت تعاليمه فعمت الشرق والغرب ♦♦ الخ) ♦

وللمستشرقين من التفاصيل حول هذه الحقيقة ما لا يسع المقام ذكرها ♦
غير ان الداء الدفين الذي لا دواء له ان يندس بين المسلمين نذر ممن
استهوتهم الثقافة التبشيرية ، واصطنعتهم السياسة ولوحت لهم بشيء ممن
حطام الدنيا ، فحرصوا عليه حرص الجبان على حياته ، وراحوا يشنون
الدعاية ضد المبادئ الاسلامية وينعتونها بالفكرة الرجعية والعقلية البالية ،
ويستحذون على العقول القاصرة في المجتمعات المغلوبة على امرها ♦

فى كل بلد يتخلله النفوذ الاجنبى دعاة من هذا النوع يدينون بالدرهم والدينار ، حتى اذا صفرت ايديهم صمتوا صمت اهل القبور و (لعل الله يحدث بعد ذلك امرا) (٤) .

وفى هذه الساعة الرهيبة من هذا اليوم العظيم الذى ترفرف فى سمائه روحانية رسول الله مرفوعة على اجنحة الملائكة المقربين تحف بها التجليات الالهية ، ارفع اطيب التحيات الى ارواح الشهداء الطيبين الطاهرين الذين آثروا الموت على حياة الذل والهوان .
اللهم انت اعلم بهم ، انهم جاهدوا فى سبيل دينك ، وبيتك المقدس ، وقبلتك ، ومعراج نبيك ، فاسبغ عليهم شآبيب رحمتك ورضوانك ، وثبت اقدام المجاهدين تحت لوائك ولا تجعل عاقبة امرنا خسرا .

فهى المدرس *

(٤) الطلاق : ١

* مجلة « الذكرى المحمدية » الذكرى التاسعة ١٣٥٨ هـ ص ٥
مطبعة النفىض الاهلية - بغداد

الاسلام ومدارك البشر (*) ورأي الأجنب فيه

« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر
قبل ان تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا » (١) •

مئات الملايين من المسلمين في مثل هذا الشهر من كل عام تتجه قلوبهم نحو بطحاء مكة ، مستغربين في عظمة ذلك النور الذي شع في سمائها فاض العالم شرقا وغربا ولا يزال يتلألأ في هذا الفضاء حاملا الى عالم الملكوت اربعة عشر قرنا تحف بها الهداية الربانية ولولا الحكمة الازلية لما تركت على وجه البسيطة من لا يولى وجهه شطر المسجد الحرام • ولكن القوانين الالهية قضت بالدرج الطبيعي حتى يبلغ العقل من التكامل ما يجعله كفوا للاحاطة بحقايق الدين الاسلامي وما انطوت عليه من حكم وأسرار ولا يحيط العقل بتلكم الحقايق مالم ينته العلم من تحليل اسرار الطبيعة وماوراء الطبيعة وذلك اقوى دليل على ان الدين الاسلامي لم يقم ولا يقوم بحدا السيف بل بقناعة الضمير ، والا فليس على الله بعزير ان يودع في الامة الاسلامية من القوة ما تسخر به البشر على الاطلاق فترغمه على اعتناق الدين بالجبر والاكراه • ولو كان كذلك لما استقام له امر وقد اجتمعت عليه المعاول الهدامة في الداخل والخارج من جميع الجهات •

وان الدين الاسلامي لم يكن دينا اخرويا فقط ، واتما هو دين علم وسياسة وحكمة فقد نبه الى حقايق علمية وفلسفية لم ينتبه اليها العلم الا بعد اثني عشر قرنا من نزول القرآن • والعلم في الشرق حالت دونه عوامل اخرته سبعة قرون ، وفي الغرب لم ينصرف العلم الى الناحية الدينية • والدين الاسلامي لم يكن خاصا بزمان او مكان او امة او قوم ليتناوله المعتقون من

(١) الكهف : ١٠٩

(*) القيت في احتفال جمعية الهداية الاسلامية بذكرى المولد النبوي الشريف في حديقة المعرض (مساء الخميس ١٧ ربيع الاول ١٣٥٩ هـ)

الافواه وفي مدة وجيزة ، وانما هو دين عام للبشر كافة تسير احكامه
وتعاليمه مع الاحتياجات البشرية سيرا متواصلا على ممر القرون حتى يبلغ
الغاية القصوى ويدرك الانسان معنى قوله (اليوم اكملت لكم دينكم) (٢) .
والكمال في الدين هو الذي يبعث من البشرية ذلك الانسان الكامل
الواقف على اسرار الكون وطبيعة الاشياء وحكمة الفرائض والتكاليف
الشرعية ، والسياسة التي بنى عليها ، مجردا من الشوائب النفسانية كالحدود
والحسد والغيب والغبض والطمع والتشاحن على الحطام الفاني والجهل
الزائل ، بعيدا عن الكذب والغيبة والنميمة والتجسس والخيانة والافك
والبهتان وشهادة الزور الا وشهادة الزور ، ويجعله يقول الحق ولو على
على نفسه ويتخلق بأخلاق الله .

جاء صاحب الرسالة (صلى الله عليه وسلم) ليجرد الناس من
الطبايع البهيمية ويهذب الانسان حتى يعلم انه لا يمتاز عن الحيوان بمجرد
النطق بل بصفات تلهمه الغاية من ايجاد الخلق وهي التوصل الى معرفة
الخالق ، وان معرفة الخالق تتوقف على معرفة النفس ومعرفة النفس لا تأتي
الا باتقان العلوم والفنون ماضيها وحاضرها ومستقبلها حتى يصل الى الكمال
الذي يستهدفه الدين الاسلامي ولذلك امرنا بطلب العلم من المهد الى اللحد
ولو كان في الصين .

وفي الزمن الاخير اخذ فلاسفة الغرب ونخبة من العلماء المستشرقين
المختصين بتاريخ الاديان وفلسفة التاريخ يهتمون بالدين الاسلامي اهتماما
زائدا ومن جملتهم «ويليام» الامريكي الذي اهتدى الى الدين الاسلامي بعد
تدقيقات استمرت ثلاثين عاما ، فقد نشر جوابا عن سؤال موجه الى علماء
المسلمين حول الحكمة في كون دين الاسلام ناسخا غير منسوخ ، والسبب
الذي جعل نبيه خاتم الانبياء ، فأوجزناه وطوينا معظمه لضيق المقال قال
في الجواب : -

(٢) المائة : ٣

ان الدين لا يكون ديناً حقاً ما لم يكن ملائماً لمستوى البشر في حينه
وضامناً ما يقتدر اليه في أمر معاشه ومعاده وطريق المعاشرة بين الافراد
والجماعات ، ورفع الخلاف المنبعث عادة من طبيعة الانسان ونفسية المجتمع .
ولما كان التطور في الحياة امراً طبيعياً ، واتساع المدارك مما يقتضيه قانون
النشوء والارتقاء كان ضرورياً ان تتطور الشرائع ما بين ناسخ ومنسوخ .
وهكذا كانت الحالة قبل ظهور الاسلام ، اذ كان البشر يتطلع الى دين
يتناسب مع مداركه وضروراته في الحياة التي اختلفت عن ذي قبل وضاق
بها نطاق الشرائع في ذلك الحين . واخذ كل يتجه الى جهة في العقيدة
والقضاء والحق في ذلك للصارم والصمصام . فكان لزاماً ان يظهر دين
يمتاز بالحالة والزمان والمكان . فجاء الدين الاسلامي في الوقت الذي اقتضته
الحكمة الازلية كما كان يتطلبه وضع البشر في الحال والاستقبال فاعتنقه
الحاضر والبادي كمن وجد ضالته المنشودة ، فاحتضنها وحرص عليها ،
وجاهدوا في سبيله جهادا لم يبق شكاً في انهم كانوا يعتقدون بان مرتبة
الشهادة ارفع مرتبة ينالها الانسان في الدنيا والاخرة ، وصاروا يتسابقون الى
ساحة القتال لنيل السعادة الابدية والمفخرة الخالدة ، وهذا منتهى القوة
في العقيدة والايمان .

ثم اخذ يدر بهم ويتدرج بهم كلما اتسعت المدارك حتى تجلت عظمتها
التي ملأت الكون هيبه وجلالا . والمعجزة التي لا ريب فيها هي أن الله بعث
فيهم من الاميين رسولا يطهرهم ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وفي
زمن قصير ملأوا الدنيا بعلومهم وآدابهم وفلسفتهم حتى تفجرت ينابيع
الحكمة الاسلامية في انحاء العالمين الشرقي والغربي . أما في الغرب فان
الاوربيين ادخلوا العلوم الاسلامية في مدارسهم واخذوا يرسلون البعث
الى جامعة (اشيلية) ، على ان يدرسوا فيها ثلاث سنوات وفي ضمن الذين
درسوا البابا «فرانسواسه لوستر» الذي قطع المناصب الروحانية درجة درجة
حتى احرز منصب البابوية بفضل العلوم الاسلامية .

وفيما يتناه كفاية للقناعة بان الدين الاسلامى نسخ الشرائع بطبيعة الحال • اما كونه لا ينسخ فلأن اهم الاسباب التى تدعو الى تغيير الشرائع هو عدم الملايمة للموضع الحاضر ، ومستوى المجتمع بحيث يتساوى وجودها وعدم وجودها ، وقد مضى على الدين الاسلامى اربعة عشر قرنا ولم تمس الحاجة الى تغيير حكم من أحكامه أو اضافة حكم اليها ، بل الأمر بعكس ذلك فان سعادة البشر منوطة بتطبيق أحكامه المهملة من قبل المسلمين أنفسهم ، وفى خلال هذه المدة حدثت فى عالم الغرب انقلابات سياسية واجتماعية خطيرة أريقت فيها دماء الملايين من البشر ولم يتوصلوا الى اسس وقواعد كالاسس والقواعد التى بشر بها الدين الاسلامى ، والنظم والديساتير التى وضعوها لم يستقم أمرها الا بالقوة وبحد السيف ، ومتى ما ضعفت القوة اختلت وتلاشت ، وقواعد الدين الاسلامى تمتزج بالروح والجسد وقد جاءت على أن تكون خالدة ما دام على وجه البسيطة أثر من الحياة •

والانقلابات العالمية لا تخلو ، اما انها تنبعث من ضيق العيش ، أو من خنق الحرية ، أو من عدم التساوى فى الحقوق أو من توسيد الامور الى غير أهلها ، والشريعة الاسلامية سدت هذا الباب ، لانها بنيت على قواعد العدل والحرية والمساواة بوحي من الله لا بوضع من البشر ، وقد ساوت بالفعل بين الغنى والفقير ، وبين الملك والضعلوك ، وحادثة جبله ابن الأيهم أحد ملوك العرب ، وواقعة عمرو بن العاص والي مصر ، وتنفيذ عمر بن الخطاب حد الجلد على ولده حتى مات ، وشخص الامام علي رضي الله عنه أمام القضاء من الادلة على ذلك ، وهذا منتهى العدل والحرية والمساواة • وتأيدا لهذه السياسة آخى الدين الاسلامى بين المسلمين منعاً للتمييز المؤدى الى اثاره الجسد والانفعالات النفسانية ، ولتكوين وحدة مترابطة تجعل الأمة الاسلامية برمتها كنفس واحدة لا فضل لزيد على عمرو الا بالتقوى •

وكانت لهم في رسول الله أسوة حسنة ، فقد كان صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم يطوى يوماً ويشبع يوماً ، والخلفاء الراشدون ساروا على سيرته ، فلما أرسل عظيم مصر كتابا الى عمر بن الخطاب مع رسوله ، جيء بالرسول الى المسجد واذا برجل في ثوب خلق ، نائم على حصير تحت رأسه حجر ، ذلك أمير المؤمنين ، يعس بالمدينة ليلا يحرس الناس ويكشف أهل الريبة ، حتى اذا صلى بالمسلمين صلاة الصبح نام قليلا ، فدهش رسول المقوقس ووقف عند رأسه وقال « عدلت ، فأمنت ، فمت » وعمر ابن الخطاب هو ذلك الرجل الخطير الذي هز العالم هزاً •• وبهذه السير فتحوا البلاد ودوخوا العباد ، ودكوا الجبال ، وجابوا الفياض والبحار ، وحطموا العروش والتيجان ، ورفعوا راية الاسلام على مشارق الارض ومغاربها ، لا قول الا ما قالوا ، ولا غاية الا ما أرادوا •

فاذا كانت تلك مبادئ الدين الاسلامي ، وهذه مناقب عظمائه القائمين بأمره أفلا يكون ناسخا غير منسوخ ؟ وحامل رسالته خاتم الانبياء ؟ ومن الناحية العلمية فان معظم الحقايق التي حملها القرآن لا تزال في طي الخفاء ولم ينتبه العلم الا الى قليل منها وذلك منذ عهد قريب ، مما يشعر بان مدارك البشر أخذت تتقرب الى الحقايق التي أشار اليها القرآن قبل أربعة عشر قرنا •

فان حركة الارض ، وكون الارض في شكل قطع ناقص ، ووجود المخلوقات في الاجرام السماوية ، وان لكل من الاجرام السماوية محركا خاصة به ، وان الحياة لم تأت من كرة أخرى بل ظهرت من هذه الارض نفسها وسلسلة خلقة الانسان ، وانه مرت عليه قرون وهو في عالم الخفاء تناولها القرآن في الآيات الآية على وجه الترتيب :

- (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) (٣)
- (أو لم يروا أنا أنأت الارض نقصها من أطرافها) (٤)

(٣) النحل : ٨٨

(٤) الرعد : ٤١

(ومن آياته خلق السماوات والارض وما بث فيهما من دابة) (٥) •
• أى فى السماوات الارض •

(لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل
فى فلك يسبحون) (٦) •

(والله أنبتكم من الارض نباتا) (٧) •

(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) (٨) •

(هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) (٩) •
ومن خوارق القرآن أنه نبه حتى الى هندسة البلاد فى قوله (والله
جعل لكم الارض بساطا • لتسلكوا منها سبلا فجاجا) (١٠) أى واسعة •
ولولا ضيق المقام لأتينا بجميع ما ورد فى الذكر الحكيم من الحقايق
ومن مكشفات الفن الحديث •

ودين هذه معجزاته حرى بأن يكون ديناً عاماً ، وديناً خالداً ما كثر
الجديدان ، وما تعاقب الملوان ، لانه جمع بين الدنيا والآخرة ، جمع بين
الديانة والسياسة والادارة والاقتصاد والاخلاق والعدل والعلم والحكمة ،
وقد نص القرآن على كل من هذه العناصر الحيوية بصراحة ووضوح تام •
ولابد من يوم تتكامل فيه البشرية من حيث الادراك وتجتمع على
اختلاف العناصر والاقوام تحت راية التوحيد ويسود الاخاء فلا نزاع
ولا خصام ولا قتال •

وبهذه المناسبة ننتهز الفرصة للاشارة الى بعض الاخطاء التى أخذت
تجرى على الألسنة والاقلام فى مجتمعنا وفى عالم الصحافة مما يجعل
البعض منا أجنب عن دينهم كقولهم (الزعيم محمد) و (محمد سيد

(٥) الشورى : ٢٩

(٦) يس : ٤٠

(٧) نوح : ١٧

(٨) المؤمنون : ١٢

(٩) الدهر : ١ (١٠) نوح : ١٩-٢٠

قريش) أو (سيد العرب) و (يوم محمد) ، وأمثال ذلك مما ينم عن روح أجنبي • وللشريعة آداب وتقاليد أجمع عليها علماء الدين ، والانحراف عنها مخالفة للاجماع ، وألقب صاحب الرسالة مما قام عليها الاجماع ونص عليها الكتاب ، وأيدها الكتاب ، وأيدها الواقع وهي : (محمد رسول الله) و (محمد سيد البشر) و (سيد الانبياء والمرسلين) و (سيد الاولين والآخرين) و (خاتم النبيين) •

أما الزعيم فهو يطلق على سيد قوم أو رئيس حزب من الاحزاب وليس في الدنيا زعيم تتناول زعامته العالم بأسره ، والزعامة ليست بوحي من الله ، وليست بخالدة الى يوم القيامة فلا ينطبق هذا اللقب على صاحب المقام المحمود ، المبعوث رحمة للعالمين ، فضلا عن أنه يحط من كرامة النبوة والرسالة • وأما قولهم (سيد قريش ، أو سيد العرب) فإن الرسول صلى الله عليه وسلم هو سيدهما بلا شك ، ولكن سيادته ليست مقصورة على قريش أو العرب أو بني هاشم ، فذلك مما يلبس حقيقة الرسالة العامة على الناشئة ، كما لو قيل عن احد وزراء العراق انه وزير بغداد وهو صحيح ، ولكن فيه لبسا وحطا من كرامة المقام • وقولهم (يوم محمد) غير صحيح ، لان هذا اليوم هو يوم المسلمين وعيدهم الاكبر ، بل وعيد البشر على الاطلاق ، وهذا التعبير مقتبس من الاجانب اذ انهم يعبرون عن يوم الولادة لأي كان منهم بيوم فلان ويحتفلون به • واذا كان الغرض من ذلك هو الظهور بمظهر التجدد فان دين الاسلام جديد على ممر الدهور والاعصار ليس فيه ما يرث ويبيد والقرون الاربعة عشر اصدق شاهد على ما نقول • وحذرا من التوسع والتماذى ألمعنا الى هذا الشذوذ لئلا يعلق بالاذهان (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) (١١) •

فهمي المدرس *

(١١) الذاريات : ٥٥

* مجلة « الذكرى المحمدية » الذكرى العاشرة (١٣٥٩ هـ) صفحة

٦ ط ٢ مطبعة الجزيرة - بغداد

الاسلام بين الشرق والغرب

ورأي الأجانب فيه

اقتضت حكمة الخالق أن يمتاز الشرق عن الغرب بكونه مهبط الوحي والرسالة ، ومهد الانبياء والرسول • ومشرق الانوار المحمدية ، فكان لزاما أن يسبق الشرق الغرب في مدنيته وثقافته وآدابه وعلومه وصناعاته الدقيقة ، ونظمه الاجتماعية ، وسياسته العادلة ، وجميع المزايا التي تبث من الانسان عضواً نفعاً للبشرية أينما حل • وحقيق أن يختال الشرق فخراً بهذه الميزة الدالة على مواهب وقابليات اختص بها •

وقد اقتبس الغرب من المدنية الشرقية والشريعة الاسلامية ما استطاع ان يكون به مدينة واسعة النطاق لولا الغريزة لكان لها فضل كبير في تكوين الوحدة الانسانية ولكن السجيا الفطرية قلبت تلك المدنية الى صورة جميلة ساحرة مجردة من الشعور والعاطفة والاحساس ، تقيم الافراح والاعياد لهلاك الملايين من الابرياء ، وأين الملايين من الارامل والايام • واذا ما رجعنا الى التاريخ القديم فانا نجد الانسان الاول الموصوف بالوحشية والهمجية أهون شرا من انسان القرن العشرين المعجب بحضارته، لان الانسان الاول لم يكن لديه من وسائل الافتراس سوى أدوات بسيطة ، وهذا الانسان لا ينجو البشر من شرور مدنيته حيثما ولى وجهه ، في الصحارى النائية ، أو بين الصخور ، أو على قمم الجبال ، أو في قعر البحار ، أو في أعماق الخنادق ، أو في الكهوف والزويا المنعزلة ، أو في كبد السماء ، أو في البروج المشيدة •

ولا تزال الأناية المنبثة من حب التوسع والاستيلاء بجشع لا مزيد عليه وبأسماء مختلفة تغرى المتفنين بايجاد وسائل أشد بطشا بالبشرية الآمنة المطمئنة خلافا لاحكام الانجيل والتعاليم المسيحية وشعائر الانسانية •

وإذا كان ذلك دأبهم فيما بينهم وهم من عرق واحد ، واخوان فى الدين ،
فماذا ينتظر من سياستهم نحو الشرق وعالم لاسلام ، وليست بينهما
أية جامعة ؟!

أما المدنية الاسلامية فانها قائمة على سياسة الرأفة والرحمة والحق ،
والعدل ، والتعاون ، والعضو عند المقدرة ، واصلاح ذات البين وحب الخير ،
والعمل على اسعاد البشر واتصافه لوجه الله والانسانية ، لا خوفا ولا طمعا ،
وبغير تمييز أو تفريق بين العناصر والاديان كما يشهد بذلك تاريخ
الفتح الاسلامي •

ولو لم تصرف امدنية الغربية الى سياسة التوسع والاستيلاء ، ولو لم
تقتصر جهودها على أعداد العدة لتحقيق تلك الغاية التى تسمت خلفها
الانانية لكان لها متسع من الوقت لان تصفي الى أصوات علمائها المستشرقين
المنقيين عن حقايق الدين الاسلامي ، ومن جملتهم (جون ويليام دريبر)
الانكليزي الاصل والامريكي الموطن ، المختص بتاريخ الاديان
وفلسفة التاريخ •

فقد ألف هذا المستشرق كتابا تحت عنوان (تاريخ تكامل العقل
الاوربي) أتم مقدمته فى مجلدين على غرار « مقدمة ابن خلدون »
والقسم الاعظم من المجلد الثانى ينحصر فى الدين الاسلامي •

اشتهرت هذه المقدمة بين علماء الفلسفة والتاريخ وحلت محل
التجلة والاعجاب ، عرف هذا المؤلف باصالة الرأى وبعد النظر وسعة
الاطلاع والتزام جانب الحياد فى محاكماته المستندة الى تدقيقات عميقة
وتحليل فلسفي • فبسط حقايق الدين الاسلامي عن يقين وفند التهم الموجهة
اليه بادلة عقلية لا تقبل الرد والاعتراض •

حكم العقل والمنطق فى وجهتي السلب والايجاب ، بحث عن ظهور
هذا الدين واتساره ، والتربة التى انبثق منها نوره الساطع ، والانقلاب

الذى أحدثه فى ساحة التهذيب والمدنية ، وفى ضمير الانسانية والسعادة
الأبدية وقال :

ان صاحب الرسالة هذب ضمير الانسان بوحي الهى ، ثم حلل
حياة الرسول عليه الصلاة والسلام منذ طفولته الى ان بعث رحمة للعالمين
وصرح بانه لم ينشأ نشأة اعتيادية ، بل كانت جميع مظاهره وصفحات
حياته تشعر بفطرة خارقة للعادة ، اذ لم يبدر منه عادة ما يبدر من الاطفال ،
وذلك مما يدل على انه كمن مؤدبا بأدب فطرى ، يحمل من الذكاء ما جعله
ميلا للتفكير فى أمور خطيرة ، تجلت فيه من الخصال ما يجعل الانسان
يعتقد بان سيكون له شأن عظيم فى العالم ، كان حليما رؤوفا رحيمًا ملازما
للحياء والعفاف والصدق والامانة فلقب بـ (محمد الامين) وهو طفل صغير .

يدلى المستشرق المشار اليه الحقائق لا كناقل أو كراديل كـمحقق
قانع بما يقول ، شأن الفيلسوف الذى ينزل الى أعماق القضايا الفلسفية
ويستخرج منها حقيقة ملموسة ، كما يدل عليه أسلوب بيانه وبلاغة تعبيره
المشبعة من روح الاكبار والشعور بالعظمة . وقال :

ان صاحب الرسالة أجهد ذهنه وضميره أربعين عاما ، حتى صدع
بالامر الالهى (اقرأ باسم ربك) ^(١) وهو فى حالة وجد واستغراق ولا يقرأ
السواد ، فرسالته حقيقة ناصعة ، امر بان يدعو الانسانية الى الصراط
المستقيم ، فهب من مقامه آنا مطمئنا ليس له مال ولا قوة يعتمد عليها سوى
الايمان ، وقام بالدعوة ذلك اليتيم وحيداً تحيط به الاعداء من كل جانب
حتى أهل بيته وذوو قريبه . وفى آن واحد قلب الافكار والمعتقدات ،
وغير نظام المعيشة والآداب ، وجدد القوانين الاجتماعية ، ومنها نظام
العائلة ، وحقوق الزوجة والاولاد والنكاح الشرعى ، والعفاف ، وقانون
الموارث ، ودرساتير الاخلاق وسياسة المملكة ، وطور الحياة ، واذا به
ينتقل من بدو بسيطة الى أرقى ما تصل اليه جهود البشر ، أسس مدينة

(١) العلق : ١

بحسب ذوقه السليم ، اقتبس الغرب منها الشيء الكثير ، ومما يجدر بالذكر ان الغرب لم يكن يعرف الطهارة والنظافة لولا اقتباسه من المدينة الاسلامية القميص والحمام • أنقذ البشر من عبادة الأوثان والنجوم والشمس والقمر والحيوان والحجر والنار ، ولقنه ايمانا قويا ودينا صحيحا تحت راية (لا اله الا الله) • فتح أمام العرب المفطورين على ذكاء خارق وقابليات اختصوا بها ميدانا واسعا للعمل والتجوال ، وفي بضع سنين فتحوا الاقاليم وقوضوا أعظم الامبراطوريات حتى بلغوا « بوتاه » في أوسط فرنسا ، وأزاحوا جميع العقبات التي اعتورت سبيل الفتح وأصبحوا على رأس الفاتحين ، ولم تتكلم تلك الفتوح بالنصر الا بقوة الايمان والاعتقاد الراسخ ، ومعجزة الوحي والرسالة ، والا فما هي القوة التي حملت سكان البادية الى القصور الشاهقة ، وتحطيم العروش والنيجان؟! فلا ريب في أن محمد بن عبدالله نبي بحق •

وبعد تفصيلات مسهبة اخذ هذا الفيلسوف يدافع عن الدين الاسلامي ازاء المعارضين القائلين بان الدين الاسلامي قام بحد السيف ، ومما جاء في أدلة الدفاع : ان السيف قد يحول دون الجهر بالاعتقاد والتبشير به ، وليس في وسعه ان يكره الناس على اعتناق دين فوجئوا به وهو على النقيض من دين آباءهم الاولين ، والدين الاسلامي تؤيده المحاكمات العقلية والادلة المنطقية ولذلك انتشر بلك السرعة الى انحاء العالم شرقا وغربا ولولا الأمر الواقع لما استوعبته الازهان ، والادعاء بانه قام بالقوة افتراء على التاريخ ، فان عشرات الالوف من مختلف العناصر والاديان كانوا يهرعون الى اعتناق الدين الاسلامي ليفاخروا بجهادهم مع الفاتحين الابطال في ظل راية التوحيد ، ولو كان السيف متحكما في الرقاب لما بقى في البلاد المفتوحة من لا يؤمن بالله ، ولما انتقل الايمان الى الاصلاب والاجيال قرنا بعد قرن • على أن اولاد غير المسلمات اللائي تزوجن من الفاتحين تبعوا آباءهم في الدين لدى بلوغهم سن الرشد •

ان الدين الاسلامى قام بقناعة الضمير لبقوة السيف تلك حقيقة تاريخية
لاشك فيها ، وان السياسة التى تمنح حرية الاديان وتحرسها بعين لا تنام ،
وتساوى فى الحقوق بين المسلمين وغير المسلمين ، وتلتزم الرفق فى
مجادلة اهل الكذب وتفيد الدعوة الى سبيل الهداية بالحكمة والموعظة
الحسنة وتندد بالغلظة والفظاظة لا تجنح الى طريقة الاغراء والاكرام
بقوة السيف ، واليينه قائمة على صحة هذا الدين .

وفى معرض الدفاع عن الاسلام والمسلمين فند بوثائق تاريخية
اتهام العرب بحراق مكتبة الاسكندرية المراد منه اسناد الوحشية
والهمجية ، طويناه لضيق المقام كما طوينا آراء بقية المستشرقين فى الموضوع .
والغرض من ايراد هذه الآراء هو الاشارة الى الاهتمام الزائد
بالتتقيب عن حقايق الدين الاسلامى منذ اواسط القرن التاسع عشر الدال على
اليقظة والانتباه وذلك من الامور التى تهمننا نحن معاصر المسلمين اذ كلما
تقدم العلم مرحلة ازدادت حقايق القرآن وضوحا ، كما يهمننا مواظبة
الاداعة من بلاد الغرب على ترتيل القرآن وصلاة العيدين ، والأذان
المحمدى ، ومنقبة الولادة النبوية ، والمحاضرات البليغة حول الشعائر
الاسلامية وانشاء المساجد ومهما تكن الغاية المتوخاة من وراء ذلك فانها
معجزة من معجزات محمد بن عبدالله فى القرن العشرين . ولعل ذلك هو
المراد من طلوع الشمس من المغرب الوارد ذكره بين علائم الساعة .

على انا من المعتقدين بان الدين الاسلامى هو الذى يوحد بين عناصر
البشرية عاجلا أو آجلا ولا محل للتردد والاستغراب فان الدين عند
الله الاسلام .

واذا ما أصاب المسلمين وهن فى سياستهم فذلك شأن كل أمة
تناولت سيادتها امبراطورية مترامية الاطراف والدولة الاسلامية وان وهنت
سياستها لا تزال حاكمة من الناحية الدينية وكم من أمة خارت عزائمها
وانهارت دعائم عزها وسلطانها وأصبحت أثرا بعد عين فاستمدت من

ماضيها القوة والعزيمة وشادت على الانقراض مجدداً أعاد سيرتها الاولى •
والشرق اليوم غير الشرق بالامس والغرب أخذ يأكل بعضه بعضا
والصراع بين الحرية والاستعمار لا يبد وان ينتهي بتحرير الرقاب واعلاء
شأن الاسلام ، والمسلمون حزب الله (فان حزب الله هم الغالبون) (٢) •
غير ان الواجب علينا - ونحن في موقف الاحتراف بهذا اليوم
العظيم - أن نحاسب أنفسنا على أعمالنا لئلا نحمل كل ما حل بنا من سوء
على الطالع والاقدار ل (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (٣) •
وان من أهم الاسباب التي أدت الى الوضع الحاضر في بعض بلاد
المسلمين فساد الاخلاق والتهاون في الشعائر الدينية وأهمال الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر • وكلما تقرب الشرق من الغرب ، وكثر
الاحتكاك ابتعد المسلمون عن مبادئهم وعنعاتهم وتقاليدهم التي كانت مثار
الحسد والغبطة في بلاد الغرب ، اذ الشرقيون يحملون الى أوطانهم أخس
المظاهر وأسوأها بدلا من ان ينقلوا اليها ما ينفع الناس من علوم وفنون
وصنابع ظنا منهم أن تلكم المظاهر الخسيسة هي من مقتضيات التقدم
والرقي حتى فقدت المدينة الاسلامية فضائلها وفي ضمن ذلك العراق الذي
أصيب بانقلاب اجتماعي خطير خلال عشرين عاما ادت اليه عوامل مختلفة •
فلما قضت الظروف العالمية على أثر انتهاء الحرب الماضية بتغيير كلي
في سياسة بعض الاقطار ظهر بين ظهرانينا أناس لا كفاءة ولا تجربة لهم
حملهم الوضع الى أدق المراكز واتسع لهم المجال فكان أول عمل قاموا
به من الاعمال السيئة هتك الحرمات ونبد العقائد والاعتداء على الآداب
والاخلاق باسم التجدد الذي لا علم لهم به واتخذوا القرآن وراءهم ظهريا
وأخذوا ينعنون الشعائر الدينية والآداب الاجتماعية والاخلاق الموروثة
عن السلف الصالح بالفكرة الرثة والعقلية البالية •

(٢) المائة : ٥٦

(٣) الرعد : ١١

ثم برز في ساحة العمل رهبط على شاكلتهم كأنهم كانوا على ميعاد جعلوا نصب أعينهم تشييد صروح وتزيين قاعات تعرض فيها ألواح انوبيقات على اختلاف صورها وأشكالها باسم المدينة العصرية التي لم يدركوا مفهومها الحقيقي وجدوا في توسيعها وتنميتها والانفاق عليها كمن ليس له واجب سوى العناية بأعداد الملاهي الانيقة • والتشجيع على معاقرة الخمر والمقامرة الفنايكة وألوان الخلاعات الفظيعة • وتمشيل الرقوق التي تصدر افطع الجنايات وأشنع القصص الغرامية ، واذاعة الاغانى المكشوفة ، وتحليل ما حرم الله ، علاوة على مواطن الدعارة والبغاء العلني التي استفحل أمرها منذ الاحتلال وتغلغت في أكثر الأحياء •

والعراق يسوده الجهل والفقر وقلة المراس وقد فوجيء بمظاهر خلافة من شأنها أن تجذب الصالح والطالح الى حريمها المحفوف بشتى أفانين التسويل والاغراء ، وفوق ذلك بلية الاقتباس من سلوك بعض الغرباء الذين يؤتى بهم للقيام بمهنة التتيف من نساء ورجال بلا ترو و تمحيص •

وإذا ما تألبت عوامل كهذه على مجتمع مغلوب على أمره ، فقير في علمه وماله ، ولم يشهد في حياته أمثال هذه المشاهد الموبوءة ، ولم يمارس ما تنطوى عليه من شرور وآفات ظاهرها فيه اللذة وباطنها من قبله الدمار • فلا غرابة فيما لو قامت المعاصي مقام العبادات ، وانقلبت السيئات الى حسنات وحلت الرذيلة محل الفضيلة وانهار بناء العائلة وفسد النظام الاجتماعي واستحوذت الجرائم والفجائع على الطمأنينة والاستقرار وتغلبت النزعات على النفوس و (ان النفس لأمارة بالسوء) (٤) •

والتأريخ قص علينا نبأ الامبراطوريات العظمى التي قوض دعائمها فساد العقائد والاخلاق •

هذا بعض ما اقتبس من الشرق من الغرب ، فاذا كان احتفالنا بهذا

اليوم عن صدق وإيمان فعلينا أن نتبع سنة صاحب الرسالة ونسير على سيرته ، ونفكر في الطريقة التي نستأصل بها شأفة هذه الداهية الدهيئة عسى أن نسلم على البقية الباقية من تراثنا المقدس ، والآن فكل منا ممقوت في الدنيا ومسؤول في الآخرة (وكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)^(٥) .

فهني المدرس(*)

(٥) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .
(*) مجلة « الذكرى المحمدية » الذكرى العاشرة (١٣٥٩هـ) ص ٣٣

ط ٢ مطبعة الجزيرة - بغداد

الغازي (أنا تورك)

والمثل الأعلى

ليست الفضيلة المتشعبة من روح البطولة والعبقرية والدهاء مما يدخل في نطاق الانحصار ومما تعزز به امة دون اخرى ، وانما هي المثل الاعلى الذي يهتدى به البشر على اختلاف الملل والنحل حيثما كان منبتها، ولا شأن للاعتبارات السياسية والقومية والدينية والاقليمية ازاء الفضيلة التي نحن بصدها . ولا تثبت هذه الفضيلة الا في منابت الاعزة والعظماء ، وهي رمز الانسانية المتكاملة ، يشع نورها على الآفاق فيقتبس منه ذوو المواهب الفطرية في مشارق الأرض ومغاربها ، والانسانية هي التي تتولى امر تخليدها في الصدور وفي الهياكل واهداف الامم وفي بطون التواريخ لانها من مفاخرها ومما تعاون عليه ذوو الملكات الممتازة والقابليات النادرة وأولو العزم من الرسل .

ولم يتمثل بها الا من اجتمع فيه من الخصائص ما يجعله كفوا للزعامة واحترام البشر على الاطلاق ، واذا ما افل نجمه فان الانسانية بمجموعها تنعيه وتدبه ولا تدخر مما في وسعها من العناية بما يليق برفعة شأنه وجلال قدره من الاجلال والاعظام ، لان ذلك لا يتأتى الا في عشرات القرون ومن بين مئات الملايين من البشر ، ولان تلك الفضيلة ميراث مشروع للبشر عامة ، ومن واجب البشر ان يقدها ويرفعها الى اعلى مقام (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره)^(١) .

وقد تجلت هذه الحقيقة بأسمى مظاهرها في كل ناحية من نواحي المملكة التركية برها وبحرها وسمائها في اليوم التاسع من تشرين الثاني ١٩٣٨ .

(١) الزلزلة : ٧

فما أزفت الساعة التاسعة والنصف من صباح ذلك اليوم المشهود الا
والاثير يحمل الى انحاء العالم من مشاهد العظمة التي كانت ترافق نعش
الراحل العظيم فقيد الانسانية والشرق (كمال اتاتورك) ما لم يسبق له
مثيل في تاريخ العظماء •

بين الفضيلة والانسانية المجردة ••

تجردت الانسانية في ذلك الموكب الرهيب من كل نزعة سياسية
وقومية ودينية واقليمية ماعدا الشعور بتقدير الفضيلة والانحاء امام النعش
الذي انطوى على الصدق والاخلاص والتفاني في الوطنية وانكار الذات ،
وذلك الدهاء المفرد الذي بعث الشعب التركي من مرقدته ونفخ في جميع
طبقاته روحا جبارة يخطب ودها كل جبار عنيد • وأحيا معالم مجده
المندرثر ، واعلى كلمته بين الامم بعد ان كان مطمورا بين اطباق النذل
والهوان ، وشاد على انقاض مملكة بالية مملكة ذات بأس وقوة غنية ، وفي
صناعاتها ومعارفها وزراعتها وتجاريتها ومعاملها وامتجانتها ومصارفها
وخطوطها الحديدية وطرقها المعبدة وجامعاتها ومدارسها على اختلاف
الدرجات وسائر مرافقها الحيوية ، يحرسها جيش مجهز بأحدث التجهيزات
والمعدات بسلاحه ودياباته ومدافعه وطائراته ، يقبض على ناصيتها خلق
جديد متشعب من روح التجدد والغرور القومي والحماسي ، والتضحية ،
دائب على السعى والعمل في سبيل التقدم والارتقاء ، وقضى على الامية
المتفشية في بلاد الاناضول عن طريق الحروف اللاتينية ، ودرب الناشئة
على مبادئ العزم والبسالة والاعتماد على النفس وايتار المصلحة العامة
وحب الاعتلاء واستصغار عظام الامور والنود عن كيان البلاد بالارواح
والاموال ، واكون من الشعب والجيش والحكومة كتلة متمازجة لا تقبل
التجزئة والانفكاك ، واتشأ في خلال سبع سنوات عاصمة تضاهى ارقى
العواصم الاوربية في هندستها وشوارعها وحدائقها ومبانيها الشاهقة
وجامعاتها وسائر معاهدها العلمية ومؤسساتها الرسمية ، وابتاع السكك

الحديدية من الشركات الاجنبية ، وحصر الاعمال فى ايدى الاتراك ••
تكتنف هذه الاصلاحات الخطيرة سياسة رشيدة نالت الاعجاب
والتقدير من لدن اقطاب السياسة فى العالم ، فألغى معاهدة (سهور) واتفاقية
(الدردنيل) وعقد ميثاق (البلقان) وميثاق (سعد آباد) ، والعالم المتمدن
يرقب هذه الاعمال المجيدة عن كئيب ويزداد فى كل يوم دهشة وانبهارا •
وما انك يعالج شؤون المملكة بعين لا تنام ، مواظبا على تطبيق
الخطط التى رسمها قبل أن يتقلد رياسة الجمهورية، حتى فارق الدنيا وقلبه
معلق بشعبه مفعم بالصدق والاخلاص ، لا يملك من حطام الدنيا تقيرا ، اذ
كان قد اوصى بجميع ما يملك من مال وعقار ومجوهرات الى حزب الشعب
وجمعيات اللغة والتاريخ والى بناته اللائى تنهين الى ان يتبين من الدراسة
العالية والى أولاد عصمت بن اونونو حتى يتموا تحصيلهم العالى لعدم
استطاعة والدهم من الانفاق عليهم بالرغم من انه تقلد رياسة الوزارة (١٣)
عاما بعد جهاده المشهور فى حرب الاستقلال •

•• أتاتورك والانقلاب الاخير ••

اربعة عشر عاما ليست بالمدة الكافية لتدبير انقلاب واحد لاي داهية
من دهاة التجدد والاصلاح فى مملكة تئن تحت اعباء الفقر والجهالة ، وشعب
نهكت قواه الحروب الطاحنة مدة (١٢) عاما ، من حرب طرابلس الغرب
الى حرب البلقان العامة الى حرب اليونان حتى تقطعت اوصال المملكة
واصبحت اثرا بعد عين ، و (كمال اتاتورك) بعد ان جمع شتات الجيش
المشرد فى جبال الاناضول وفى الاودية ، والكهوف ، وفى السهول والبطاح
النائية ، وعرف كيف يجهزه بالمال والسلاح - وتلك من الخوارق التى
لم تيسر لعظيم من العظماء - وبعث من تلكم الفلول المتفسخة قوة اندحر
امامها جيش اليونان ، وعقد معاهدة (مدانية) وفتح (اسطنبول) وجردها
من جيوش الحلفاء وانبرى الى مبادلة السكان ، وبعد ان انتهى من تلك
العملية الشاقة ومن غوائل مؤتمر (لوزان) لم يقتصر على القيام بانقلاب

واحد بل قام في عين الوقت بانقلابات كل منها يتوقف انجازه على مثل ذلك
الزمن على الأقل •• قلب نظام الحكم والاضاع السياسية والادارية
والاقتصادية والاجتماعية والادبية في آن واحد ، وفي بحران هذه الانقلابات
الخطيرة لم يغفل عن مكافحة المؤتمرات الداخلية ومعالجة الفكرة الرجعية
وقلة المادة والمال ومراقبة العيون التي كانت ترصد الفرص للإيقاع به ومن
وراء ذلك تقسيم بلاده ، حتى كون في تلك المدة الوجيزة والنظروف العسبية
(تركيا الحديثة) التي تلاشت امامها الضغائن والاحقاد ، وانقلب الخصم
الان الى صديق حميم ، واصبح الغازي اتاتورك له تأثيره النافذ في ادارة
السلم العالمي •• ومن تأثير سياسته الساحرة ان تقدمت اليه بريطانيا العظمى
بقرض قدره ستة عشر مليوناً من الباونات وتبعثها المانيا بأعتماد قدره اثنا
عشر مليوناً من الباونات •

ذلك هو الدهاء الذي لم يسجل التاريخ نظيراً له في العصر الحاضر
والعصور الماضية ، والذي سخر العالم بأسره وحمله على الاعتراف بعظمته
في اليوم التاسع عشر من تشرين الثاني ١٩٣٨ •

بين عزاء الانسانية ووفاء الاتراك ••

عمّ الانسانية في ذلك اليوم الاسود من الحزن والأسى مادلاً على أن
الغازي كان شخصية عالمية ، وكان همه ان تحيا الامم حياة الاخوة وان
تربط بعضها ببعض روابط الانسانية ، ولذلك لم يفرض غرامة حربية على
اليونان لأنها (باعتقاده) تولد العداة الابدي وحس الانتقام ، وفوائد
الصداقة والولاء تفوق الغرامة الحربية اضعافاً مضاعفة •

وبرر الوفاء الذي يحمله (١٨) مليوناً من الاتراك بما اثبت للعالم
ان الشعب التركي نفس واحدة باحساسه وشعوره ، وان المنقذ الاعظم لم
يكن الا اباً رؤفاً وولياً رحيماً لكل فرد من افراد الشعب ، وكان الحيوش
الاجنبية والوفود الدبلوماسية التي حضرت مراسيم التشيع لم يكونوا من

الانحياز بل كانوا من ابناء (تركيا الحديثة) يشعرون بشعورهم في ذلك
العزاء المهيب والخطب الجلل •

اشترك في مراسم الوداع الابدى (٣٥) دولة بوفودها الدبلوماسية
والعسكرية واشتركت بريطانيا وفرناسة والمانيا ورومانيا ويوغسلافية
وروسية وايران واليونان وايطاليا مع بواخرها وقطعاتها العسكرية علاوة
على الوفود •

وحمل النعش (١٢) جنرالا ووضعوه على عربة المدفع و (٢٤) جنرالا
سلوا السيوف عن يمين النعش وشماله ، ومشى في الموكب ما ينوف على
ثلثمائة ألف من القلوب المفجوعة ، وثلاثون ألفاً من طلاب الجامعات
والمدارس العالية الذين اقساموا يمين الاخلاص لمبادئ (اتاتورك) ومثلهم
من الطالبات النائحات واسراب الطائرات محلقة في كبد السماء ترفرف
على النعش وتزيد الموكب روعة ومهابة ، واتصل النقيب من باب (دولة
بغجه) الى آخر بقعة من بلاد الاناضول ، ولم يتمالك ممثلو الدول الاجنبية
من ارسال الدموع السخية ، وتكلم النعش بسبعة عشر الف اكليل ،
وسودت المصابيح في شوارع رومانيا وعطلت الجامعات والمدارس ودواوين
الحكومة ، وكذلك في بلاد اليونان ، واستمرت المراسيم من الساعة التاسعة
والنصف صباحا الى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر ، والتزم الصمت
ثلاث دقائق في جميع البلاد التركية في آن واحد ، واعلن الحداد اربعين
يوما في ايران وفي بلاد الأفغان ، وقد روت صحيفة (الطان) التركية
ان مئات البرقيات الواردة من العالم الاسلامي تنم عن شدة الولاء والاخلاص
لشخص الراحل العظيم ، وقد اقيمت المآتم حتى في اقصى البلاد الاسلامية •
وقررت حكومة انقرة تشريع قانونين ، احدهما يقضى بتخليد
صورة (اتاتورك) على اوراق العملة التركية وطوابع البريد الى الابد ،
والثاني يحتم ابقاء مقعده في المجلس الوطنى خاليا وابقاء اسمه في قائمة
اعضاء البرلمان واذا ما ذكر اسمه فان الرئيس ينادى بقوله (شاغر) •

ذلك (أتاتورك) ففيد الشرق ، وهذا جزء الصدق والاخلاص ،
وتلك هي الفضيلة الخالدة التي لا يترىها نقص ولا زوال • تنطوى الاعصار
وتتأثر الاعمار وتتسلسل الاجيال وتبيد الامم وتتبدل الارض وتتغير الاحكام
وتنقلب الحكومات وتنقرض الدول وهي عزيزة الجانب موفورة الكرامة
محفوظة بالعظمة والجلال ، ينحى امامها الصديق والعدو ، والقريب
والبعيد ، والحاسد والرقيب ، وهي المثل الاعلى لكل جيل في كل زمان
ومكان لا تحتجب عن الابصار ولا تبلى ولن تموت و (لمثل هذا فليعمل
العاملون) (٢) •

فهمني المدرس *

(٢) الصافات : ٦١

(*) جريدة « العقاب » العددان ٤٧٢ و ٤٧٣ السنة السابعة
الصادران يومى الاربعاء والخميس المصادفين ٢٠ شوال ١٣٥٧ هـ / ١٤
كانون الاول ١٩٣٨ و ٢١ شوال ١٣٥٧ هـ / ١٥ كانون الاول ١٩٣٨ •

المعارف بعد ثمانية عشر عاماً

ثمانية عشر عاماً وذوو العلاقة بالمعارف يرتابون من سير التربية فى مدارسنا ، ويحذرون من عواقبها ، وتنبه الصحف الى الخطر المحدق بالناشئة من وراء التسبب والانحلال ، حتى استفحل الامر واذيع البيان الآتى على صفحات الصحف :

« لاحظت مديرية التربية والتدريس العامة فى وزارة المعارف ان بعض الطلبة فى المدارس العالية والثانوية والمتوسطات وحتى فى المدارس الابتدائية ، قد انتشرت بينهم عادة التدخين واخذ بعضهم يستعمل المشروبات الروحية ، وعليه فقد اصدرت المديرية المذكورة امرها الى كافة مديرى المدارس فى العراق ان يقوموا بتشكيل لجان فى مدارسهم تسمى بـ (لجان مكافحة المسكرات بين الطلاب) تقوم كل منها بـث الدعاية فى مدرستها وبيان اضرارها وشرورها وتأثيرها السئ على حياة الطالب ومستقبله ، وقد طلبت اليهم ايضا تشكيل (لجان سرية) تقوم بمراقبة الطلبة خارج المدرسة والاماكن التى يؤمنونها وقد وعدت مديرية التربية والتدريس العامة بتجهيز هذه اللجان بما تحتاج اليه من الكتب والصور والنشرات الخاصة لمكافحة المواد المخدرة والمسكرات بغية تعميمها بين الطلاب) .

هذه عاقبة التربية التى تنافسوا عليها وعبثوا فيها وهى آخر ما تصل اليه الاخلاق من التفسخ والتردى . وبعد ان ندرّب شبابنا - وهم فى حظيرة التهذيب - على هذا النمط من السلوك فماذا تصنع اللجان وماذا يكون شأنها حيال التلاميذ الذين لا يقيمون وزنا لصاحب البيان نفسه كما دلت عليه الوقائع والحادثات ، وبعد ان بلغ الانحلال مبلغا ادى الى اغتيال

طالب احد الاساتذة وجرح العميد بطلقة نارية^(١) ، وقذف الطلاب احدى المتوسمات بقذائف من نار لاحراق سجلات الامتحان ، واعتداء الطالبات على المعلمات ومديرات المدارس •

وتسربت هذه النزعة الى نفوس الكثيرين منهم ، فلم يتقيدوا بقانون أو نظام •• وما قيمة المراسيم الصادرة من مصدر خاضع للاهانات على طول •• وهل الدعاية وتسريح النظر فى التصاوير وتقليب صحائف النشرات مما يصد جماح الثائرين على العقائد والاخلاق • وكيف جوزوا اذاعة هذا البيان ، والاشارة الى الاصلاح تعد جريمة لديهم ، لانها - على زعمهم - تشوه السمعة • وممن تؤلف لجان المراقبة السرية ، ومن يراقب المراقبين اذا قصروا بواجبهم وهل هذا هو الدواء الناجع لذلك الداء العضال ، أم تبديل المربين ، وتغيير اساليب التربية ، وتقويم اواصرها بالتعاليم الدينية ، والعناية بأمر الانضباط ، وتصفية العناصر الفاسدة ، وتشريع قانون يحرم على الشبان عامة ارتياد الملاهى ومواقع التهم ومعاقره الخمر والمقامرة بأنواعها اذا كانوا دون الواحد والعشرين من عمرهم ، وعلى الطلاب ما داموا ملازمين للمدرسة ، وسد المحل الذى يترددون اليه بضع سنين جزاء التغاضى عنهم ، والمراقبة الدقيقة من قبل الشرطة الاخلاقية ، كما هى الحالة فى البلاد المتمدنة •!؟

(١) ملخص هذا الحادث المؤسف انه حدث فى صباح يوم الاثنين ٢٠ حزيران ١٩٣٨م الموافق ٢١ ربيع الثانى ١٣٥٧هـ ، وبينما كان الدكتور محمود عزمى وكيل عميد كلية الحقوق يومذاك والدكتور حسن أبو السعود سيف الاستاذ فى الكلية خارجين من الكلية حدث أن فاجأهما الطالب داود مصطفى البياتى من طلاب الصف الاول الراسبين فى تلك السنة ، وأطلق من مسدس كان بيده اطلاقتين أصابت الاولى رأس الدكتور سيف فتوفي فى اليوم التالى وأصابت الثانية ساعد الدكتور عزمى ، ثم صوب التلميذ مسدسه الى رأسه وأطلق رصاصة أودت بحياته •

وقد شغل هذا الحادث المؤلم الصحف العراقية والصحافة المصرية ورجال الأدب والتربية والسياسة فى البلدين ردحا من الزمن •

وعقب هذا البيان نشرت الصحف المحلية (ان فريقا من الطلاب
يتربصون خروج الطالبات من المدارس ولا يتحاشون من ازعاجهن بالملاحقة
وارسال الكلمات القارصة) ♦

ثم اذاعت ان (طالين من طلاب المتوسطات هددوا بالتلفون مقاما
روحانيا وسيدة متمولة اذا لم يرسلوا نقودا وقبض عليهما متلبسين
بالجريمة) ♦ وجاء فيها ان طلاب الثانوية في البصرة قاموا بمظاهرة انتصارا
لفلسطين فعوقبوا بالجلد على قارعة الطريق ♦♦

ومعنى ذلك ان التريبة والتهذيب انتجا بعد ١٨ عاما معقرة الخمور
واقتراف الجرائم وارتياح المحال المشبوهة ومطاردة الطالبات ومشابهة
المجرمين بالجلد على قارعة الطريق ♦♦ وهذا ما كان ينتظر من سير الاعمال
في هذه المؤسسة التي اصبح بينها وبين الغاية المتوخاة منها بون شاسع ♦ اذ
كيف يمكن التأليف بين الثقافة والنتائج المعروضة وبين الجلد والاناشيد
الحماسية والغرور القومي ♦ ومن الامور البديهية ان الجلد يمت العاطفة
والشعور ويفسد الاخلاق ويبعث في النفوس التخث والذلة والمسكنة ،
والاناشيد الحماسية لا تؤثر في النفوس الذليلة اكثر مما تؤثر في نفوس
الطيور المعلمة ♦

فالتبعة فيما عرضناه تقع على دائرة المعارف التي ظهر من سيرها الى
الان ان ليس في وسعها القيام بأعباء المسؤولية من امر الانضباط ، ووضع
التعاليم الصالحة للتريبة واصلاح مناهج التعليم ، وكتب الدراسة ، وانتقاء
المعلمين ، ونبد الاعتبارات الشاذة ، والحرص على المصلحة العامة ♦♦ ولديها
زمر من معاونين والمفتشين ومراجع للتعليم الابتدائي والثانوي والعالى ،
ولجان للانضباط ، ومن وراء ذلك مديرو المناطق ، والمفتش العام ، ومدير
المباحث الفنية ، ومدير التريبة والتدريس العام ، ومدير المعارف العام ،
وغير ذلك من التشكيلات الواسعة النطاق ، ولكن هذه التشكيلات كلها

تحت امره عقلية هي والمعارف على طرفي نقيض ، وهي التي تعبت
في نظام العمل وتشمل الايدي العاملة •

السيطرة المخلة بنظام العمل :

من ذلك ما نشرته الصحف المحلية في ٢٥ ايلول ١٩٣٨ من ان
الراسيين في الصف الاول من المتوسطات يسمح لهم بالقبول في دار
المعلمين الريفية ، والراسيين في الصف الرابع الثانوي يسمح لهم المجال
في دار المعلمين الابتدائية •

وهذا القرار وان كان مما يحول دون الشغب والمؤامرات التي تحاذر
منها دائرة المعارف الا انه شجع على الرسوب وتوسيع نطاقه •• على ان
دائرة المعارف لم تسلم من الشغب بهذا التدبير اذ بقي هنالك (٣٥٠) طالبا
من خريجي المتوسطات يذرعون فضاء الارض •

ومن هنا ان المعلم الذي يثبت عدم معرفته بالاملاء - بموجب تقرير
رسمي - يقرر استمراره على التعليم ، وآخر يفسح له المجال للاشتراك
مع تلامذته في امتحان الصف الخامس الابتدائي على ان يشترك في السنة
القادمة مع تلامذته ايضا في امتحان الصف السادس ليحصل على شهادة
الابتدائية وهو معلم منذ سنين •

والمعلم المفصول بقرار لجنة الانضباط لارتكابه اعمالا تنافي مهنة
التعليم يعاد استخدامه بأمر اداري •

ومعلمو المدارس الابتدائية الراسبون في الامتحان يقرر - على اثر
الرسوب - تعيينهم محاضرين في المتوسطات •

وذكرت الصحف على لسان طلاب الثانوية ان قسما من الكتب المقر
تدريسها لاوجود له في المخازن ولم ينجز طبعه وقد مضى من السنة
الدراسية ثلث المدة ، وان كتب الدراسة الابتدائية ، لم تظهر الى الميدان
الا بعد شهرين من السنة كما هي الحالة في كل عام •

وبدلاً من ان توجه عنايتها نحو المستنقعات المحيطة بكلية الحقوق ،
و دار المعلمين العالية ، ومدرسة الهندسة ، والمتوسطة الغربية ، ومدرسة
العويبة ، وتنقذ من الخطر حياة الالاف من الطلاب بالذاكرة مع المراجع
المختصة بتناع (٦٠) عدداً من (الراديو) وتوزعها على المتوسطات .
واذاعت الصحف المحلية بتاريخ ١٧ كانون الاول ١٩٣٨ اسراع

دائرة المعارف الى ترفيع غير المستحقين واهمال المستحقين .

وقد ورد كتاب من مديرية مطبعة (اكسفورد) الى باعة الكتب فى
العراق جاء : (اخبرتنا وزارة المعارف العراقية بأن « مكنزى »^(٢) صاحب
المكتبة فى بغداد عين رسمياً مجهزاً لكتب الدراسة الاجنبية ، فى مدارس
الحكومة فى العراق ، وعليه نلتبس منكم ان تقدموا الطلب اليه حول الكتب
التي طلبتموها منا ، ولذلك نعيد اليكم « الجك » بطيه) .

ولما استخبرت به دائرة المعارف جمعته بصور مخلفة .. ومما لاشك
فيه ان الانحصر يؤدي - بطبيعة الحال - الى ارتفاع الاسعار .. مع العلم
بأن خمسة وتسعين فى المائة من الطلاب يصعب عليهم اقتناء كتب الدراسة
ولباس المدرسة وان دوائر المعارف فى غير العراق تبذل الجهود لتأمين
لوازم التحصيل بأرخص الاثمان ، كطبع الكتب فى مطبعة المعارف او غيرها
من مطابع الحكومة ، او تضعها فى موضع المناقصة بين المطابع الاهلية ،
وبكذلك تتفق مع اصحاب المعامل فيما يخص اللباس وتوفر الشئ الكثير

(٢) كنت مكنزى هذا رجل اسكتلندى كان صاحب مكتبة فى
لندن ، استدعته السلطات الانكليزية عام ١٩٢٠ حين أسست مكتبة
للمكتب الانكليزية ليكون مديراً لها .

وفى عام ١٩٢٥ اشترى المكتبة من وزارة المعارف العراقية
فاشترطت عليه ان يستمر على فتح المكتبة وادارتها فى العراق .
وفى عام ١٩٢٩ توفي كنت مكنزى ودفن ببغداد ، فخلفه ابن عمه
(دونالد مكنزى) حتى وفاته عام ١٩٤٤ حين آلت المكتبة بعد ذلك الى
السيد عبدالكريم مراد ، ولانزال تحمل اسم مؤسسها الاول (مكنزى) .

تسهيلا لطلب العلم ومواساة للفقراء ، لا انها تستعمل نفوذها للاتجار بالكتب
واللباس بصورة رسمية •

وما نقم الرأى العام على هذه الاعمال الا قامت دائرة المعارف باحصاء
الطلاب واعلان النسبة المتزايدة كأن ليس فى هذا المجتمع من يدرك ان
الزيادة نتيجة طبيعية تتفاوت بحسب بلوغ الاطفال من التحصيل وتهافت
العراقيين على طلب المعيشة من ناحية الوظائف •• على ان العلم الذى لا
تقومه الاخلاق ضرره اكبر من نفعه ، فازدياد العدد على اساس فساد
الاخلاق زيادة فى الضرر •• فضلا عن ان (٧٥) فى المائة من العدد المذاع
يتناول الراسيين عدا الذين يلتزم نجاحهم لاعتبارات شتى • وبينما الحالة
تستدعى الاهتمام بأمر الاصلاح اذ تخصص (٥٠٠) دينار لتوزيع
جوائز على المتفوقين من الطلاب ، وذلك لا يقلل من عدد الراسيين ما لم
تقم دائرة المعارف بتصفية المعلمين قبل كل شىء ولا تقدم على التصفية
مادام هدفها الاعاشة وتكثير السواد •

ولدينا من الوثائق الرسمية ما يثبت ان هذه المؤسسة غير مسؤولة
عن اعمالها كما لو كانت دائرة اجنبية وان المراجع العليا ليس لها سوى
تقديم المال بغير حساب •

وهذه المؤسسة هى التى تتوقف عليها حياة البلاد ، ويقوم عليها بناء
المجتمع وتهيء للدولة ما تحتاج اليه من الموظفين على اختلاف المسالك •

المعارف وتقاليد الوضع :

ومن تقاليد الوضع فى دائرة المعارف ان يقابل النقد النزيه والاقتراح
المفيد بالهجمات العامية المشفوعة بسلسلة من المقالات المطبئة حول تصاميم
لا يلمس منها غير المواعيد الخلافة المتنتقلة من دور الى دور ومن عام الى عام
(كسراب بقية يحسبه الظمان ماء) (٣) •

(٣) النور : ٣٩ •

ومن جملتها ما اذاغته الصحف المحلية في ٢٥ كانون الاول ١٩٣٧
من ان في النية عقد مجلس من الاختصاصيين للنظر في اصلاح المناهج
وكتب الدراسة وانشاء مدارس وعلى رأسه لجنة وزارية •

وبالرغم من اعتقادنا بأن الاصلاح لا يلايم سيرة الوضع الحاضر
يتراءى لنا بصيص من الامل ، فانتهزنا الفرصة واشيرنا الى بعض النقاط
التي اعتقدنا فيها خدمة للمصلحة العامة ، فما كان من تقاليد الوضع الا
التحمل المشبع من روح المغالطة والتمويه ، والخروج عن الموضوع ،
والشدوذ عن آداب البحث والمناظرة ، والبراعة في اللغو والتأثير كما هو
ظاهر من اسلوب البيان المذاع في احدى الصحف المحلية بتاريخ ١ أيلول
١٩٣٨ ، الذي حللنا في مقالاتنا السابقة بعض محتوياته وبقى الشيء الكثير ،
ومنه الفقرة الآتية : (ان الكاتب كان مسيرا بعامل الغرض ومندفعا بتأثير
العاطفة الى درجة صرفته عن رؤية الحقيقة وابعدهت عن التفكير الصحيح
المؤسس على العلم والمنطق ، وليس من المستغرب مشاهدة اناس ينحرفون
بعاطفتهم عند بحثهم القضايا العامة من غير ان يحكموا عقولهم ، وهذه
الفتنة تسبب للبلاد اضرارا لا تعوض • وقد رأينا من واجبا ان نكافح هذه
النزعات التي هي والمصلحة العامة على طرفي نقيض ... الخ) •

وان الذي يقرأ هذه النبذة يذهب الى ان الخطر محقق بالبلاد ، وان
عصبة من اعداء الوطن تسعى لايقاع اضرار يتعذر تلافيها ، وان الواجب
الوطني يحتم محاربة هذه العصبة الخائنة •

وغاية ما في الامر انا اقترحا حذف فصل (النجاسات) من فقهه
الاطفال ، وبحث اللحية من فقه البنات ، ونقل المباحث الدقيقة من الصف
الثاني الابتدائي الى صفوف اخرى كالبحث عن الصفات الثبوتية والصفات
السلبية وغيرها مما لا تسعه مدارك اكبر المعلمين والمعلمات في المدارس
الابتدائية فضلا عن قابلية الاطفال ، وانقاذ الاطفال من ضيق المدارس
وهوائها الفاسد ، واصلاح اسلوب التعليم الابتدائي على الطريقة المتبعة في

غير العراق ، وان تكون كتب الدراسة الابتدائية مشكولة لما ادلينا به من
الادلة • وای غرض واية عاطفة تغلبا على هذا الاقتراح ، وماهى الحقيقة
التي توارت عن الابصار وكيف يكون التفكير الصحيح فى هذا الموضوع،
وما هى الاضرار التي لا تعوض ، والنزعة التي يجب مكافحتها وای علم
واى منطق يراد تحكيمهما ؟

هذا هو الاسلوب المؤلف فى هذه المؤسسة لكم الافواه ••
ثم أخذ صاحب البيان يتراجع - من حيث يشعر او لا يشعر - ويعلل
العجز عن وضع رسالة صغيرة فى فقه الاطفال والمقترحات الآنفه الذكر
بوجود موانع حالت دونها كالتقاليد والعنعات والعادات ومقتضيات السياسة
والادارة والفكرة الرجعية وقصر الزمن •

والزمن لا يقل عن (١٨) عاما والمجتمع العراقى لم يتقيد من العنعات
والتقاليد والعادات بما يؤخره عن السير فى مضمار التقدم والارتقاء بدليل
مطالبته بالتجدد والاصلاح على الدوام والاستمرار ، وازدحام الراغبين فى
القبول على ابواب المدارس من كل حذب وصبوب فى بداية كل سنة دراسية
حتى تضطر الادارة الى تفريقهم بالقوة •

واذا تتعبنا سير الاعمال فانا نجد التقاليد والعنعات والفكرة الرجعية
بل والعقلية البالية محتلة دائرة المعارف ومتحكمة فى مقدراتها منذ الاحتلال •
وبمثل هذه الأساليب تفقد الأمم ملكة التمييز بين الحق والباطل
وتلتبس عليها الحقايق وينحط شعورها وتعقم مواهبها وتفسخ أخلاقها
وتمسح مسحا أبديا (وجعل منهم القرودة والخنازير وعبد الطاغوث) (٤) •

أما النزعة التي تولد أضرارا لا تعوض والواجب يحتم على كل
عراقى أن يكافحها كما يكافح الأوبئة الفتاكة فهى التي صرح بها معالى
السيد صادق البصام وزير المعارف الأسبق فى بيانه المذاع بتاريخ ١٨ أيلول

(٤) المائدة : ٦٠

١٩٣٥ والذى جاء فيه : (فعلى كل منا أن يؤدي الأمانة المطلوبة منه وان يعمل بكل صدق لابقاء هذه المؤسسة منبعا لخلق ناشئة قوية متحلية بالاخلاق القويمه والشعور القومي الصحيح بعيدة كل البعد عن الافكار المضرة والنزعات الهدامة التي حاول بعض الاغرار ادخالها في صفوف اسرة التعليم) * هذه هي النزعات التي ما تناولت أمة الا جعلت عاليها سافلها ، لا النصائح والمقترحات المفيدة والتشجيع على العمل الصالح * وكيف تخلق هذه المؤسسة ناشئة قوية اذا كان القائم بتربية الناشئة أضعف خلق الله واذا كان من حين لآخر يملى عليها من مناقبه ما يجعلها تعتبر الذلة والمسكنة من مبادئ التربية الحديثة * * كاحتماله الاهانات واعترافه بها في محاضر التحقيق وشيوعها بين الناشئة * وهل هذه هي المبادئ القويمه التي ينبعث منها الغرور القومي ، وتبنى عليها أسس القوميات وتشاد صروح الامبراطوريات؟! انا لا يسعنا سوى ان نلفت أنظار اولي الأمر الى هذه المؤسسة التي تغلغل فيها الانحلال وأصبحت (على شفا جرف هار) (٥) * .

عراقي *

(٥) التوبة : ١٠٩

(*) مجلة الكفاح - العدد ٢٨٧ السنة العاشرة ٥ كانون الثاني ١٩٣٩ .

فلسطين بين المؤتمرات والدماء المسفوحة

يظهر من سير السياسة في فلسطين أن قد انتهى دور اللجان والتقارير ، ونزعة التقسيم والدول الثلاث ، واجلاء العرب ، واشغال العالم بهذه الاساليب التي كان الغرض منها تمديد الزمن وفسح المجال لليهود المهاجرين من أنحاء العالم حتى يبلغوا العدد الكافي لتكوين قوة تستخدمها الدولة المنتدبة على ساحل البحر المتوسط ، وتستعين بأموالهم على تعزيز القوى البحرية والجوية استعدادا للطوارئ وصيانة لطريق الهند وانايب النفط العراقي .

وما تم العدد المطلوب لهذه الغاية الا والدول الاوربية من ألمانيا وإيطاليا ورومانيا وبولونيا ولتوانيا وجكسلوفاكيا ثور على اليهود وتذرههم بالجلاء عن البلاد ، وتسن قوانين تحرم عليهم الوظائف والمهن ، وارتداد المتزهات ، والركوب في السيارات ، ومزاولة الطبابة ، والصحافة والمحاماة ، والمتاجرة ، والسمسرة ، والصيرفة ، والتصرف في أموالهم واملاكهم والاختلاط بالعرق الآرى ، وتهذيب أبنائهم في المدارس الرسمية . . . جزاء التحيل والدسائس واقلاق الراحة ، والعبث فى السياسة ، واثارة الفتن لايقاد نار الحرب العالمية كما أوقدوها أول مرة واستعلوا هلاك البشر وجمعوا من وراء ذلك أموالا لا حساب لها كما اذاغت صحف الدول المذكورة .

واستكرت المانيا وايطاليا تمكين اليهود من تأسيس حكومة على ساحل البحر المتوسط لما فيه من الخطر على سياستهما البحرية ، اذ ليس من المستبعد - وأموال العالم فى قبضتهم - ان ينشئوا اسطولا بحجة المحافظة على الساحل يزاحمهما بالانضمام الى أساطيل فرانسة وانكلترا

وأمریکا •• فأصبحت مشكلة فلسطين عالمية كما أشرنا إليها في مقالاتنا السابقة •

التنافس السياسي والمؤتمرات :

وعلى أثر هذا التنافس السياسي اقترحت الدول المنتدبة عقد مؤتمر في لندن يضم ممثلين من العرب واليهود والانكليز للمداولة في حل مرض •• فرفض العرب هذا الشكل ، لان اليهود دخلاء لا حق لهم في الاشتراك ، وان مفاوضاتهم مما يجعل لهم حقا مشروعا ، لاسيما وان وراءهم الدول المنتدبة الحريصة على ان تتخذ من فلسطين محطة لسياستها عن طريق اليهود وتصريح وعد بلفور ، والعرب لا معين لهم سوى الايمان بحقوقهم المشروعة ، واعتقادهم بان الحق يعلو ولا يعلى عليه •

وما الضربة القاضية التي انزلت بهم من جانب الدول الاوربية الا مظهر من مظاهر هذا الايمان وهذا الاعتقاد •

فقسمت الدولة المنتدبة المؤتمر الى قسمين ، احدهما يضم العرب والانكليز ، والثاني يضم الانكليز واليهود ، والنتيجة وان كانت واحدة الا ان العرب رضوا بهذا الشكل باعتباره أهون الشرين ، وأخذوا يستعدون لترشيح ممثلهم عن فلسطين والبلاد المجاورة طبقا لما جاء في الاقتراح ، واذا بالدولة المنتدبة تمنع سماحة المفتي والمجاهدين من حضور المؤتمر ، والمنقضى والمجاهدون وحدهم لهم الحق في تقرير المصير •

وأعقبتها فرنسا فمنعت سورية ولبنان من الاشتراك لانهما تحسنت الانتداب وليس لهما حق ابداء الرأي وانما الرأي رأيا •

وربما كان ذلك أحد الاسباب في تأجيل المعاهدة السورية الفرنسية • ولما ظهر لجلالة الامام يحيى عاهل اليمن ان الاقتراح حول المؤتمر يراد به التسمييف ليقضى على المجاهدين ويخضع عرب فلسطين بدون قيد وشرط ، عدل عن ترشيح ممثلين على أن يكتفى بارسال كتابه يضمه

الموافقة - عن بعد - على ما يتفق عليه ممثلو العرب في المؤتمر •• وفي الحقيقة تأجل عقد المؤتمر الى ما بعد الانتهاء من الغوائل السياسية التي حدثت بين ايطاليا وبين فرنسا وانكلترا حول تونس وكورسيكا ونيس وحول الصومال وقناة السويس •

وفي فلسطين تزهق الارواح ، وتهدم المنازل ، وتحرق القرى ، وتغص السجون بألاف من الاحرار ، وتنتهك الحرمات ، وتفتك المجاعة، والرعب بالغ أقصى حدوده ، وسيل المهاجرة لا آخر له •

الانتداب واليهود والفجائع :

ولا ندرى كيف نؤلف بين الانتداب الذي فسرتة عصبه الامم بالمشورة والمساعدة وبين الفجائع المذكورة وتسليط المدافع والطائرات على شعب لا يملك مدفعا ولا دبابة ولا طائرة ولا عتادا أو أية مادة من المواد المهلكة المجهز بها جيش الانتداب لاخضاعه وجعل وطنه مستعمرة صهيونية تستغلها الدولة المنتدبة على مرأى ومسمع عصبه الامم وعصبه الامم الا تبدي حراكا •

كما لا ندرى ما هي الغاية التي يستमित في سبيلها اليهود ، وهم متمتعون بالحكم بأعظم مقاييسه ، فان رئيس الولايات المتحدة الذي ييسط نفوذه على قارة أمريكا يهودى الاصل ، ورئيس الوزارة الفرنسية السابق يهودى ، ولا يزال في الوزارة الفرنسية وزيران من اليهود وزير المعارف ووزير المستعمرات ، وفي الوزارة البريطانية أربعة وزراء من اليهود ، فأين هذا الحكم العزيز الواسع النفوذ من حكومة صغيرة في بقعة ضيقة محصورة بين الساحل والجبال تحت راية الاستعمار وأداء الجزية التي لا حدود لها للدولة المستعمرة •!

واذا كانت الغاية هي القيام بالشعائر الدينية فالحج الى بيت المقدس ميسور لهم في كل دور بلا مانع ولا مزاحم • اللهم الا اذا كانت سجيبتهم

المجبولة على اثاره الفتن وايداء البشر هي التي تدفعهم الى هذه الفتنة ، كما دفعتهم اكثر من مرة وجعلتهم شذر مذر ، ومن جعلتها نروحهم عن اسبانيا عام ١٦٢٠ • على انه ليس في العالم قوم متمتعون بلذائد الحياة كاليهود في كل قطر وفي كل عصر وفي كل لون من ألوان السياسة العالمية ، في الحرب والسلم والقحط والرخاء ، ولولا سجيتهم هذه لكانوا عضوا نافعا في المجموعة البشرية لما لهم من الذكاء الخارق والنظر النافذ في مسالك الحياة وطرائق الحلول ، وممارسة الاعمال على اختلاف أنواعها •

ولكن الاختبارات التي مرت عليها القرون دلت على ان تلك السجية لا تؤثر فيها الثقافة والتربية والاموال الغزيرة والنعيم الدائم والتوطن في مواطن الحضارة بين الامم الراقية ، ولذلك نبذتهم الاقوام ولقطنهم البقاع • ولو لم يدرك أقطاب السياسة الامر في مؤتمر (مونيخ) لاصطبغت الارض بالدماء بأحبابهم التي لا تزال تثير الفتن والعاقبة مجهولة •

الانتداب وأساليب اليهود :

وسبق لهم في عهد الحكومة الاتحادية ان انتهزوا فرصة الانقلاب العثماني وحاولوا شراء قطعة أرض في فلسطين على ان يتبرعوا بأربعة ملايين من الباونات بواسطة (أصفر) وباسم الاعمار • فاستنكرت الصحف التركية ذلك ، وأخذت تنشر المقالات المسهبة تحت عنوان (البلاد بالاصفر الرنان) وتحت عنوان (ملايين الباونات تعبت في البلاد) حملت فيها على الحكومة حملة اثاره الرأي العام وكادت تؤدي الى فتنة لا تحمد عقباها حتى اضطرت الحكومة الى ابعاد (أصفر) عن البلاد •

وفي عهد الانتداب دخل في حيازتهم اضعاف تلك القطعة بأبخس الاثمان ، وبعد قليل سلوا السيف على الاهلين لاجلائهم والحلول محلهم ،

والدولة المنتدبة تستيخ دماء العرب لهذه الغاية وهم فى أوطانهم وفى
عقر دارهم يذودون عن حياضهم ومقدساتهم بحكم الطبيعة وبمقتضى
الغريزة التى لا تختلف فيها أمة عن أخرى مهما كان شأنها ، وتعتبر
الدفاع عن الوطن والدين والعرض والمال جريمة تستحق القتل والشنق
والسجن والتعذيب والابعاد ، والشعب الفلسطينى وديعة فى يدها لتمده
بالمشورة والمساعدة الى مدة مؤقتة على أساس الاستقلال المنصوص عليه فى
معاهدة (لوزان) وفى ميثاق العصبة ♦

وكان المنتظر على اثر الثورة العالمية ضد اليهود وتأيدها العرب فى
جهادهم ان تكف الدولة المنتدبة عن سياسة الارهاب وان تفكر فى وطن
يلم شتاتهم غير فلسطين النى لا تسع غير سكانها الاصليين من المسلمين
والمسيحيين واليهود القدماء ، وتنتهى المعضلة التى احدثتها الغايات تين انها
متعذرة التحقيق ، وهى لا تحتاج الى لجان وتقارير ومؤتمرات اذا كان
السلم العالمى مطمح الانظار ، لانا نخشى ان نتخذ من هذه المعضلة وسيلة
للحرب العالمية المجهولة العواقب ♦♦ اذ ان الوضع السياسى الاخير اخذ
ينذر بالخطر ، ولم تعد فلسطين مقصورة على كونها بلدة عربية اسلامية ،
بل اصبحت محور التوازن السياسى فى البحر المتوسط ♦

العرب والمؤتمرات :

أما مؤتمر لندن فقد ظهر ان النقاط التمهيدية لابعاده تنحصر
فيما يلى :-

(التأكيد للعرب باقامتهم فى فلسطين نهائيا بدون اكرام بريطانيا على
اهمال تصريح بلفور ، وان المهاجرة لا توقف ولا تمنع بل تكون ذات نظام
دورى الى امد غير محدود قابل للتعديل فى فترات معينة وان يقام فى
فلسطين مجلس تشريعى على اساس المساواة ♦♦ واذا لم يحصل الاتفاق
مع المفاوضين فان بريطانيا تعلن مقترحاتها للعمل بها) ♦

فالوضع السياسي اذن لم يتغير عما كان عليه قبل عشرين عاما • وكان المأمول ان تتضمن النقاط التمهيدية الغاء تصريح بلفور وايقاف الهجرة ، وتأسيس حكومة عربية تراعى فيها حقوق الاقليات ، وعقد معاهدة مع بريطانيا على اساس المصالح المشتركة ، وان تخفف سياسة الانتداب من غلوائها ••

ومع ذلك حملت الينا الانباء اللاسلكية ان جلالة الامام يحيى^(١) عدل عن رأيه لمراجعات اكيدة حملته على ارسال ولى عهده سمو الامير سيف الاسلام الى مؤتمر لندن ، وان جلالة الملك عبدالعزيز السعود^(٢) اوفد نجله الثالث سمو الأمير فيصل وزير خارجيته ، وان سمو الأمير عبدالله ارسل فخامة توفيق باشا ابى الهدى رئيس وزارته ، وان فخامة السيد نورى السعيد رئيس الوزارة العراقية سيمثل العراق ، وان معالى وزير مصر المفوض فى لندن سيرأس الوفد المصرى •

وان جلالة الملك عبدالعزيز عاهل المملكة العربية السعودية عازم على عقد مؤتمر فى مكة المكرمة بمناسبة الحج الشريف للبحث فى قضية فلسطين والبلاد العربية وتوثيق العرى بين المسلمين ، وعسى ان يكون وراءه فرج قريب •

فقد شاعت الظروف - بنتيجة الحرب العامة - ان تصب المصائب على العرب من قبل حلفائهم الذين عاهدوهم على الاستقلال •• وهذه فلسطين ! وتلك سوريا ! وتليها طرابلس الغرب ! ومن ورائها تونس ! والعراق لا تفارقه الآلام لما تقاسيه هذه الاقطار العربية من انواع العذاب ••

ومما قالته الصحف التركية فى معرض البحث عن المؤتمر :-
(ان القضاء على الخطر الصهيونى امتحان يجتازه العرب ، وان عدم النجاح فى هذا الامتحان يؤدى الى نتائج وخيمة • ولذلك يدفع العالم

(١) اغتيل فى ١٥ شباط ١٩٤٨ / ٧ ربيع الثانى ١٣٦٧ هـ •

(٢) توفي فى ١٢ تشرين الثانى ١٩٥٣ / ١٦ ربيع الاول ١٣٧٣ هـ •

العربي برجاله الممتازين الى ميدان النضال للوصول الى نتيجة تصون الوحدة العربية ، وان فخامة نوري السعيد سيلعب الدور الاساسي ، لانه من مشاهير القضية العربية وله معرفة شخصية باقطاب حكومات العرب ولان العراق يسعى بكل طاقاته لحل قضية فلسطين وذلك مغزى سقوط الوزارة المدفعية ومجيء الوزارة السعيدية) ♦

أما الخطر الصهيوني فانه لا يقتصر على فلسطين بل يمتد الى مصر وسورية والعراق وشرق الاردن ، واذا ما دافع العرب عن فلسطين فانما يدافعون عن انفسهم واطنانهم وسياساتهم واقتصادياتهم ♦ وليس في العالم من لا ينظر الى العرب نظر المعتدى عليهم ماعدا امريكا التي هي دولة تجارية مسيطرة عليها مالية اليهود ♦ ولذلك كتب جلالة الملك عبد العزيز السعود كتابا الى رئيس الولايات المتحدة بتاريخ ٢٧ كانون الاول ١٩٢٧ ردا على انتصاراته لليهود ، حوى من الادلة والبراهين ما يؤيد حقوق العرب في فلسطين منذ اقدم الازمان وحق المسلمين فيها منذ اربعة عشر قرنا ، وعدم وجود أي دليل يخول اليهود حق الادعاء ولو بجزء منها ، وان وعد (بلفور) لا يصح ان يكون حجة لان العرب لاعلم لهم به ، ولا مسوغ له وقد رفضه العرب رفضا باتا بعد العلم ، كما رفضوا الانتداب ، ولان فلسطين لم تكن مستعمرة على عهد الدولة العثمانية ، بل كان العرب شركاء في الحكم مع الاتراك ، والنفوذ العربي هو المسيطر وقد قام العرب بكل امانة واخلاص في شؤون مقدساتها ، وكانت فلسطين من جملة البلاد التي ازدهرت فيها المدنية العربية ازدهارا استدعى الاعجاب والاكبار ، وما انضم العرب الى الحلفاء في الحرب العامة الا لاعتمادهم على اليهود المقطوعة لهم - قبل تصريح بلفور - ومن المستحيل استيطان جميع المهاجرين من انحاء العالم في بقعة ضاقت بسكانها كما قال ملكولهم ماكدونالد في البرلمان البريطاني :

(وقد قامت فلسطين بما هو فوق طاقتها من ايواء اليهود المتشردين ،

ولم تقم دولة من الدول التي تمن على اليهود بمثل ما قامت به فلسطين بالرغم من ارضها الواسعة ، وان امتداد الحالة السيئة لما يزيد في استياء العرب والمسلمين ، وان الانتصار لليهود بدون مبرر يؤثر في المناسبات الودية بين المملكة العربية السعودية وبين امريكا) .

اما العرب - وهم في دور الامتحان كما اشارت اليه الصحف التركية - فما لهم سوى ان يستنهضوا الامة الاسلامية على اختلاف المذاهب والعناصر ، ويواصلوا الجهاد ، ويراقبوا وضع السياسة العالمية . ويتهمزوا الفرصة (وما النصر الا من عند الله) (٣) .

عراقي *

(٣) آل عمران : ١٢٦ .

(*) مجلة الكفاح العدد ٢٨٨ السنة العاشرة ١٢ كانون الثاني ١٩٣٩ .

فلسطين بين الجهاد المقدس وشنود النشاشيبي

من الامور الطبيعية التي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وطبايع
الاقوام والافراد والجماعات ان المصيبة العامة من شأنها ان تؤلف بين القلوب
المتافرة ، وتقارب بين المتباعدين ، وتقضى على الضغائن ، وتجرد النفوس
من المطامع ، وتوحد الكلمة ، وتبعث من المجموع - قل او كثر - قوى
متماسكة تقف امام الملمة سواء اجاءت من الارض ام نزلت من السماء ••
تآخي الاحزاب ، وتتحدد الجماعات ، وتتآلف القلوب ، ويشهد
بعضهم ازر بعض ••••• (*) الراحة والسكينة ، ثم يرجع كل الى
مبدئه وعقيدته •

تلك هي سنة البشر عند نزول الكوارث وحدث الملمات • من
غرق او حريق او قحط او وباء او اعتداء خارجي ••• ولا يتأخر عن
الكفاح والنضال في مثل هذه النوازل سوى العاجز والطفل الصغير
(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) (١) •

واية مصيبة اعظم وادهى مما حل بالارض المقدسة ومما يعانیه
المجاهدون الاحرار في سبيل الدفاع عن حريتهم واطانهم ومقدساتهم وعن
شرف العرب والاسلام منذ ان خفقت راية الانتداب على ارض فلسطين!؟
عشرون عاماً واخواننا الفلسطينيين لا يهجعون في الليل ولا يسكن
روعهم في النهار، يرددون الانفاس ما بين الحديد والنار، والدماء المسفوحة،
والجثث الهامدة ، ونحيب الارامل ، وعويل الایتام ، وانين العجائز
والشيوخ ، تحيط بهم المشانق وتضيق السجون • وذلك في عصر يتحرر
فيه الرقيق ، وتقوم الجمعيات بحماية الحيوان •

وبالرغم من البون الشاسع بين عصبة المجاهدين وجيش الانتداب

(*) بياض في الأصل

(١) المائدة : ٢ •

الجرار لا تقتر عزائمهم ولا تأخذهم في الحق لومة لائم (يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) (٢) •

صحيفة غراء خلدت للعرب والاسلام اجل ما يخلده التاريخ للأمم الحية من صحائف الشهامة والاباء ، واثبتت للعالم وللجيال المقبلة ان الدم الذي يجري في عروق العرب لم يفقد خصائصه الفطرية ، وان العرب قبل النبوة وبعدها وفي القرن العشرين سواء في الشمائل والبطولة وعظمة النفس ، لا يقيمون على ضيم ولا تلين لهم قناة ، ولا يخضعون للظلم والجبروت • يفضلون الموت على حياة الذل والخنوع ، اما الحرية والعيش الرغيد ، واما الفناء واعماق اللحد •• ولا فرق بين موقفهم اليوم في فلسطين وبين مواقفهم الرهيبة في عهد الرسالة والخلفاء الراشدين ، فلا يمضى يوم الا والهم مشهد من مشاهد بدر وحنين وخير ويرموك •• كان لهم يتقادم العهد ولم تمر عليه القرون •• لا يلوون على احد ولا يثنيهم الحر اللافح والبرد القارس ولا الجوع ولا العطش (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) (٣) •

امة تساوى اولها وآخرها وماضيها وحاضرها وجاهدوا بأموالهم وانفسهم حتى شهد لهم الاعداء بحقهم المشروع ، وازدادوا ايمانا بأنها خير امة اخرجت للناس ••

وتطلعت عدنان من احداثها وتلفت الماضي الى المستقبل

النشاشيبي (٤) وموقفه الممقوت :

وفي بحر ان هذه المصيبة العظمى ، وهذا الموقف الخطير ، وفي

(٢) الصف : ٤ •

(٣) الحشر : ٩ •

(٤) النشاشيبي : اغتاله شاب فلسطيني عام ١٩٤١ أمام فندق السندباد ببغداد ، وكان فخرى النشاشيبي هذا على جانب من الثقافة وحدة الذهن ، غير أنه سخر كفاءته هذه - سعياً وراء مطالعته الشخصية - لخدمة السلطات البريطانية المحتلة في بلده فلسطين ، حتى لقي جزاءه الذي يستحق •

الوقت الذي يتآزر فيه المسلمون ويستعد ملوك العرب وامرأؤهم لايفاد الممثلين الى (مؤتمر لندن) ، وفي الساعة التي ينعقد فيها المؤتمر التمهيدى فى القاهرة لاحقاق الحق ، ودفع الشر المستطير ، وتوحيد الكلمة على مطالب العرب والمسلمين لحل المعضلة التي تبادت نكباتها عشرين عاما ، يتجاهر رجل من ذوى الاطماع الخسيسة بالشفاعة لليهود المطاردين من قبل الامم الاوربية ، ويتنقد المجاهدين فى جهادهم الذى لم يسبق له مثل فى تاريخ الامم ، وفى مطالبهم التي لا تتعدى حدود الحق والعدل زاعما ان فى موقفهم الصلب افراطا ومغالاة ، ويجمع حوله نفرا من أهل بيته وذوى قرباه طمعا بالجاه الزائف والحطام الفانى ، ويخرج عن طاعة الله ورسوله ، ويعرض نفسه للطعن والتشنيع ، ويسجل اسمه بين المارقين ، ويستحق لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ♦♦ ذلك هو النشاشيبي صنيعة الاستعمار ♦

ولما كان الحق ظاهرا كالشمس فى رابعة النهار لم يعبأ به حتى الذين اشلوه على ابناء جلدته (ولا يحيق المكر السىء الا بأهله)^(٥) ♦
 ولا غرابة فى هذا المروق اذا كان الاستعمار لا يتم له الامر الا باحداث شقة الخلاف بين ابناء البلاد قبل كل شىء ♦♦
 ومن دواعى الارتياح ان السياسة لم تستطع ان تتناول من بين الشعب الفلسطينى مسلمين ومسيحين سوى هذا الرجل المنكود الحظ ♦
 وذلك مما يدل دلالة صريحة على ان للفلسطينيين اخلاقا متينة وسجايا سامية ولولا ذلك الدم الطاهر لتناولت اكثر من واحد لما لها من المهارة والممارسة فى تسخير القلوب والتصرف فى العقول حتى تجعل اهل البلاد يخربون بيوتهم بأيديهم و (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون)^(٦) ♦

(٥) فاطر : ٤٣

(٦) البقرة : ٦

الاحرار ومطالبهم المشروعة :

على ان مطالب المجاهدين الاحرار ليس فيها ما يحمل على الافراط والتفريط ، او التصلب والمغالاة ليحاول النشاشيبي ان يتخذ منه حجة للخلاف والخروج عن الصفوف .. وهي :

(الاعتراف بالاستقلال التام ، والعدول عن تجربة انشاء الوطن القومي اليهودى ، وانهاء الانتداب ، ومنع الهجرة اليهودية وانتقال الاراضى لليهود ، وتأسيس دولة فى فلسطين ذات سيادة تعقد مع بريطانيا معاهدة مماثلة للمعاهدة العراقية البريطانية) •

فأين الافراط فى هذه المطالب واين التصلب والغلو •؟ وهذه ليست مطالب الفلسطينيين وحدهم ، بل مطالب العرب والمسلمين بالاجماع •• ولا يمكن التنازل عن اية فقرة منها ، اذ لا حياة للشعب الفلسطينى بدونها • اما الاستقلال فهو منصوص عليه فى معاهدة لوزان وفى ميثاق عصبة الامم ، ولم تتنازل تركية عن سيادتها الا بهذا الشرط •

واما الوطن القومى لليهود فذلك غير معترف به من قبل العرب ، كما ان الانتداب رفضه العرب رفضا باتا فى بداية الامر •

والهجرة اليهودية لا مجال لها لضيق الارض وكثرة الازدحام كما صرح به وزير المستعمرات فى البرلمان البريطانى ، وقد سبق للدول الاوربية ان حرمت على اليهود - فيما حرمت - شراء الاملاك والاراضى لعين الاسباب التى فكر فيها العرب ، فلا معنى للمعارضة •• واذا لم يسمح لفلسطين بتأسيس دولة مستقلة ذات سيادة فلماذا انفصلت عن تركية ولماذا انضم العرب الى مجموعة الحلفاء فى الحرب العامة •• اكان ذلك للدخول تحت نير استعمارين استعمار بريطانى واستعمار صهيونى •• ؟

انا على يقين من ان هذه المطالب اذا لم تنجز فمن المستحيل ان يستتب الامن فى فلسطين ، وتهدأ خواطر العرب والمسلمين ، ويتحقق السلم

العلمى الذى يتردد على اللسان حقا كان ام ذريعة يتذرع بها الساسة للظهور
بمظهر الرأفة والعطف على الانسانية وحقق الدماء •

وبهذه المناسبة نقل عن صحيفة البلاغ^(٧) المصرية الفقرة التالية :

(ان المرحلة التى قطعتها الامم العربية فى علاقاتها بعضها ببعض لاسيلا
الى النكوص عنها •• وستلونها مراحل اخرى يزداد بها توثيق السروابط
وتنظيم التعاون والتآزر •• ما من هذا بد ، ولا عنه معدى ، وسير الحوادث
الى الان يثبت هذا على وجه قاطع ، بل ان النطاق يتسع ويرحب ويشمل
الامم الاسلامية كلها •• فهناك الميثاق الشرقى بين العراق وايران وتركيا
والافغان ، وهناك المصاهرة المباركة بين عرش مصر وايران ، وهناك الصداقة
المتينة بين مصر وتركيا •• والامر بعد ليس امر موثيق ، وانما هو امر
مصالح صارت متماثلة متسايرة غير متعارضة ، وامر اخطار متشابهة تنقى
بالتعاون والتآزر ، وهذا حسب من شاء موثقا •• فلذا كان احد يتردد اليوم
فى النزول على مقتضيات العلاقة الجديدة بين الأمم العربية فسيضطر غدا الى
مواجهة كتلة اكبر واقوى ، وهى كتلة الامم الاسلامية التى تتدانى صفوفها
وتتمد ايديها الى التآزر فى الحياة) •

وليس لنا مما نضيفه الى هذه الحقايق سوى كلمة نذيعها على أسمع
دول الاستعمار وهى ان سياسة القرن الثامن عشر لم تعد نلتئم وعقلية القرن
العشرين ، لان الحرب العامة احدثت انقلابا خطيرا فى الشعور العام • وقد
حان الوقت لان يحسبوا للعرب والمسلمين حسابا ، ليس من ناحية المسلم
العالمى فقط ، بل من ناحية المصالح المشتركة التى لا يتم امرها بعد اليوم
الا بالوئام والوفاق ، لا بالقوة القاهرة كما كان فى القرن الثامن عشر ، وذلك

(٧) صحيفة يومية سياسية صدر عددها الاول يوم الاحد ٢٨

كانون الاول ١٩٢٣ ، لصاحبها عبدالقادر حمزة المتوفى عام ١٩٤١ •

بالنظر الى التحول الحاصل في اتجاهات السياسة العالمية ، وان يجعلوا نصب
اعينهم نتائج الحرب العامة التي انعكست فيها الآية على حين غفلة فصار
المغلوب المقهور هو الغالب المنصور ، وما لبثوا ان اذعنوا لارادته واعترفوا
طوعا او كرها بان الحق احق ان يتبع ، وعاد كل شيء الى اصله • ولم يبق
لداريخ من نشوة الظفر ، والفتح المبين ، ودماء الملايين من الابرياء والقناطير
المقنطرة من الذهب والمخترعات الفنية التي حصدت اربعة عشر مليونا من
البشر المخدوع سوى اضغاث احلام تعبر عنها اكيليل الزهور الاصطناعية
حول قاعات الجندي المجهول ، وتلك المظالم في فلسطين ، واضطراب الحالة
في سورية ، وطغيان اليهود ، وان هي الا لطحخة سوداء في جبين القرن
العشرين ••

وقالت صحيفة « بنى صباح » التراكية في معرض الشاء على كفاح
السوريين والدفاع عن حقهم في الحياة الحرة المستقلة :

« ليعلم العالم ان الشرق الادنى لن يكون بعد اليوم موضع مساومة
بين المستعمرين فهذه الروح تسود الشرق العربي كله •• • »

والذي يفهم من تطور الشعور العام ان هذه الروح اجتازت حدود
العروبة والاسلامية وتسربت الى ما هو أبعد مدى ، فقد نشرت صحائف
الانكليز رسالة للمهاتما غاندي جاء فيها :

« ان فلسطين ملك للعرب ، كما ان انكلترا ملك للانكليز ، ولماذا
لا يريدون ان تكون فلسطين وطننا لشعب ولد تحت سماءها ويكسب رزقه
فيها ؟ انه ثمن الخطأ ومما يخالف المبادئ الانسانية ان يفرض اليهود
فرضا على العرب •• • »

وليس من السهل القضاء على هذا الشعور الذي صار يتناول ثلثي
سكان البسيطة •

أما كلمتنا الى الناشئى فهى أن يثوب الى رشده ، ويرجع الى
الصواب ، ولا يشق عصا المسلمين فى هذا الوقت الحرج (وما عند الله
خير وأبقى) (٨) •

عراقي *

(٨) القصص : ٦٠ •

(*) مجلة الكفاح العدد ٢٨٩ السنة العاشرة ٢ شباط ١٩٣٩ •

المعارف وكلمتنا الأخيرة

ما كنا لنعود الى البحث عن المعارف بعد انقطاع الأمل من الاصلاح لولا الكلمة المذاعة في صحيفتي (الزمان)^(١) و (العقاب)^(٢) بتوقيع « موصلي » التي أراد بها حضرة الكاتب ان يعلن عدم مشاركته إيانا في الرأي حول التربية معللا ذلك فيما يلي :

(ونحن لا نشارك حضرة الكاتب برأيه لان الدكتور الذي يشغل مديرية التربية والتدريس العامة هو من الشبان اللامعين المثقفين ثقافة عالية وهو ذو اختصاص بأحدث طرق التربية والتعليم في أعظم جامعات العالم ومن الذين يحملون بين ضلوعهم قلبا عربيا متحمسا للعروبة ومن الشبان المخلصين الغيورين على قوميتهم وبلادهم .. الخ) .

ونحن لم نقل ان سعادة الدكتور شيخ هرم ، وانه ليس من الشبان اللامعين ، وانه لم يتتقف في كلية من كليات أمريكا وانه غير عربي .. وانما الذي قلناه ان أساليب التربية التي تدرّب عليها الشبان في خلال (١٨) عاما ليست بصالحة للاستمرار عليها بدلالة النتائج الوخيمة التي أوردنا منها أمثلة كثيرة .. والآن نضيف اليها مثلا آخر للتدليل على فشل هذه الاساليب التي وصفها حضرة الكاتب (الموصلي) بأحدث طرق التربية والتعليم .. قالت صحيفة « الثغر »^(٣) بتاريخ ١٥ كانون الثاني سنة ١٩٣٩ :-

(١) الزمان : جريدة أصدرها توفيق السمعاني ببغداد يوم الاحد ٢ أيار ١٩٣٧ ، واستمرت على الصدور حتى ٨ شباط ١٩٦٣ / ١٤ رمضان ١٣٨٣ .

(٢) العقاب : جريدة أصدرها يونس بحري ببغداد في تشرين الثاني ١٩٣٢ واستمرت على الصدور عدة سنوات .

(٣) الثغر : جريدة مسائية لصاحبها شاكر النعمة ، برز عددها الاول في البصرة بتاريخ ١٦ ذي القعدة ١٣٥١ هـ / ١٢ مات ١٩٣٣ ،

(وقع صباح اليوم في المدرسة الثانوية حادث مؤسف أثار استنكار الناس واشمئزازهم ، وهو ان الطالب عبدالرحيم آصف طعن الاستاذ حبيب هداية بسكين في خصرته لسبب تافه ونقل الاستاذ الى المستشفى وقبض على المجرم بعد أن لاذ بالفرار (♦♦) ♦

وإذا كانت هذه هي نتائج التربية فماذا يفيدنا كون الدكتور من الشبان اللامعين الذين يحملون قلبا عربيا متحمسا للعروبة ؟ وهل بين البشر من يحمل قلبا أجنبيا عن قوميته اذا كان خالص الدم ، أم تلك من خواص الفطرة يتساوى فيها الشرقي والغربي الا اذا اختلط الدم بدم أجنبي كالناسل من أبوين أحدهما اجنبى عن الآخر ، وبالأخص اذا كان احدهما ساميا والآخر آريا ، فعندئذ يتغلب العنصر القوي ولا تؤثر التربية في خواص الفطرة ♦♦♦

فالقول بان زيدا العربي يحمل قلبا عربيا هو من باب تحصيل الحاصل ولا يحمل على بيان الفضل والميزة ، بل على رفع الشك والريبة ♦♦ وانا لم نبحت في مقالنا السابق عن العروبة والقومية ، بل كان البحث يدور حول التربية ونتائجها ، والثقافة ونقائصها ، والاخلاص للعروبة والقومية انما يتحقق باصلاحهما وتكوين ناشئة قوية تحمل الأمة العربية على سواعدها وترفعها الى أعلى مقام بالأعمال لا بالأقوال ♦ ولنا أسوة حسنة بقسيمتنا تركيا وجارتنا ايران ، والعراق أصبح مطمح الأنظار وموضع الثقة والاعتماد من لدن الاقطار العربية على الاطلاق ♦♦ فأين هذا من ذلك؟ أما وقد انتهينا الى هذا النوع من المناظرة فسلام على العلم والتربية وألف سلام ♦♦

عراقي *

المعارف والاصلاحات المنتظرة من الوزارة الحاضرة

اذاعت الصحف المحلية خطابا ألقاه فخامة رئيس الوزراء على الجمهور حول (مشاكل العراق ومعالجتها) قبل سفره الى لندن . ثم اذاعت خطابا آخر أملاه فخامة وزير الداخلية ووكيل رئيس الوزراء على جمهرة من الصحفيين حول حرية الصحافة ومنحها حق النقد أسوة بالحكومات الديمقراطية وعملا بأحكام الدستور .

فأخذت الصحف توالى النشر فيما يلوح لها من مواضع الاصلاح ، ومن بينها موضوع المعارف .

وبهذه المناسبة عرضنا في صحيفة (الكفاح)^(١) بتاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٣٩ من المواد ما له مساس بسير التربية والتعليم في مدارسنا وسلسلة من النتائج الوخيمة عسى أن تعالج في هذه الفرصة الثمينة بما تستحق من العناية ، وتنشل مؤسسة المعارف من وضعها الحاضر وأفة بمستقبل الناشئة التي صارت تتخبط في سيرها ، حتى استحال التهذيب الى ممارسة المساوىء والمنكرات تحت ستار التربية الحديثة ، والتربية الحديثة براء من هذه التهمة النكراء .

تتوالى الجرائم والجنايات في معاهد التهذيب ولا يبدى أحدهم حراكا ، ولا يسألون ، كأنهم أجنب أو كأن الامر مرغوب فيه .

وإذا ناشدتهم الاصلاح أقاموا حولك ضجة لا تسمع من خلالها غير نعة الدكتورا ، والاسس العلمية الحديثة ، والاساليب الرثة البالية ، ومعاهد الغرب ، وكليات أمريكا ، وتزعجات لا تليق بأداب المثقفين . أما

(١) احدى المجلات الدينية التي كانت تصدرها جمعية الهداية الاسلامية ببغداد .

الاصلاح فلا يمرون به ، كأنه خارج عن الخطة المرسومة ، أو كأنه من المفاهيم التي لا تسعها المدارك والافهام •
تلك هي الذهنية المسيطرة على طول المدى ، وتلك هي سيرة الوضع واليك المثال :

عرضنا بعض المواد في مقالنا السابق استنادا الى الخطابين الخطيرين المشار اليهما أعلاه وأعرضنا عن كثير رعاية لبعض المقامات، وكان المنتظر أحد أمرين : اما الاصلاح اذا كانت المواد صحيحة فيستحقون الشكر والثناء ، أو التكذيب اذا كانت غير صحيحة لنقيم البينة على ثبوتها •• واذا بنا أمام البيان الآتي :-

(نحن لا ندرى ماذا يقصد الكاتب بالاصلاح ، أيريد أن نرجع بالناشئة الى الاساليب الرثة البالية ونترك التعليم على الاسس العلمية الحديثة مع حصول اجماع الطلبة والمربين على وجوب اقتباس انوار العلم على ايدي الناهضين من الشباب والاستفادة من هؤلاء الآخرين بقدر ما حصلوا عليه من علوم حديثة تؤيدها الشهادات التي لديهم بالذكتورا في معاهد الغرب المعترف بها ، وذلك بدلا من أن تخرج لهم شمائل جوفاء من مصلحة الآثار يناشدونها طلل الماضين) •

والذي يظهر من هذه الثروة ان حامل الدكتوراه المعترف بمعلوماته القيمة من قبل علماء الغرب - كما وصفه البيان - أراد أن يسلك طريق المغالطة ظنا منه ان المغالطة اسلوب من أساليب العلوم الحديثة • لذلك اضطررنا الى أن نعيد على المسامع ما نريد من الاصلاح ، ولو أن قراء (الكفاح) ملوا التكرار :

(١) انا نريد تربية تحول دون اقتراف الطلاب الجرائم والجنايات وانواع الاعتداء على المدرسين في معاهد التهذيب كما وقع قبل بضعة أيام في المتوسطين الشرقية والغربية وقبلهما في ثانوية البصرة ، اضافة الى

الجنبايات السابقة حتى أصبح الاساتذة يرددون الانفاس بين الخوف والرجاء ، ويمثل هذا الوضع يستحيل تأمين الطمأنينة والاستقرار فى ساحة التعليم ، وتحقيق الفائدة على الوجه المطلوب .

(٢) انا نريد تربية يقوم بمهمتها من المربين من يغار على كرامة المعلمين وحيثية المعلمين . . . ولا تتحقق هذه الغيرة الا اذا كان المربي غيورا على كرامته غير معرض نفسه للاهانات فيكون مثالا للآخرين .

(٣) انا نريد تربية مستمدة من أسس تحول دون معاورة الطلاب الخمور ، وارتياح المواقع المشبوهة ، ومطاردة الفتيات ، وازعاج المارين وسكان البيوت بلعب الكرة فى الطرقات .

(٤) انا نريد تصفية المعلمين الذين لا علم لهم بأصول التربية والتدريس والذين لهم ثبت كفاءتهم فى الاختبار وهم كثيرون .

(٥) انا نريد ان تكون كتب الدراسة ملائمة للمصفوف ، متناسبة مع قابلية الطلاب ، مهياة عند افتتاح المدارس ، وان يكون المعلمون مهيين فى بداية السنة الدراسية ، ، وان لا تتغير الكتب ولا ينقل المعلمون من محل الى آخر فى أواسط السنة الدراسية لاسباب واهية ، لان فى ذلك ضياعا للوقت واخلاقا فى سير التعليم ، ونريد حذف باب النجاسات والمسائل المغلقة من دراسة الصف الثالث الابتدائى ، وكتابا للفقه خاصا بالبنات . . . وان لا تحتكر كتب الدراسة ، ولا يحتكر اللباس ليهون اقتناؤهما على الفقراء من التلاميذ .

(٦) انا نريد انهاء التصرفات الكيفية فى البعوث ومراعاة الشروط اللازمة للتخصص وان لا يعين المتخصص فى عمل خارج عن دائرته اختصاصه تحقيقا للفائدة المتوخاة من بذل المال وجهود الموفدين .

(٧) انا نريد تطبيق النظام فى الامتحانات السنوية على حد سواء

بدون رعاية أو اجحاف درءاً للنزاع ووقوع الحوادث الاليمة ، ولكسى
تعيين الدرجات بين التلاميذ على أساس صحيح .

(٨) انا نريد توزيع العدالة بين الموظفين والمدرسين فى ترفيع
الدرجات واعطاء كل ذى حق حقه ليسود الصفاء ويؤدى كل منهم
واجبه بجد ونشاط .

(٩) انا نريد ان ينفق المال فى محله بالنظر الى الحاجة لا بحسب
الأهواء والشهوات ، واذا ما حتمت الضرورة صرف الدرهم والدينار على
أمر حيوى احتجوا بقله المال كما بيناه سابقا .

(١٠) انا نريد من تشكيلات المعارف أن توجه الاعمال الى أهلها
بدون مراعاة للاعتبارات الشاذة اذ ليس الغرض منها ايجاد وسائل
للمعيشة والارتزاق أو مسaire النزعات .

(١١) انا نريد اعادة النظر فى الاضبارات وتنقية العناصر المشبوهة
غير الصالحة للعمل .

(١٢) انا نريد ان لا تقام المدارس فى الصرايف والمستقعات
والاصطبلات ، فذلك من الخزى والعار على بلاد تنزعم الاقطار العربية
وتطمح الى تأسيس امبراطورية مترامية الاطراف .

(١٣) انا لا نريد أن تبث الدعاية التبشيرية بين الينين والبنات فى
مدارس المعارف وان لا يستخف بدين الاسلام .

(١٤) انا نريد أن لا يكون رجال التربية قدوة للناشئة فى الاساليب
المنافية لأداب المثقفين كاليان المذاع فى احدى الصحف المحلية بتاريخ
٢٥ كانون الثانى ١٩٣٩ .

(١٥) انا نريد تطبيق المسؤوليات على الذين يقصرون بواجبهم ،
والذين يعرضون أنفسهم لما لا يليق بشأن المسلك الشريف الذى يجب

ان يكون المتمون اليه قدوة حسنة للناشئة في مظاهرهم واخلاقهم ولاسيما
في احترام النفس وصيانتها من كل شائبة وشائبة .

(١٦) انا نريد أن لا يوفد الطلاب الى اكليات التبشير لما فيها من
أخطار نوهنا عنها مرارا فأبوا الا النزول عند رغبة الاجنبي ، ونريد ان لا
يكون الايفاد الا للتخصص فيما نحن بحاجة اليه من العلوم والفنون والصنایع .
(١٧) انا نريد أن لا تكلم الافواه عن طريق التهديد بالاساليب
المستهجنة بل بالحجج الدامغة . . اذ ليست هذه المؤسسة مستملكة لبضعة
أشخاص ، وانما هي مؤسسة عامة لكل عراقي من دافعي الضريبة فيها
حصة مشاعة تسوغ له حق النقد والاعتراض . والحكومة مسؤولة كما
ان الشعب مسؤول عما يحدث فيها من خلل وأغلاط .

هذا ما أردنا وما نريده من الاصلاحات ، فهل في هذه المقترحات
(ما يرجع بالناشئة الى الاساليب الرثة البالية ويخرج تماثيل جوفاء من
مصلحة الأثار يناشدونها طلل الماضين) كما جاء في البيان من باب
المغالطة والتمويه ؟ . . !

وما هي العلوم الحديثة التي حصلوا عليها والتي تؤيدها الشهادات
بالدكتورا في معاهد الغرب المعترف بها . . ؟

وليس في العالم علم يبيح المساوىء والمنكرات واقتراف الجرائم
والجنايات . . ولكن هي الظروف التي تخلق من المبتدئين رجالا يعشون
بمقدراتنا ويستبدون في عناصر حياتنا ولا كاستبداد المستعمرين . . ومما
أهمته العلوم الحديثة من الآداب المؤيدة بالدكتوراه الفقرة التالية من البيان .
(وقد لا يؤاخذ الكاتب على مثل هذا التحدى ان عرف الناس ان
تحديه هذا جاء في موسمه وذلك بما تسرب الى بعض الاسماع من اشاعة
نقل مدير المعارف العام الحالي الى منصب آخر فأراد الكاتب أن يقدم ما في
كنايته من تراويق بيانية من باب الدعاوة لنفسه عسى ان يحظى بمنصب عال) .

هذه هي أساليب التربية الحديثة التي تمارسها الناشئة •• سخافة
ورعونة •• وليعلم كاتب البيان ان صاحب المنصب المشار اليه أجل من ان
تستهويه الحيل والدسائس •• وانه خير من يشغل هذا المقام ، لما له من
الخبرة التامة والعلم الواسع ، والاخلاق الفاضلة ، وهو ابن بجدتها ••

ولكن الوضع في هذه المؤسسة من شأنه أن يقيد رجال العمل ،
ومن سوء الحظ ان يطوح المرء بنفسه في هذا المأزق •• وأنا لو كنا من طلاب
الوظائف لما عز علينا ذلك ، ولكن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين •• فليتأدب ••

وان المقال لم يلتزم نشره على أثر الشائعة التي خلقت وأذيعت خلافا
للقواعد الرسمية ، وانما هي سلسلة مقالات باشرنا نشرها في (الكفاح)
و (الناشئة الاسلامية) (٢) على عهد الوزارة السابقة منذ ٤ آب ١٩٣٨ ••

والمرض المزمن ليس في هذه الناحية ، وانما هو في جهة منيعة
لا تصل اليها أيدي المصلحين •• واكثر الوزارات التي تولت مقاعد الحكم
حاولت اصلاح الوضع في تلك الجهة فباعت بالفشل (وما كل ما يعلم يقال) ••

وانا اذا ما كتبنا فانما نكتب للتأريخ ، لانا نعلم ان سيرة الوضع في
هذه المؤسسة لا يلائمها الاصلاح كما هو ظاهر من أسلوب البيان ••

والمقال المبحوث عنه ليس فيه تزاويق بيانية كما يزعم صاحب البيان ،
بل مواد معينة مثبتة بوثائق رسمية نشرها عند الحاجة ••

ولم تفرد صحيفة (الكفاح) بالبحث عن مشكلة المعارف ، بل اكثر
الصحف المحلية جعلته في مقدمة المواضيع ، فقد جاء في صحيفة
(الاستقلال) (٣) بتاريخ ١٧ كانون الثاني ١٩٣٩ ما يلي :

(أما المعارف فليس هناك وزارة أكثر حاجة منها الى قلب وتجديد ،

(٢) مجلة دينية اصدرها ببغداد المرحوم عبدالباقي العاني ••

(٣) جريدة سياسية صدرت ببغداد بتاريخ ١٤ المحرم ١٣٣٩ /

٢٨ أيلول ١٩٢٠ لصاحبها المرحوم عبدالغفور البدرى ••

فهى منذ زمن بعيد موضع الانتقادات العنيفة والحملات الشديدة وهى
تسير بخطوات سريعة نحو التأخر) ♦

ونشرت صحيفة (الاتحاد)^(٤) مقالين فى عددین متتابعین بتاريخ
٨٧٧ شباط ١٩٣٩ حملت فیهما على الطريقة السقيمة لاعداد المعلمین
للمدارس الثانوية وعواقبها الخطيرة ، وتناولت الوضع المترجرج فى دار
المعلمین العالية وبعد الايضاحات الوافية شبهته بريشة فى مهب الريح ♦♦
ونقلت صحيفة (اليوم) فصلا عن معارف تركيا ما خلاصته :

ان وزير المعارف جمع رجال العلم والصحافة وطلب اليهم ان
يعرضوا عليه ما يرون فيه الخير والصلاح ليستعين بأرائهم على ترقية
الثقافة ، وقارنت بين ذلك التواضع وبين الانانية المستحوذة على بعض
النفوس فى مؤسسة المعارف عندنا) ♦

مما يدل على أن هناك قوما لا غاية لهم سوى السعى وراء التقدم
والارتقاء ، ونحن اناس نحب الظهور الكاذب والفخفة الجوفاء ♦♦ وبعد
فانا نرى من الضرورى ان يستقدم من مصر اختصاصى يقوم بأعمال مديرية
التربية والتدريس العامة على ان يمنح صلاحية واسعة ويصان شخصه
ومركزه من كل حركة من شأنها ان تؤدى الى الانفعال والانزعاج كما
سبق ان ازعجوا كثيرا من مشاهير الاختصاصيين المصريين وحرموا المعارف
من خبرتهم وقابلياتهم الممتازة ♦

ذلك لان الوضع الحاضر ادى الى الفتك بالناشئة فتكا ذريعا ،
والمفروض على الاباء ان يفكروا فى مصير ابنائهم ويطلبوا بالاصلاح ، والا
فهم مسؤولون فى الدنيا والآخرة ، والمطالبة بالاصلاح نصيبها الهجمات

(٤) مجلة اسبوعية أصدرها ببغداد جمال الدين الجميل برز عددها

الاول فى ١٧ كانون الاول ١٩٣٣ ♦

العامية والاعتداء على الكرامات ، والسنون الطوال الماضية كافية للتجربة
وزيادة •

وإذا لم يستدركوا الامر بالاصلاحات الجدية فسوف تنبؤهم الايام
بان ما ابقته الظروف لنا من حياة هذه المؤسسة التي ابتعلت اموالا لا حساب
لها وزمنا لا يقل عن عشرين عاما هو عبارة عن نسخة من شهادة الدكتوراه ،
ومجموعة من نظريات التربية والتعليم فى امريكا وانكلتره والمانيا وفرنسه
ومن وراء ذلك ثقافة مشبوهة ، واخلاق متفسخة ، وسخرية من الجهة
المعلومة •

عراقي *

(*) الكفاح - العدد ٢٩١ السنة العاشرة ٢٣ شباط ١٩٣٩ •

العراق بين الموت والحياة الحرة(*)

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين »

بعد عشرين عاما ٠٠٠ لما كان نصيب الانكليز في هذه الحرب الطاحنة التي أوقدوا نارها الانهزامات الشنيعة المتوالية من كل مملكة خدعوا ساستها بالوعود الخلافة وزجوها في الجحيم ثم ولّوا عنها مدبرين ، كبولونيا ، وفنلندة ، والنروج ، وهولندا ، وبلجيكا ، وفرنسا ، ويوغسلافيا ، واليونان ٠٠٠ ولما كان الفشل السياسي المريع حليفهم في كل من روسية واليابان وجيكوسلوفاكية واستونيا وليتوانيا ولاتفيا وتركيا وبلغاريا ورومانيا واسبانيا والبرتغال والسويد وسويسرة وايرلندة وايران والافغان ومصر والمملكة العربية السعودية والعراق ، وكادت الجزر البريطانية تصبح هشيماً تذروه الرياح بنيران الصواعق الالمانية ، وتوالت الاضرابات من قبل عشرات الالوف من العمال في مصانع أمريكا احتجاجا على المساعدات الى بريطانيا المؤدية الى دخول الولايات المتحدة للحرب ، وضاق الحصار على الجزر البريطانية ولم يعد في الامكان أن تعيش أكثر من ثلاثة أشهر على أعظم تقدير وأوشك أن يكون الاستيلاء على جبل طارق وقناة السويس قاب قوسين أو أدنى ، وتحطمت معنوية الشعب البريطاني بسبب القصف الجوي المستمر والتدمير الواسع والأمراض المنتشرة وقلة الغذاء والحرائق الجهنمية وترديد الأنفاس في أعماق الأرض والنيران والانهزامات السريعة والفشل السياسي الذي أدى الى طردهم من القارة الاوربية وأقيمت المظاهرات لانهاء الحرب واسقاط تشرشل وزملائه الذين يريدونها لمنافع شخصية يتعهد بها ذهب اليهودية العالمية •

أقول لما نزلت هذه النوازل بالامبراطورية البريطانية المؤسسة على جثث أبناء المستعمرات وعلى بحار من الدم وتداعت أركانها وأصبحت على

(*) الخطبة الوطنية التي القاها من دار الاذاعة العراقية عند

قيام حركات مايس ١٩٤١ •

شفا جرف هار أخذ منهم الطيش مأخذه ودفعهم الفلج السياسى الى مزاوله
أمر أوهى من بيت العنكبوت وهو ان يهشموا العراق القتي حليفهم كما
يطعن فاقد الرشد أخاه وهو لا يدري ، فأخذوا يحاولون بدافع الامراض
العقلية أن يسدلوا ستاراً شفافاً أرق من النسيم على الخسائر الهائلة في
الاموال والارواح والاساطيل والموانى والمؤسسات من صوامع وبيع
ومتاحف وجامعات وقصور شاهقة وحظائر الطائرات ومخازن الوقود
والسلاح ودار البرلمان المعدودة من ناطحات السحاب ويستروا المجاعة
والفقر المدقع والثورة الداخلية والأمراض الفتاكة والأجل المحتوم
ويموهوا على الرأى العام البريطانى بأن الظفر سيكون فى جانبهم وأنهم
سيعوضون عن جميع ما خسروه فى السياسة وفى ميادين القتال بالانتصار
الموهوم على العراق • والعراق لا تزيد نفوسه على أربعة ملايين وقد تعمدوا
الاسراف فى أمواله كما تعمدوا افقار الأهلين بشتى الوسائل وتركوه صفر
اليدى • ولهذه الغاية أرسلوا رجلاً يقال له (كورن وايس) ليكون
ممثلاً سياسياً لبريطانيا فى العراق وهو الذى كان مستشاراً للدخالية فى
الدولة العراقية أربعة عشر عاماً قضاها بالفتن الدموية والمكر والخداع ولما
انتهت أيامه فى عهد الوزارة الهاشمية التى كان فيها فخامة رشيد عالي
وزيراً للدخالية صار يحمل الغيظ والحقد ويضمّر الثأر والانتقام لعدم
تجديد التعاقد •

ومن المفاصد التى حاكها فى خلال المدة المذكورة إيقاظ الفتن
والثورات المسلحة والحركات الدامية فى أكثر جهات العراق وتسليح
الهمج الرعاع واغرائهم بالمال وبأنواع المواعيد المعسولة الكاذبة وبت
التفرقة بين صفوف الشعب وتحجير سلسلة المعاهدات الجائرة واتفاقية النفط
القاسية والعملية العراقية وأخراج الذهب الى لندن والغاء أمتياز الترامواى
الكهربائى وصفقة أطلال الهندي وغيره وانقراض السكك الحديدية وميناء
البصرة على أن يتصرفوا فيهما على حسابنا ، وحصون الجبانية والشعبية

وحضر الفاو والضمانات المضمرة الى عصبة الأمم وشراء الأسلحة والمدافع
الفاسدة والخيال الهزيلة والطائرات والمعدات الحربية التي لا تصلح للعمل
وليست سوى مواد بالية ، وأفسد أمور الدولة ووسع نطاق التجسس
ومزق الأخلاق وسلط أنذالاً من سقط المتاع لا فى العير ولا فى النفير
على المناصب والمقامات الرفيعة جاعلاً منهم أداة لسياسة الاستعمار فتحكموا
فى الرقاب وعثوا فى مقدرات الشعب وعاثوا فى الارض فساداً وجمعوا مالا
وشادوا قصورا ولم يكن لهم من ذى قبل كوخ ولا صريفة فى هذه الديار ،
ومشوا على الارض مرحاً ، ولا يعبأون بحلال أو حرام ، فما من منكر الا فعلوه ،
ولا ذنب الا اقترفوه ، وكلف العراق خسائر جسيمة فى الاموال والارواح
وكال لنا الكيد جزافاً وهو يتمتع بأحترامنا وبخيرات البلاد وبراتب يزيد
على الخمسة آلاف ربية فى الشهر يمتصها من دم العامل والفلاح ♦♦♦♦
وفى هذه المرة ما سلم حتى أخذ يدس السم فى الدسم ، وأول دسيمة
نسجها على منوال أساليبه المنشور الذى وخز فيه أعظم شخص مع أربعة
من الأحرار بأنهم أخذوا ذهباً من المحور ، وعرضوا استقلال البلاد الى
الخطر ، فاحتقر العرب ، وأهان شرفهم المصون ، وأراد بهذه المغالطة أن
يستتر الشبهة التى تحوم حول الاشخاص الاربعة الذين تناولوا الذهب حقاً
ولاذوا بالفرار على أجنحة الطائرات الانكليزية وألقوا عصاهم فى أرض
الخونة والمارقين أعداء العرب والمسلمين ، وألقوا عصابة على غرار العصابات
المنهزمة من بلاد أوربا المحتلة فصاروا يكيدون لبلادهم ويدبرون المفاصد
مع العدو الخائن ويضللون الجهلة الغافلين كما فعل ديغول الافرنسي
المشرد فأنزلت به فرسة الضربة القاضية فى حادثة داكار ، وصادرت
أمواله وأملاكه جزاء خيائته وكما فعلت تلكم العصابات برعاية الانكليز
وخديعتهم واستحالت أمانيتها الى اضغاث أحلام ♦ ولو كان اولئك
الشاردون الاربعة أبرياء لما ارتكبوا عار الهزيمة بذلك الشكل الفظيع وما
مسهم من سوء ♦

حل (كورن واليس) أرض العراق والناس فى رية منه لعلمهم
بسوابق أعماله المنكرة وكانوا على يقين من انه لم يرسل الا لايقاد نار القطن
والدسائس بين طبقات الشعب الآمن ، ولم يقدم أوراق اعتماده معللاً
ذلك بأعذار واهية فازداد الشك والارتياب • وكانت غايته من المطل
الاستفادة من الوقت ، ثم عرض على الحكومة السماح بمرور قطعة من
الجيش البريطانى عبر العراق على ان تغادره الى الخارج فى الحال مع
البشاشة واظهار علائم المسألة والمصافاة • وبعد ان وطأت اقدامهم ارض
البصرة قلبوا لنا ظهر المجن ، وأصروا على البقاء مستهدفين الاحتلال ورفع
لواء الاستعمار ثانية ومحاربة العراق لأغراض نفسانية لا ظل للسياسة
والمعاهدة فيها كما اذاع فى المنشور وهذا ما وقع • فعود على بدء ، وذهبت
تضحياتنا سدى وكأننا لم نقدم ارواحنا ثمنا للحرية والاستقلال وكأننا لم
نبخس حظنا فى تلکم الصفقات الجائرة التى احتملنا عسفها حفظاً للصداقة
والمودة •

عشرون عاماً والعراق يعاني شدايد الحيل الانكليزية ويقاسي آلامها
وما بدأ عام الانكبة إثر نكبة ، وما انتهى عام الانكبة اثر نكبة • ونحن
دائبون على التفادى فى حقوقنا السياسية والاقتصادية واستقدام مئات الجهلة
منهم لأكبر المناصب الفنية والسياسية والادارية والاقتصادية والثقافية
والقضائية والصحية والعسكرية برواتب لا تحتملها الخزينة ، وبندل ما فى
وسعنا من المجاملة والموالة ودأبهم الخيانة والافساد أينما حلوا • ولم
يرعوا إلاّ ولا ذمة لأنهم ما فتؤا يضمرون العداة لنا بمقتضى غريزتهم
المطبوعة على الدس ومقابلة الحسنة بالسيسة ويتأهبون للأمر وما أنشأوا
حصن الجبانية والشعبية الا لهذا الغرض • وان الذين تولوا الحكم من
أذابهم الخائنين صموا آذانهم عن سماع الحق والتبته للخطر من هذه
الحصون لقاء منافع خسيسة من حطام الدنيا والجاه الزائف الذى لا يساوى
خردلة لأنه منحة انكليزية تمنح للأراذل تشجعا لهم على الخيانة والدناءة
والتضليل والتمويه والافك والبهتان • واى خيانة أعظم من فسخ المقاوله

الرسمية حول تقوية الجيش بالسلح ليقي عاجزاً عن الدفاع في مثل هذا اليوم الخطير • وای خيانة اعظم من الاطراء على نبل الانكليز وشرفهم ، وجناباتهم الفضية في فلسطين والهند والعراق تستغيث منها السماوات والأرض •

وأی دناءة أعظم من التزلف الى قوم لا وفاء ولا أمان ولا عهد ولا ضمير ولا عاطفة ولا كلمة صادقة لهم ولعنوا بما قالوا (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأوا بغضب من الله) (١) •

وقد صرح تشرشل بأنه كان ينوي ارسال قوة الى العراق منذ العام الماضي ولم يتمكن الا في هذه الأيام وسيعزز الحملة بأمثالها من الجنود • وأما من جانبنا فلم نالُ جهداً في مسايرتهم والرجوع اليهم في الصغيرة والكبيرة ولم تؤلف وزارة ولم ينتخب أو يحل مجلس نيابي ولم يشرع قانون ولم تعقد اتفاقية مع دولة اجنبية الا باستشارتهم وطبقاً لرغباتهم ، ولما عرضوا على الوزارة الكيلانية السابقة مطالب لم توافق عليها صرح السفير البريطاني السابق على لسان حكومته في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٤٠ بأن الحكومة العراقية عليها أن تختار أحد الشقين اما الاحتفاظ بشخص رشيد عالي أو بحسن صلاحتها مع بريطانيا • وبالرغم من بيانات المشار اليه لدى كل فرصة بأن سياسته الخارجية سائرة على تطبيق المعاهدة نصاً وروحاً وتأيد أو اصر المودة والموالاته لبريطانيا العظمى فلم يجد نفعا فقدم استقالته دفعا للنزاع • ولما أعاد تأليفها بعد شهرين خلافا لمرضاتهم جردوا السلاح لاسقاطها بالقوة والحيل والوسائل كما جاء في منشور (كورن واليس) فأين الاستقلال وأين الدولة واين سيادة المملكة ، ذلك لأنهم لا يزالون يعتبرون العراق جزءاً من حلقة الامبراطورية والعراقيين مما ملكت أيماهم أي عبيداً أرفاء وفوق ذلك يدعون بالديمقراطية والدفاع عن السلم العالمي والعطف على

(١) البقرة : ٦١ •

الانسانية أحبايل يضللون بها الشعوب ويزجونها في السعير ويفرون فرارهم
من الأسد ♦

وبعد عشرين عاماً من صلاتنا الودية ، وبعد المعاهدة التي حددت
مناسباتنا معهم أغارت حامية الجبانية على الجيش العراقي الذي كان قائماً
بحراستها على حين غرة وبدون سبب مبرر وبدون سابق انذار محترقة هذا
الشعب الأبى وجيشه الباسل وقد ضربت بصدافتنا وتضحياتنا عرض
الحائط ♦

فالتهب العراق حماسة وبطولة واتقد غيرة وشهامة بشبابه وكهوله
وشيوخه ونسائه وبدوه وحضره على اختلاف العناصر والطوائف والطبقات
حتى الطفل الصغير ، وارتجت الأقطار العربية وهاج العالم الاسلامي وضج
الشرق والغرب وتقاطر الشباب للتطوع من كل حدب وصوب ، وأيدت
الصحف الاجنبية والساسة الاجانب جهاد العراق المقدس لتحريره وتحرير
العرب وأكبروا شجاعة جيشه وبسالته وكفاحه العنيف في سبيل الحق ،
ومما لا ريب فيه ان الاعتداء الشائن البريطاني سيمنى بالخيبة والفشل
كغيره من الاعتداءات ، وان العراق سيخرج من هذه المعمة الدامية رافعا
لواء الظفر والنصر المبين لان الحق يعلو ولا يعلى عليه ♦ وليعلم الانكليز
ان العراق ليس باللقمة السائغة التي يسهل ابتلاعها بجرعة ماء ♦ فان في
العراق خزائن لا تقوّم وانهارا من عسجد ولجين تجرى على بقاع من
الاكسير ، وان في العراق امة حية اذا ما ديست حقوقها وكراماتها بالاقدام
فانها تتركب الاخطار وتدفع الشر بالشر وتسترخص الارواح ، وتصبغ
اديم الارض بالدماء وتجعل نصب عينها الموت او الكرامة ولا يعز عليها
مال ولا ولد والله العزيز القهار يأخذ بأيديها ويرد كيد الظالمين في
نحوهم ، وقد وقع عليها الاعتداء البريطاني عن طريق الغدر والغش
والخيانة بالرغم من امانتنا واخلاصنا (ومكروا ومكر الله والله خير

الماكرين) (٢) ، والامة العربية المطبوعة على الشمم والاباء لم تخضع لظلامه
ولم تطأطىء رأسها لجبار عنيد ولها من تاريخها ما يوحي اليها قوة وعظمة
وعزما يفل الحديد ♦

وابناء العراق تشهد لهم مواقف النضال بانهم لا يبيتون على ضميم
ولا يصبرون على مفض ولا تلين لهم قناة ولا يشق لهم غبار ما دام فى
عروقهم دم ينبض بالشهامة والغيرة وعزة النفس وشرف الذات ♦

فيا ايها الشباب المتحفز الى المجد الباذخ ويا اشبال الغزاة الفاتحين
ويا اباء الضيم ان العدو يجوس خلال الديار ويطأ بأقدامه القدرة تربة
آبائكم الطاهرة وان ارواح اجدادكم العظام تحف بكم حاملة صحائف
تأريخكم المجيد ترتل آيات الماضى المحفوف بالسؤدد والشرف الرفيع ، وان
اجنحة الملائكة المقربين ترفرف فوق رؤوسكم صارخة (وبشر المؤمنين) (٣)
يا محمد ♦♦ وان روحانية رسول الله تشهد من اعلى عليين مشاهد جهادكم
المقدس وما يفرضه عليكم الواجب الدينى امام الله والوطن والذمة
والتاريخ ، وان نصراء الحق فى مشارق الارض ومغاربها يصرخون
بصرختكم صرخة الحق المذبوح صرخة دوت فى انحاء الدنيا فردت
صداها البشرية بكاملها ♦

فذبوا عن اوطانكم واعراضكم ومقدساتكم فان الله والامة والعالم
والحق والاسلام معكم ، ويا ايها العرب الكرام ان العراق حجر الزاوية
فى صرح استقلالكم وعار عليكم ان يمس استقلاله بسوء ويعتدى على
مقدساته ومعابده ومدارسه ومستشفياته ومساكن الفقراء والمدن المكشوفة
وسوايل المستطرقين والنساء والاطفال والأئمة الصالحين وانتم احياء
ترزقون ♦

(٢) آل عمران : ٥٤ ♦

(٣) البقرة : ٢٢٣ ♦

ايها العرب الامجاد ان العراق في هذه الساعة الرهية يخوض غمار
معمة حاسمة اما الموت او الحياة الحرة فجردوا سيوفكم وشدوا الوثاق
تحت لواء الحق المنصوب والحرية المهانة والاستقلال المهضوم واجبوا
نارا حامية تصلون بها طغيان الغطسة والكبرياء والجبروت بعزم قهار
وارادة جبارة وايمان كامل واتكال على الله احكم الحاكمين (ولا تهنوا
ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين)^(٤)

فهني المدرس *

(٤) آل عمران : ١٣٩ .

(*) جريدة البلاد العدد ١٧٠٧ السنة الثانية عشرة الجمعة

١٦ أيار ١٩٤١ .

المدنية ودين الاسلام

كان الاستاذ الكبير المرحوم محمد فهمي
المدرس في طليعة الكتاب الاسلاميين الذين
يتحفون هذه الصحيفة بشمار قرائهم وأقلامهم ،
وكان هذا المقال الاسلامي البليغ آخر ما قدمه
للنشر قبيل انتقاله رحمه الله الى جوار ربه ، وقد
تأخر نشره لاحتجاب الصحيفة بسبب ظروف
قاهرة ، ولعلنا بهذا النشر نحتفظ بكنز ثمين من
أدب الأستاذ الراحل .

« الكفاح »

شاءت العدالة الالهية ان تستحيل المدنية في الغرب الى جحيم تستعر
نيرانها فتلتهم الرجال والنساء والأطفال والعجائز والشيوخ والليل والمحتضر
والنبات والشجر السابح لجج البحار وبهيمة الانعام وذات الجناح ، ولم
تبق ولم تذر ، جراء التهكم والاستهتار بالامم الضعيفة .

غلبت عليهم شقوتهم واستحوذ عليهم العجب والغرور ، فسولت لهم
انفسهم الدمار وازهاق الارواح طمعا بالتوسع والاستعمار ، فأججوا نارا
حامية تمطر عليهم الصواعق في البر والبحر واعماق الارض ، فتحطم
ما شيدته القرون من صوامع ومتاحف وجامعات وصروح ممردة ومعاهد
ومؤسسات ومصانع ومستشفيات وتسف ما خلدهت الايام الخالية من
خزائن الملوك وتراث الاسلاف وتذهب بأموال يعز تلافها ولو بعد حين .

شاخصة ابصارهم نحو السماء لا تغمض لهم عين ولا يطمئن لهم
مقام (يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت)^(١) والموت
محقق بهم اينما حلوا وحيثما ولوا وجوههم ولو زجوا بأنفسهم في غيابة
الجبب او حلقوا بها الى عنان السماء . تصب عليهم النيران فترتج بهم الارض

(١) البقرة : ١٩ .

فيهبون من مضاجعهم بين الفزع والعيول والأشلاء والجماجم والأجساد المشوهة والاطلال والبرد القارس و نار السعير •

وما مر يوم آمن الا تلتته ايام تذكرهم بأحوال الساعة ويوم النشور (يوم ترونها تدهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) (٢) •
يخربون بيوتهم ولا يثنون ولا يرعونون والبؤس والشقاء بلغا اقصى حدودهما والجوع ضارب اطنابه على طول البلاد وعرضها والرعب جاثم في الربوع والهلع باسط ذراعيه بالوصيط وما برحوا يعللون النفس بالنصر المين وما النصر الا (كسر اب ببيعة يحسبه الظمان ماء) (٣) •

وقد كانوا يرفلون في حلل السعادة والتعيم آمنين مطمئين يأتيهم رزقهم رغدا من كل مكان فكفروا بأنعم الله فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون •

هذه صفحة من صفحات المدنية التي لم يكن لها رادع ديني وهداية ربانية فانها تضلل العقول وتفقدھا ملكة التمييز فلا يلوون على احد و (لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) (٤) •
فتسحب وراءھا الملايين من البائسين والملايين من الارامل والايتم والبعث الهامدة والخرائب والقبور والضغائن المنتقلة الى الارحام جيلا بعد جيل •

فحملت هذه الويلات علماء الاجتماع منذ الحرب الماضية على التنقيب عن مخرج لهذه الهوة السحيقة وجعل العلم خادما للانسان لا هادما له ولما قدمت يداه من عظيم الآثار لدى كل معمعة دامية ومحن الانانية التي لا تحمل غير الاستعباد وجر المغنم والاحتكار •

(٢) الحج : ٢ •

(٣) النور : ٣٩ •

(٤) البقرة : ٢٧٥ •

ومما جاء في بياناتهم ان المدارك الاوربية كما انها قدمت اعمالا
صالحة في مضمار الحضارة في العلوم الطبيعية والمعالجات الطبية فكان
لها الفضل الكبير على حياة الانسان كان من نتائجها ما هو وبال على الانسانية
كالفجائع والنكبات في ميادين القتال المؤدية الى تفضيل البداوة على هذه
المدينة التي تتأصل جذور البشرية وتهدم اليوم ما بنته بالامس وتهلك
الحرث والنسل وتذهب بجميع فضائلها *

ويعزى هذا الخطر المييد الى ابتعاد المثقفين عن الدين في اوربا
وامريكا في الظاهر والباطن او في الباطن فقط * ويرجع هذا الابتعاد الى
النزاع الذي كان قائما بين العلم والدين الى عهد قريب ، فما نطق عالم
بحقيقة علمية يجهلها رجال الكنيسة الا حكم عليه مجلس الاعيان الروحاني
في (روما) بأشد العقوبات كما حكم بالاعدام على (غاليليو)^(٥) القائل
بحركة الارض ، والحكومة التي كانت تحت سيطرة الكنيسة مالها سوى
التنفيذ ، حتى سالت دماء القسيسين والرهبان ، وانتزعت السلطة الزمنية ،
وتجرد المتعلمون من الشعور الديني ، فالوسيلة الوحيدة للخلاص من هذه
الويلات هي الرجوع الى الشعائر الدينية والايمان بالله *

أما في الديانة الاسلامية فان العلم والدين احدهما متمم للآخر ،
وان الحكومات الاسلامية في جميع ادوارها كانت حامية للعلم وكان العلماء
احراراً في ابداء الرأي حول القضايا الفلسفية والطبيعية والفلكية ، لانها
مما جاء في القرآن ، ولهذا الغرض شيدت الجامعات في بغداد وقرطبة
والقاهرة وغيرها ، وعُربت الفلسفة اليونانية والمنطق والحكمة عملاً بمفهوم
الآية (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً)^(٦) *

(٥) غاليليو (١٥٦٤ - ١٦٤٢) ولد في بيزا من أعمال ايطاليا .
ويعتبر أول من اكتشف قوانين الحركة ، وضع اول تلسكوب فلكي رصد
به توابع المشتري الاربعة ووجه الزهرة ، كما رصد بقع الشمس وسطح
القمر * واخترع المكرسكوب ، لقب بحق أبا العلم الحديث .
(٦) البقرة : ٢٦٩ *

والقرآن نبه الى أدق العلوم التي تتوقف عليها معرفة الخالق والمخلوق،
 واسرار الطبيعة ، ونطق بحقائق علمية لم تكن معروفة فى ذلك العهد ،
 ليقال ان محمد بن عبدالله (ص) اقتبسها من الاوساط • كحركة الارض
 وان الارض فى شكل قطع ناقص ، وان الارض والسماء كانتا شعلة من
 غاز ، ثم جرما واحدا ثم انفصلت احدهما عن الاخرى ، وان الاجرام
 السماوية سابحة فى الفضاء ، وان فى الكواكب اثر من الحياة ، وحقيقة الليل
 والنهار ، والنظام الشمسى ، وطبيعة الاشياء ، وسنة الكون ، وحكمة
 التكوين ، والانقلابات الكونية ، وفلسفة الحياة ، وادوار التطور فى خلقه
 الانسان ، وما جاء فى آية (الله نور السموات والارض ، مثل نوره كمشكاة
 فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى ، يوقد
 من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ولو
 لم تمسه نار) (٧) •

والقوة الكهربائية انما انكشفت ماهيتها للعلم قبل عشرات السنين ،
 فتمثيلها بهذا المثل الاعلى ان هو الا بوحى الهى • وفى الآية حقائق ربما
 يكشفها العلم اذا بلغ اشده (وتعلمن نبأه بعد حين) (٨) ، هذا كله وان
 حامل القرآن امي يحيط به وسط تسوده الأمية (هو الذى بعث فى الأميين
 رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) (٩) •
 وكيف يعقل ان رجلا غير متعلم يعلم الأميين أرقى العلوم ان لم يكن هناك
 وحى من الله واعجاز وشريعة توحد بين العلم والدين ، وتأتي بالخوارق
 والمعجزات جديدة بأن تقوم مدينتها على أسس ثلاثم روح العصر ومن
 شأنها ان تدعو الى السلام وتؤلف بين الشعوب وتقيم دعائم الاصلاح لولا
 الاختلافات المذهبية ، ولولا التخاذل المنبث من مكايد الاجنبى •

(٧) النور : ٣٥ •

(٨) ص : ٨٨ •

(٩) الجمعة : ٢

والمدينة الاسلامية قائمة على قواعد العدل والمساواة ، والتعاون المشترك والتوازن بين الاغنياء والفقراء ، ورعاية حقوق الاقليات من اهل الكتاب ، والسعي والعمل ، وتوسيد الامور الى اهلها ، وانصاف الضعيف ، وحقن الدماء ، وطلب العلم ، والايتار ، واجتناب المنكرات ، ونظام العائلة ، والميراث ، والمدانية ، والمعاملات بين الافراد والجماعات ، واصلاح اليتيم ، وحرية التفكير ، وقوة العزم والارادة ، ونكران الذات ، وتهذيب النفس ، ونبد الشقاق ، وتكوين الوحدة التي هي قوام الدولة وضمان سلامة المملكة ، والقصاص ، والعقوبات ، « (انما جزاء الذين يجارون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) (١٠) » الى غير ذلك مما نص عليه القرآن .

فالمدينة الاسلامية مبنية على ما جاء في الشريعة من نظم واحكام ، فهي اذاً مدينة الهية ، وهذه اول مدينة في تاريخ البشر وآخرها ، ولا تنتهي الا بانهاء العالم ، ولذلك نودى صاحب الرسالة (ص) خاتم النبيين .

واما عظمة القرآن فقد تجلى فيها من آيات الاعجاز ما اهاب بالمفسرين الى تدوين علوم يستعان بها على تحليل ذلك الاعجاز ، فجهزوا عالم الاسلام بتأليف ضاقت بها محافل العلم ولم ينتهوا من جهودهم المتواصلة منذ اربعة عشر قرنا ، لان عناصر ذلك الاعجاز لاتزال قاصرة عنها المدارك . فقد جمعت بين السياسة ، والانظمة ، والقوانين ، والتعاليم الدينية ، والحقايق العلمية والفلسفية ، وبين منتهى الايجاز ، والايجاز انطوى على السلاسة ورقة اللفظ ، وروعة الاسلوب الذي لا يبارى ولا يعتره القدم ، والابداع في التقطيع والانسجام ، والتماسك بين الحروف والكلمات ، بحيث يجذب بعضها الى بعض انجذابا تلتزمه نغم الحروف والحركات ، المنزه عن التكلف والالتزام ، المنحدر انحدار الغيث المنهمر ، الجديد على

مرَّ الدهور والاعصار ، ومن معجزاته انه ينفذ في اعماق القلوب من
خاصة وعامة على حد سواء ♦♦ يسحر الالباب ويسخر القلوب ، ويأخذ
بالمشاعر ، ويرهف الاسماع فتتصاع الى الحكم بانه ليس من كلام المخلوق ،
وانما هو نفحة الوحي والالهام ، فلن يقبل المماثلة ، ولا المفاضلة ، او
التحريف ، أو النقص ، أو الزيادة ♦

ولم يهبط القرآن على قوم من الهمج والرعاع كما يظن ، وانما
هبط على اوساط تأصلت فيها الفصاحة والبلاغة ، وانبث منها الادب
الجاهلي الذي لم يكن للأمم من أمثلته ولم يبلغ شأوه شعراء العرب حتى
الآن ، والادب الجاهلي كان شائعا بين الطبقات حتى صار لغة التفاهم ♦

والآداب هي المقياس الذي يوزن به مستوى الشعوب لا العقائد
والأديان ، فالامم المبرزة في السياسة والعلوم لانزال تتمسك بعقائد يتخللها
الشيء الكثير من الاساطير ♦ فالقول بان العرب اكانوا يتخبطون في ظلام
دامس من الوحشة والهمجية اعتداء على التاريخ ♦

يؤيد ذلك اسراع ابلغ البلغاء وأفصحهم الى الايمان به قبل كل
أحد ، من الملوك والامراء والزعماء الذين لم يبلغوا المقام الا بطلاقة اللسان
وسحر البيان بحسب التقاليد والعنعات ، آمنوا به طوعا ويقينا لا كرها
وجهلا كما يزعم المعرضون ♦♦

وقد مرت قرون وتلتها قرون حتى انتهينا الى القرن الرابع عشر ،
والاعجاز ذلك الاعجاز ، وكلما اتسعت المدارك ، وكلما تجدد الزمان
أملى على المشرعين من نواميس التطور ما يلائم نفسية العصر وقابلية الجيل ♦
فالقرآن درة تتلأأ فوق تاج النبوة ، ودستور أزلي أبدى (لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)^(١١) ♦

فهمى المدرس *

(١١) فصلت : ٤٢ .

(*) مجلة الكفاح العدد الثاني السنة الاولى ٢٧ شوال ١٣٦٦ -

١٢ أيلول ١٩٤٧ .

أشتات متفرقة

رقم ٢٥

دار العلوم الدينية والعربية

هدفها الثقافي السامي

حديث

الاستاذ فهمي المدرس

مع مندوب جريدة « البلاد »

قابل أحد مندوبي هذه الجريدة سعادة الاستاذ الكبير فهمي المدرس مدير دار العلوم الدينية والعربية ، وألقى عليه الاسئلة الآتية :

(١) هل الكلية في وضعها الحالي تستطيع ان تحقق الأهداف التي أسست من أجلها ؟

(٢) ما هي أهم الاصلاحات التي تقومون بها في الوقت الحاضر ؟

(٣) ما هي خلاصة النظام الجديد ؟

(٤) ماذا ترون أن يدخل على منهاج التعليم ؟

فأجاب الاستاذ بما يلي :

مرّ على تأسيس (دار العلوم الدينية والعربية) خمسة وعشرون عاماً تقلبت في خلالها بين مختلف الانظمة والمناهج والعناوين ولم تبلغ الغاية المقصودة من تأسيسها حتى هبطت ميزانيتها من (٨٥) ألف ربية الى (٢٨١٣) ديناراً ، وفي ذلك دلالة واضحة على انحطاطها في الزمن الأخير .

باشرنا العمل فأسدت الينا وزارة المعارف من المساعدات ما حصلنا بها على نخبة من الاساتذة الاختصاصيين الذين جعلوا أهدافهم النهوض بهذه المؤسسة الى المستوى المطلوب .

غير ان النظام والميزانية حالاً دون التوسع في الاعمال ، فوضع مجلس المدرسين لائحة نظام لاحظ فيه كلتا الثقافتين الدينية والادبية ، على أن ينقسم التعليم في دار العلوم الى قسمين : ثانوى وعالي ، وان تكون

مدة التدريس في الاول ست سنوات - بعد التحصيل الابتدائي - وفي
الثاني ثلاثاً ، وان ينقسم التعليم العالي الى شعبتين الشعبة الدينية والشعبة
الادبية ، وان يتبع التعليم الثانوي منهج القسم الادبي من ثانويات
المعارف الا في اللغة العربية وعلوم الدين وهي : الفقه ، التفسير ،
الحديث ، العقائد ، تاريخ الاسلام ، استذكار القرآن الكريم ، ولذلك
جعلت مدة التدريس فيه ست سنوات •

وان يدرس في الشعبة العالية الدينية العلوم الآتية : تاريخ الفقه
وأصوله ، تاريخ الحديث وأصوله ، تاريخ التفسير وأصوله ، تاريخ علم
الكلام ، تاريخ التشريع ، تاريخ التمدن الاسلامي ، تاريخ الاديان ، علم
الخلاف ، الفلسفة الاسلامية ، حكمة التشريع ، علم النفس ، علم
الاجتماع ، علم ما وراء الطبيعة ، الاخلاق ، احكام الاوقاف وأصول
ادارة الاوقاف ، الفرائض ، لغة أوربية •

ويدرس في الشعبة العالية الأدبية : تاريخ الادب العربي ، تاريخ
الادب الغربي ، المقارنة بين الألسنة السامية ، علوم اللغة ، التاريخ
والجغرافية ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، التربية وعلم النفس ، علم
الاجتماع ، الاخلاق ، تاريخ الفنون الجميلة ، لغة أوربية •
وان يفتح فرع للغات تدرس فيه التركية ، والفارسية ، والكردية ،
والانكليزية ، والافرنسية ، والالمانية ، والألسنة السامية •

وان تؤسس مدرستان ثانويتان في البصرة والموصل وفق احكام هذا
النظام لتكونا مخرجاً لدار العلوم العالية •

وان ينال خريجو دار العلوم من الحقوق لها يناله خريجو المدارس
العالية في العراق ، ولهم حق الرجحان على غيرهم في وظائف الاوقاف
العلمية والادارية ، والوعظ والارشاد ، ووظائف المحاكم الشرعية ،
وتدريس العلوم الدينية والعربية في مدارس المعارف •

واضيفت مخصصات تأسيسية للمكتبة ، والمختبر ، ومتحف التاريخ الطبيعي ، وتنظيم المطعم والنمّام ، وانشاء مرافق تسد الحاجة بالنظر الى التشكيلات العلمية المضافة .

وقد عني النظام بلغة القرآن الكريم ، وتعليم لغة أوربية تمكن الطالب من التوسع في المعلومات وتساعد خريجي دار العلوم على فهم المباحث التي لها مساس بالدين الاسلامي .

ولا يسعني أن أبدي أكثر من ذلك قبل ان يقترن النظام بالتصديق أما عناية الاساتذة الأجلاء بتعويض الطلاب ما فاتهم فمما يقرب الى هذه المؤسسة بلوغ الغاية المقصودة ويحمل العارفين بالواجب العلمي على الشكر والاطراء .

ولسعادة الاستاذ الأجل السيد مظهر سعيد الخبير الفني في وزارة المعارف ومدير دار المعلمين العالية فضل واسع على (دار العلوم) بالقضاء المحاضرات القيمة في علم النفس الحديث على استغراق وقته في اعمال المنصيين .

والأمل معقود على ان تلاقي دار العلوم تأييداً من الدن فخامة رئيس الوزراء يأخذ بأيدي القائمين باصلاحها على الوجه الذي تتطلبه الثقافة العصرية من علماء الدين وتفتقر اليه البلاد .

(*) جريدة « البلاد » العدد ٧٩٢ الصادر في ٧ شباط ١٩٣٧

مقدمة ديوان « الثمالة »

للشاعر جميل صدقي الزهاوي

لقد جادت قريحة الاستاذ الكبير شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء
المرحوم جميل صدقي الزهاوي في اواخر أيامه بقصائد رائعة تعبر عن آرائه
الفلسفية وعن نظره النافذ في الحياة وفي الطبيعة نظر الحكيم الخبير •

نشر القسم الأعظم منها في مجلة «الرسالة» المصرية وهو حي يرزق •
وقد حتم الواجب الأدبي أن يجمع شتاتها وأن تقوم ارملة المرحوم
بطبعها تحت عنوان (الثمالة) الذي اختاره للديوان فيما لو ساعدته الأقدار
على طبعه ، بالإضافة الى دواوينه : الكلم المنظوم ، الديوان ، الرباعيات ،
اللباب ، الأوشال ، خدمة للأدب العربي ، وتخليدا لذكرى ناظمها وهو
في سن شيخوخته عندما كان يلفظ انفاسه الأخيرة •

ولما كان الزهاوي شائع الصيت وشعره في جميع أدوار حياته مما
نال اعجاب الأدباء واكبارهم في بلاد العرب خاصة والشرق عامة ، لا نرى
حاجة الى الوصف والتعريف •

غير ان الذي يهمنا بيانه في هذا المقام هو ان الزهاوي لهم يكن في
أواخر عمره بأقل نشاطاً في الاجادة والتفكير من أوائله على ما به من
آلام جسمانية لازمته بضع سنين الى ان وافاه الأجل ، و (الثمالة)
أصدق شاهد ••

وهذه احدى المواهب الفطرية التي امتاز بها بين معاصريه ، كما انه
كان في وسعه ان ينظم ما يزيد على مائة بيت في يوم أو يومين بلا تكلف ،
لقوة ذاكرته التي تملي عليه القوافي كالسيل المنحدر ، مع ابتكاره المعاني

والتزامه رقة الألفاظ • وقد كان شعره يتمشى مع التطورات العلمية
والفنية ، وكثيرا ما نبّه الأفكار الى الاوهام التي كانت مستحوذة على كثير
من الاذهان قبل نصف قرن عن طريق النكت والطرائف ، وهي احدى
طرق الاصلاح •• فالزهاوى شاعر عصرى مجيد ، ومصالح مجدد
وفيلسوف •

فهيمى المدرس

(*) مقدمة ديوان « الشماله » ، مطبعة التفويض الاهلية - بغداد ١٩٣٩ •

كلمة في الشعر واللغة

مهما تفنن علماء الادب في تعريف الشعر لم يخرجوا عن كونه اندفاعاً نفسياً ينبعث من بين العاطفة والشعور بدافع من الطبيعة ، أو الدين أو الحب ، أو الألم ، أو السرور ، أو غير ذلك من احوال النفس .

يبدأ بالجمال القصيرة وينمو مع الزمن حتى لا تكاد تسعه الاوزان والقوافي . ولا يتأتى من طريق التكلف والتقليد . ولا فرق في ذلك بين أمم الشرق والغرب خواصها وعوامها .

يلازم البشر في جميع تطوراته ويعبر عن الحياة في جميع صفحاتها ويبارى اللغة في جميع اطوارها .

واللغة العربية كغيرها من اللغات تطورت على مرور القرون تطورا قسمها الى قسمين لغة القاموس ولغة العامة . الا ان الفرق بينهما وبين غيرها هو ان اللغات الاخرى جمعت شملها حكوماتها المستقلة وافادها التطور . ومن العوامل في جمع شملها مكافحة الامية وتهذيب القواعد صرفها ونحوها وبلاغتها ، واستعمال المؤلف من الالفاظ وترك المهجور منها ، والجمع بين رقة اللفظ وجزالة المعنى والسير في اساليب البيان مع التطور الاجتماعي المستمر بحيث اصبح لكل سنة قاموس خاص بها يختلف عن الذي قبلها بزيادة الالفاظ الحديثة .

وبهذه العوامل استطاعت ان تؤلف بين لغة الخواص ولغة العوام الا فيما له علاقة بالعلوم العالية . وان تعاقب الحكم الاجنبي على البلاد العربية اكان من نتائجه العناية بلغة الحكم واهمال لغة البلاد وانتشار الامية الى اقصى حد .

فتشعبت اللغة واختلفت اللهجات ، حتى اصبحت لهجة المدن غير لهجة البادية ، ولهجة البادية مختلفة باختلاف العشائر والقبائل ، وباختلاف

الاصقاع ، وعز التآلف والتفاهم بين البدو والحضر وبين طبقات البدو انفسهم وابتعدت الاكثرية الساحقة عن الحضارة ابتعادا جعلها تحاكي الانسان الاول في مناحي الحياة .

ولولا ان العربية هي لغة الدين لتناكرت حتى طبقات الخواص من اقليم الناطقين بالصاد . لان التطور اللغوي تمشى في كل قطر مع الحالة الاجتماعية والسياسية في ذلك القطر وهي تختلف عن الحالة في القطر الآخر ولا تختلف امة من امة الغرب في طبقاتها وامصارها واريافها من هذه الناحية ، واذا ما وجد شيء من التفاوت في لغة من لغاتها فانه منحصر في كلمات معدودة هي بقايا عهد الانقسام وقد تناولتها القواميس ، وفي نبرات حروف معلومة لا يتغير بها وضع الالفاظ فضلا عن الالتباس في المعاني .

ولا يتسنى للامة العربية السير على قدم الامم التي سبقتها في طريق الاصلاح مالم تتحرر ارادتها وسياستها من كل سلطة اجنبية .

اما في موقفها الحاضر فقد نفيها المعالجة من ناحية التلقين باللغة التي يفهمها القوم . والشعراء خير واسطة لهذه المعالجة اذا كانت لهم جرأة ادبية يستمدون منها القوة والثبات مهما اصابهم من ارهاق لان السلطة الاجنبية من شأنها ان تحطم كل عمل يبعث اليقظة والانتباه .

ولعل ذلك هو الذي دفع الاستاذ (الكرخي)^(١) الى ان يثور ثورة ادبية ويصدر (الكرخي) ويضمنه بذامن المواضيع الاجتماعية وبعض الوقائع نظما ونثرا وينبه الى حقائق مجهولة لدى العوام من طريق الجد والهزل

(١) عبود الكرخي : ولد سنة ١٨٦٦م . ينتسب الى عشيرة ابو سلطان من قبيلة زبيد ، شاعر شعبي مشهور عرفته الاوساط الادبية والشعبية بشعره الوطني والسياسي والاجتماعي وقد مارس الصحافة الشعبية ومن جرائده التي اصدرها : الكرخ ، صدى الكرخ ، صدى التعاون ، المزمار ، الكرخي ، الملا . وكانت له مطبعة مجاورة لداره في محلة الصالحية اسمها مطبعة الكرخ . توفي الى رحمة الله في ١١/٩/١٩٤٦ .

تتخللها النكت المستزرفة وضروب الامثال العامية الموقعة احسن توقيع •
 جمع في اسلوبه بين لغة العوام وما يقارب اللغة الفصحى تدريجاً
 للعوام على الفصيح من القول وهو اسلوب حديث في الادب العربي ،
 والادب العامي في بلاد تتغلب عليها الامية لا يقل شأنًا عن ادب الخواص •
 تناول في نظمه ونثره الوصف والمدح والثناء والنقد والتفنيد والمزاح
 ولم يترك فرصة الا انتهزها للتبنيه الى ماشد عنه القوم ، واحسن واجاد
 لولا الشطحات التي قلما سلم منها شاعر طرق باب المجون •
 ومن خصائص شعره انه تتناقله الالسن وتتطلع اليه الاسماع • اما
 ديوانه فلم يدون فيه الكثير مما هو محفوظ في الصدور وربما طوى رعاية
 للظروف • فاذا ما ساعدت الاقدار على نشر ما طوي منه فعندئذ يقدر شعر
 الكرخي حق قدره •• ولكل مقام مقال •

فهمني المدرس *

بغداد - ٢٣ حزيران ١٩٣٣ •

→ (*) مقدمة ديوان الكرخي الجزء الاول الطبعة الثانية - مطبعة

المعارف - بغداد ١٩٥٦ •

رأي الأستاذ فهمي المدرس

في كتاب « رسائل التعليقات » لمعروف الرصافي

(عندما أصدر الشاعر الكبير معروف الرصافي كتابه « رسائل التعليقات » وثار حول ضجة اتهامه بالكفر ، أو عزت السلطات المسؤولة يومذاك الى مدير الاوقاف العام ليستطلع رأي نخبة من علماء الدين ورجال الفكر في الكتاب ، كان الاستاذ المدرس في طليعتهم ، وهذا جوابه)

بغداد في ١٩٤٤/٣/٦

صاحب السعادة حضرة مدير الأوقاف العام المحترم

جواب كتابكم المؤرخ ١٩٤٤/٢/٢٦ والمرقم بعدد ٢٢٧٨

يحتوي كتاب الرصافي على ثلاثة فصول • الفصل الاول في (وحدة الوجود) التي هي اساس التصوف ، اي الفلسفة الاسلامية ، فد الرصافي في هذا الفصل مزاعم زكي مبارك حول مصطلحات السعادة الصوفية وشرحها شرحا يزيل الشك والابهام ، ويزيد القارئ ايمانا بعظمة هذا المذهب • وهذا البحث الدقيق الفلسفي انما يفهمه أهله ، لا الذين يقتصر اشتغالهم على كتب الجادة ولم يترقوا باب الفلسفة • على ان مبادئ التصوف كانت مثار النزاع بين علماء الظاهر (اي الفقهاء) وبين علماء الباطن (أي الصوفية) منذ ان انتشر مذهبهم على أثر تعريب الفلسفة اليونانية في عهد المأمون ، حتى ادى النزاع الى تكفير بعض المشايخ الصوفية واهانتهم ، فلا غرابة فيما لو كانت تعليقات الرصافي في هذا الباب مبعث التحامل والانتقاد ولاسيما في هذا العصر الذي اندرست فيه معالم التصوف وعز نصيره •

ويلى هذه التعليقات البحث عن الحق والباطل والخير والشر والبحث
بعد الموت والثواب والعقاب والجنة والنار ، فى معرض مناقشته الدكتور
الموما اليه (الدكتور زكى مبارك) ، ومن المعلوم ان علماء الدين ذهبوا
فى المسائل مذاهب شتى ، ومنهم المعتزلة والصوفية ، والرصافي اخذ
بمذهب الصوفية ♦

والفصل الثانى : رد على ادعاء زكى مبارك بعدم وجود الشر الفنى
فى العصر الجاهلى ، وهو بحث ادبى لا علاقة له بالدين ♦
والفصل الثالث : تعليقات على كتاب « التأريخ الاسلامى » لمؤلفه
السيور كايثانى حول بياناته المخالفة للحقيقة والواقع ، لفقها هذا المستشرق
اما جهلا منه ، واما اراد بها الحط من كرامة الرسول (ص) وقد كان
الرصافي فى تعليقاته عليها موقفا ، واما استشهاد الرصافي بيت المعرى
(صفحة ١٧٥) فاما استشهاد به التحليل غريزة الانسان لا لغرض شائن
كما يزعم البعض من حملة العلم الناقص ، والعلم الناقص قد يوقع صاحبه
فى الضلال ♦

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

اذ لا يعقل ان رجلا يدافع عن الاسلام والمسلمين وعن شخصية
سيد الاولين والآخرين ، دفاعاً جيداً ، ثم ينقض دفاعه المجيد بهفوة لا تغتفر ♦
وبالاجمال لم يظهر لنا فى تعليقات الرصافي ما يمس كرامة الدين ،
بل ظهر لنا انه قوى الايمان بالله ورسوله ، راسخ الاعتقاد بما جاء به القرآن ♦
ومن كفر مسلماً فقد كفر ♦♦ وقد اعدنا فى طيه النسخة الاصلية ولا ارغب
فى نشر جوابي هذا ♦♦ وتفضلوا بقبول الاحترام ♦♦ سيدي (١) ♦

فهيمى المدرس

(١) تفضل الاستاذ محمد ناجى القشطينى فزودنا بالنص الكامل

لجواب الاستاذ فهيمى المدرس ♦

نص استقالة الأستاذ فهمي المدرس
من عضوية الهيئة الادارية المركزية
للحزب الوطني العراقي

•• حضرة مدير الاخاء الوطني

أرجو ان تنشروا في صحيفتكم انسحابي من عضوية الهيئة الادارية

المركزية للحزب الوطني ولكم مزيد الاحترام •

فهمي المدرس *

(*) جريدة الاخاء الوطني العدد ٦١٥٤ السنة الثالثة ١٢ شباط ١٩٣٤

• ٢٧ شوال ١٣٥٢ •

تص استقالة الأستاذ فهمي المدرس
من مديرية المعارف العامة

صاحب المعالي حضرة وزير المعارف المحترم

أرجو ان تقبلوا استقالتي من مديرية المعارف العامة ولكم التفضل
والمنة سيدي *

فهمي المدرس *

٣٥/٨/٢٨

(*) عن الملفة الشخصية المحفوظة في المجمع العلمي العراقي *

جامعة آل البيت
دائرة الأمانة
رقم ١

صاحب المعالي حضرة وزير الأوقاف المحترم

سيدي المحترم

أقدم لمعاليتكم طيه ورقة بامضاء ساطع بك الحصرى مدير المعارف العام تحتوى على بعض ملاحظات تخص نظام جامعة آل البيت لم افهم منها شيئاً ، غير أنني اظن ان حضرة الموما اليه بعد اظهاره الموافقة في حضور الهيئة المجتمعة على صورة النظام المعدلة رغب في ان يبقى وحده مخالفًا وان لم يبق محل لمخالفته . أما النظام - كما هو معلوم لدى معاليتكم - فقد أقرت اللجنة الوزارية في مذاكراتها التي استمرت يومين قبوله بانضمام آراء ذوي الاختصاص الذين أحضرتموهم في المذاكرات من مدرسي الحقوق وغيرهم ووقع عليه عامة الاعضاء الذين حضروا الجلستين ووافق عليه مدير الصحة العامة ومفتشها لعلاقتها بشعبة الطب ، ولم يبق الا عرضه على مجلس الوزراء للمصادقة عليه . والامر لمعاليتكم سيدي .

١ حزيران ١٩٣٤

أمين الجامعة
فهيمى المدرس

جامعة آل البيت

دائرة الأمانة

رقم ٢

صاحب الفضيلة حضرة أستاذ الزهاوى وكيل المدير فى

مدرسة الحقوق المحترم •

قرأت فى احدى صحف العاصمة ان قد تألفت لجنة للنظر فى وضع نظام لمدرسة الحقوق ، وبما أن مدرسة الحقوق اصبحت شعبة عالية من شعب جامعة آل البيت ، وقد وضع بالارادة السنوية نظام عام للجامعة اقرته اللجنة الوزارية المحترمة المؤلفة بقرار مجلس الوزراء من حضرات اصحاب المعالي وزير العدلية ، وزير الاوقاف ، وزير الاشغال ، وزير المعارف بانضمام آراء اساتذة الحقوق الأفاضل كحضرة رؤوف بك الجادرجي وحكمت بك سليمان ويوسف افندى عطاء وحضرة ساطع بك الحصري مدير المعارف العام وحضرة مستر سميت المفتش العام فى المعارف وغيرهم من الاختصاصيين الذين لهم علاقة بشعبة الطب وغيرها من شعب الجامعة • وقد اطلعتم فضيلتكم ايضا عليه عندما تلي فى مجلس شورى الاوقاف ولم يبق سوى حل الخلاف فى تعيين السلطة على الجامعة فعرض بحسب قرار اللجنة الوزارية المحترمة على مجلس الوزراء الموقر للقطع بها ولا اظن انه يتأخر اكثر من بضعة ايام ، فالرجاء من فضيلتكم عرض ذلك على من لم يحط علما بواقع الحال من اعضاء اللجنة المحترمة •

٧ حزيران ١٩٢٤

أمين الجامعة

فهمي المدرس

جامعة آل البيت

دائرة الأمانة

رقم ٣

صاحب المعالي حضرة وزير الأوقاف المفخّم

سيدي المفخّم

قرأت في إحدى صحف العاصمة ان قد تألفت لجنة لوضع نظام
لمدرسة الحقوق ، وبما ان مدرسة الحقوق كما هو معلوم لدى معاليكم
اصبحت شعبة عالية من شعب جامعة آل البيت وهي فيما يتعلق بالمواد
العمومية تابعة لنظام آل البيت الذي اودع من قبل معاليكم الى مجلس الوزراء
الموقر للمصادقة عليه ، فلذا أرسلت بذلك كتابا الى وكيل مدير مدرسة
الحقوق ليطلع اعضاء اللجنة عليه ، قدمت صورته طي عريضتي هذه فالرجاء
من معاليكم بيان الكيفية الى وزارة المعارف لثلا يقع أمثال ذلك مما يخل
بهذه المشاريع المقررة ، والامر لمعاليكم سيدي ..

٧ حزيران ٩٢٤

أمين الجامعة
فهمني المدرس

جامعة آل البيت

دائرة الأمانة

رقم ٧

صاحب المعالي حضرة وزير الاوقاف المفخم

من المعلوم لدى معاليكم ان التدريسات في جامعة آل البيت تبدأ في ١٥ أيلول ١٩٢٤ وقد ضاق الوقت على تهيئة الأسباب المتوقف عليها فتح الجامعة كاتتخاب المدرسين ، وتعيين الموظفين ، واعلان شروط القبول للطلاب ، وفي جميع انحاء القطر العراقي ، وتقرير الميزانية ، والتأنيث ، والتنوير ، وتأمين وسائل النقل وغيرها ، ومعظم ما عرضته متوقف على تصديق النظام المودع للمصادقة عليه الى مجلس الوزراء الموقر ، وانه يتعذر فتح الجامعة في اليوم المذكور اذا تأخر البدء بالعمل ازيد من ذلك . وعلى كل فالأمر لمعاليكم سيدي *

٢٠ تموز ٩٢٤

أمين الجامعة
فههي المدرس

جامعة آل البيت

دائرة الأمانة

رقم ٨

صاحب المعالي حضرة وزير الاوقاف المفخم

بعد ان قررت اللجنة الوزارية المنعقدة تحت رئاسة معاليكم مواد النظام العمومية لجامعة آل البيت وقدمته الى مجلس الوزراء للمصادقة عليه قرأت في صحف العاصمة ان وزارة المعارف ألفت تحت رئاسة مدير المعارف العام حضرة ساطع بك الحصري لجنة لوضع نظام لمدرسة الحقوق التي هي احدى شعب الجامعة .

فحذار من أن تضع هذه اللجنة مواد تعارض المواد العمومية التي قررتها لجتكم العالية عرضت الكيفية على وزارة الأوقاف في ٦ حزيران ١٩٢٤ في اخبار وزارة المعارف ، وكتبت الى مديرية المدرسة باعلام اعضاء اللجنة بذلك . والآن بلغني ان هذه اللجنة وضعت من المواد ما يعارض مقرراتكم العالية ، فالرجاء من معاليكم عندما يعرض هذا النظام على مجلس الوزراء الموقر العناية بتطبيقه مع نظام جامعة آل البيت الذي قررتموه لئلا يتخذ قراران متعارضان .

وعلى اكل فالأمر لمعاليكم سيدي .

٥ آب ١٩٢٤

أمين الجامعة
فهمي المدرس

جامعة آل البيت

دائرة الأمانة

رقم ٩

صاحب المعالي حضرة وزير الاوقاف المفخم

اقدم لمعاليتكم طيه صورة العريضة التي قدمتها في ٢٠ تموز ١٩٢٤ الى
مقامكم العالي مستلفتا انظاركم نحو مندرجاتها لان الوقت لم يبق فيه متسع
لاعداد ما يتوقف عليه فتح الجامعة .

والأمر لمعاليتكم سيدي

٥ آب ١٩٢٤

أمين الجامعة
فههي المدرس

جامعة آل البيت

دائرة الأمانة

رقم ١١

فخامة وزير الأوقاف ورئيس اللجنة الوزارية المفخم

أقدم لفخامتكم طيه جوابا على ملاحظات مدير مدرسة الهندسة ، ومدير المعارف العام ، ومدير الحقوق فيما يخص تشكيل جامعة آل البيت •

وعلى كل فالأمر لفخامتكم سيدي •

١٦ ايلول ١٩٣٤

فهمني المدرس

جواب على ملاحظات مدير الهندسة

١ - بين حضرة المدير في ملاحظاته ان من موانع نقل مدرسة الهندسة الى بناية الجامعة صعوبة انتقال التلاميذ منها كل يوم الى مدرسة الصنایع من اجل التطبيقات •

قلنا : ان السبب بذاته موجود الآن في مدرسة الهندسة ، لأن مدرسة الهندسة ليست بالقرب من مدرسة الصنایع ، وانما هي خارج المدينة في محطة بعقوبة البعيدة عن باب المعظم بمسافة لا تختلف كثيرا عن مسافة الجامعة •

٢ - وعند بيانه المانع الثاني قال : ليس في الجامعة من الضياء ما يكفي لتخطيط الخرائط •

فقول : الجامعة مؤسسة فى ساحة تحتوى على اربعمائة الف متر مربع ، ولم يكن من ضرورة تضطر المهندس الى ان يجعل غرفها مظلمة ، والمهندس متخرج فى مدارس عالية وهو بارع فى صنعه ولقد هندس البناء على ان يكون مدرسة وهو من العارفين بدرجة الضياء المحتاج اليها التلميذ ، وان الغرف فى الجامعة تنقسم الى قسمين : قسم تدخله الشمس من الصبح الى الظهر ، وقسم تدخله من الظهر الى المساء ، وتنفذ اشعتها فى اعماق الغرف بدرجة زائدة يستحسن تقليلها بواسطة الحجب لئلا تشوش النظر ، وليس فى الجامعة محل قليل الضياء ، سوى الرواقين المتوسطين فى الطبقتين التحتانية والفوقانية وهما ليسا من اماكن الدرس ، وانما هما من مواقع القيلولة ، وان باقى الاروقة ايضا لاتفارقها الشمس ، ومن الممكن تعيين درجة الضياء فى مدرسة الهندسة الحالية وفى غرف الجامعة بواسطة الفنيين الاختصاصيين والمقايسة بينهما • ولم يتوصل الفن الى ان يكشف قوة من الضياء اقوى واوسع من ضياء الشمس ، ولا الضياء الكهربيائى يساويه فى القوة والاتساع ، ومن المحتمل ان حضرة المدير زار الجامعة فى وقت لم يتمكن فيه من تعيين درجة الضياء ، ومع هذا فان اضاءة الجامعة بالضياء الكهربيائى من الامور المقررة ••

٣ - والمانع الثالث فى نظره هو انه عقد مقابلة مع مدرسة الصناعات لاطعام التلاميذ ، وعلى تقدير نقل المدرسة يجب فسخ المقابلة •

فقول : ان المقاولات التى تكون من هذا القبيل تنسخ بذاتها اذ لم يبق لها لزوم فكيف والضرورة الموجبة لفسخها من الضرورات المشروعة ، واية ضرورة اقوى حجة من ارادة الحكومة تشكيل امر عام نفعه • ومدرسة الصناعات هي من مدارس الحكومة ، ولهم يأكل التلاميذ ذلك الطعام الذى عقدت المقابلة من اجله ، وان كانوا قد اكلوا منه شيئا فمن الممكن تأدية ثمن ما اكلوه ، ولا يترتب على فسخ المقابلة ضرر ، ولا تبعه ، وان جامعة

آل البيت تتعهد بطعام التلاميذ بأحد امرين : اما ان يأكلوا مع تلامذة كلية الامام الاعظم ، واما ان يأكلوا من مطبخ الجامعة ، وهو مطبخ عامر .
٤ - والمانع الرابع عنده هو انه لهم يجد في الجامعة محلا صالحا لمنام التلاميذ .

فقول : ان في الجامعة ٢٨ غرفة واسعة اكل واحدة منها تصلح لان تكون محلا لمنامهم والتلاميذ - على ما نظن - لا يتجاوز عددهم ١٧ تلميذا هذا في الشتاء ، واما في الصيف ففي الجامعة سطح مرتفع واسع يسع اثنتان من السرر .

٥ - والمانع الخامس عنده هو الوسائط الثقيلة .

فقول : ان الوسائط هي عين الوسائط التي يستعملها الطلاب والمعلمون في الحال الحاضرة من الذهاب الى مدرسة الهندسة الحالية ، والاياب منها ، لان بناية مدرسة الهندسة ، كما عرضنا بعيدة عن المدينة ايضا ، على ان طريق الجامعة اسهل من طريق مدرسة الهندسة ، والكشف والاختبار يبينان ذلك .

٦ - بقي هناك سبب واحد يستحق الذكر والبحث ، وهو كون المدرسة ابتدائية لا تصلح لان تلحق بالجامعة .

فنجيب على هذا : بان الجامعات - كما لا يخفى على حضرة المدير - لا تخلو من صفوف تجهيزية تؤهل الطلاب الى الشعب العالية ، ومن الضروري عندنا ان يكون لكل شعبة من الشعب العالية مدرسة استعدادية خاصة بها لان ما تحتاج اليه الشعبة الدينية من ملكة التلاميذ غير ما تحتاج اليه شعبة الهندسة ، وكذلك الامر في باقي الشعب ، ونقلها الى الجامعة لا يخل بتشكيلات الجامعة ، ولا يؤثر عليها شيئا ، ففي الجامعة من الشعب ما يكفي لاطلاق اسم الجامعة عليها وهما شعبة الحقوق ، وشعبة العلوم الدينية ، ومتى ما اجتمع شعبتان تألفت الجامعة ، هذه هي الاصول المتبعة

في جميع جامعات العالم ، ولم يخبرنا تاريخ الجامعات بأن جامعة تألفت
شعبها أجمع في يوم واحد ، أو في سنة واحدة ، وانما ذلك من الامور
التابعة لقانون التدرج •• فان الجامعة الاميركية مضى عليها خمسون عاما
ولم يكن فيها سوى شعبة واحدة وهي شعبة الطب ، ولذلك لم يطلقوا
عليها اسم الجامعة الا في العام الماضي بعد ان الفوا فيها شعبة الآداب والعلوم ،
وباقى معاهدها لم تتجاوز درجة الصفوف الاستعدادية ، وفيها القسم
الابتدائي ايضا ، وكان اطلاق اسم الكلية عليها من باب التوسع ، والتغليب ،
ولا يمكن تشكيل الجامعة الا بهذه الصورة •

٧ - واما قوله : ان مدرسة الهندسة مؤسسة لمقصد خاص وهو
تخريج موظفين الى دائرتي الري والاشغال •• فذلك لا يمنع نقل المدرسة
الى الجامعة ، ولا يمنع تشكيل الصفوف العالية فيها ، ولا يدخل بالمقصد
المنوه عنه • فان الصفوف الثلاثة الحالية لا تتغير حالتها ، اي يستخدم
متخرجوها في عين المقصد ان شاءت وزارة الاشغال ، والمتخرجون من
الصفوف العالية يستخدمون في وظائف اسمى واعلا ••

هذا جوابنا على ملاحظات مدير الهندسة المحترم

واما ما جاء في جوابي مدير المعارف العام ، ومدير كلية الحقوق فانه
ينجر الى الوسائط الثقيلة •• ولا نظن ان حكومة تؤسس مؤسسة عظيمة
لها علاقة بحياة البلاد ، وتتفق عليها المبالغ الوفيرة ، وعندما يتم العمل
تظهر العجز في امر متوفرة فيه الوسائط فتترك مجالا لان يقال : فلماذا لم
تفكر الحكومة في الامر قبل التأسيس ، وقبل انفاق المبالغ الكثيرة ،
والحكومة هي عين الحكومة المؤسسة وان اختلفت فيها رجال وزارتها؟!!

على انه لا يصح انشاء الجامعة داخل المدينة لما تحتاج اليه من
الشروط التي لا توجد في المدينة ، منها السكون ، والبعد عن الضوضاء ،
وجودة الهواء ، وسعة المحل ، وبهاء المنظر وغير ذلك •

ومن المستحيل تأسيس جامعة في محل يكون قريبا من محل الحكومة،
ومن دور المدرسين ، ومن منازل الطلاب ، ومن مساكن المستمعين ، فانها
اينما تؤسس لابد وان تكون بعيدة عن قسم وقرية الى غيره . . . ولا تبقى
المدينة على حالة واحدة بل هي تتوسع فتختلف الابعاد فيها ، ولا تعد
الوسائط الثقيلة مع توفرها من اهم الموانع ، بل هي من اخفها ، فالاولى ان
يعهد بها الى لجنة من الخبراء تنظر في صورة حل لها . . . والامر لمن
له الامر .

فههي المدرس

١٦ أيلول ١٩٢٤

جامعة آل البيت

دائرة الأمانة

رقم ٤٧٩

صاحب المعالي حضرة وزير الاوقاف المحترم

جواب كتاب معاليكم المؤرخ ٢٣ كانون الثاني ١٩٢٨ والمرقم بعدد ٩٨٣٥^(١) جاء انذاركم وكان غير منتظر من حيث المادة ومن حيث الاسلوب فالنظام لا يحتم على امين الجامعة الممثل للحكومة فيها ارسال كشف طبي ولاسيما لمرض يوم او يومين ، والجامعة لم تبلغ من قبل قرارا وزاريا بذلك، ولو ان مجيئكم سبقه الاعلام ب (المسرة) - حسب عادتكم المستحسنة - لعرض المراقب على معاليكم عذري الشرعي اذا كان الغرض من الزيارة مقابلي . اما الاسراع الى الانذار عقب رجوعكم من الجامعة بدون فاصلة، وبدون ان يكون في الوقت متسع للتثبت من الامر ، وبذلك اللهجة الشديدة في حين ان النظام الاداري - كما شاهدتم - كان سائرا في الجامعة سيرا مرضيا على الوجه الاتم فلم ار له موجبا قانونيا يحملني على قبوله ، ودمتم باحترام سيدي

٣٠ كانون الثاني ١٩٢٨

أمين جامعة آل البيت

فهمي المدرس

(١) كان نص الانذار الموجه الى المدرس ما صورته: (الى امانة جامعة آل البيت . انني جئت الجامعة اليوم فلم أجدكم ولم أجد الكاتب أيضا وبما ان الموظف ملزم بان يحضر في محل وظيفته طول مدة الدوام وانه مكلف بان يخبر مرجعه فيما اذا حصل له مانع وان يعزز الاخبار بكشف طبي اذا كان التأخر ناشئا عن مرض فيجب أن لا يتكرر الحال بعد الآن) .

أحمد الداود

وزير الأوقاف

مديرية الاوقاف العامة

الموضوع : ترفيع طلاب

بالاشارة الى كتابكم المرقم ب ٧٩٤٣/٢٥٨٣ والمؤرخ ب ٢٨ تموز ١٩٣٧ ان النظام المبحوث عنه غير معمول به لدى دائرة الاوقاف بدليل المخلفات الآتية :

(١) نصت المادة الثانية نفسها على ان :- (تنقسم دار العلوم الدينية والعربية الى دورتين تتألف الاولى من ثلاثة صفوف وتتألف الثانية من ثلاثة صفوف أيضا على ان يتخصص طلابها باللغة العربية والدين وأصول التربية والتعليم) وفي العام الماضي ألغت دائرة الاوقاف الصف الرابع وعاية للاقتصاد . وجعلت الدورة الثانية منحصرة في الصف الخامس فقط فتعذر التخصص المذكور .

(٢) ونصت المادة الثامنة عشرة على ان :- (السنة التدريسية تسعة أشهر) وفي العام الماضي أخرجت فتح المدرسة حتى نزلت هذه المدة الى ستة أشهر وتعذر اشتراك طلاب الصف الثالث في امتحان البكالوريا .

(٣) واشترطت الفقرة السادسة من المادة التاسعة (أن يتعهد الطالب باكتساء الكسوة العلمية داخل المدرسة وخارجها) ولم تنفذ هذا الشرط وهي المتعهد في المادة العاشرة باكسائهم لان ذلك يتطلب زيادة في النفقات .

(٤) ونصت المادة العاشرة على ان :- تقوم مديرية الاوقاف العامة باعاشة واكساء ما لا يقل عن (٩٠) طالباً وقد وضعت في ميزانيتي عام ١٩٣٧-١٩٣٦ و١٩٣٧-١٩٣٨ نفقة لسبعين طالباً وعاية للاقتصاد .

(٥) واشترطت الفقرة الثانية من المادة العاشرة على ان :- (يتعهد كل طالب قامت المديرية باعاشته واكسائه بضمان ما يصرف عليه مدة

بقائه في المدرسة ، فيما اذا خرج قبل أن يتم الدراسة فيها) ولم تنفذ هذا الشرط وهي التي كانت تقبل الطلاب وتأمّر ادارة دار العلوم بتسجيلهم فصار كل طالب حراً في البقاء وعدمه لا مانع يمنعه من ترك المدرسة متى شاء ، ومن هذه الناحية أيضاً تعذر النخص المنصوص عليه في المادة الثانية . فبالنظر الى ما عرضناه من المخالفة للمواد الاساسية لم يبق للنظام حكم حتى يتقيد الطلاب بما جاء في المادة الثانية منه حول ترفيعهم الى الصف الرابع ، ودائرة الاوقاف نفسها لم تعمل بهذه المادة .

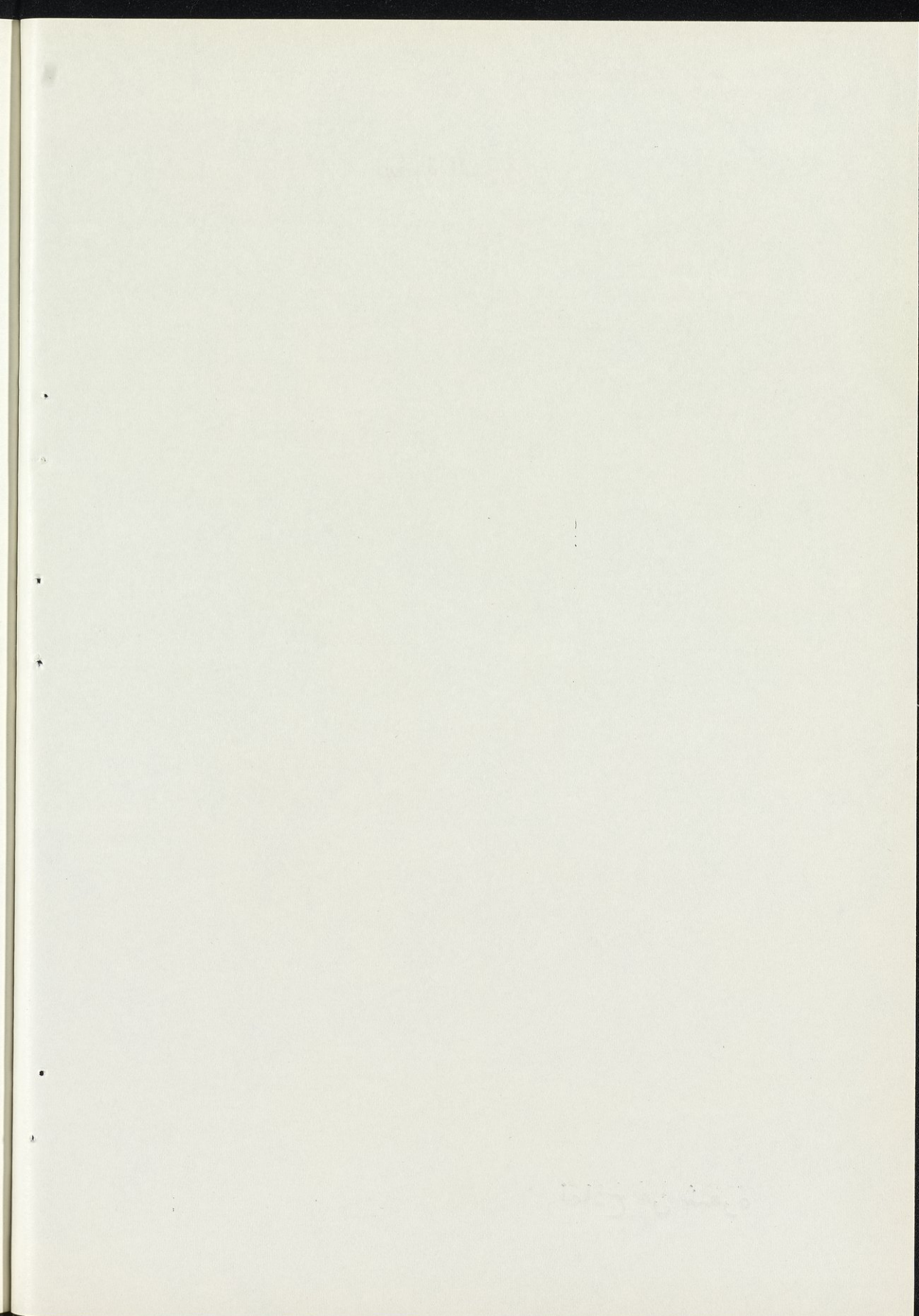
وبما ان الصف الرابع سيفتح في السنة الدراسية القادمة طبقاً لأحكام النظام الجديد الذي لم يقيد طلاب الصف الثالث بامتحان البكالوريا لم يبق مانع لترفيعهم .

والأمل معقود على أن يصدر النظام الجديد - بمساعيكم المشكورة - قبل حلول السنة الدراسية ليداع في الصحف ويجرى قبول الطلاب بموجبه وتقوم التشكيلات العلمية على أساس صحيح يحقق الغاية المقصودة من تأسيس هذه المؤسسة التي مّر عليها (٢٥) عاماً تقلبت في خلالها بين مختلف الانظمة والمناهج والعناوين ولم تبلغ الغاية المنشودة ، حتى هبطت ميزانيتها من ثمانين ألف روية الى (٢٨١٣) ديناراً وأصبحت - لمجرد الاقتصاد من مخصصاتها - لا هي عربية ولا دينية ولا ثانوية على حدة ، مجردة من جميع لوازم التعليم ليس فيها مكتبة ، ولا مختبر ، ولا متحف للتاريخ الطبيعي ، ولا مرافق تسد الحاجة ، ولا نظام معمول به ، ولا منهج ثابت للتدريس ، سوى مطعم ذليل ومنام أذل وطلاب بؤساء يترقبون العطف من أولياء الأمور .

وعسى أن تنال في أيامكم وفي عهد الوزارة الحاضرة القائمة على أساس الاصلاح العام أقصى ما يمكن من المساعدات المادية والمعنوية وتكون بحق (دار العلوم الدينية والعربية) المفتقرة اليها البلاد أشد الافتقار .

فهومي المدرس
مدير دار العلوم

نماذج من شعره



نهضة الشرق

(نظم الشاعر هذه القصيدة وهو ملتفت الى ماضى
الشرق الزاهر وحاضره وكيف تكون نهضته موقناً بان
لا حياة للشرقيين بغير العلم والقوة وقد رنا بطرفه نحو
(جامعة آل البيت) التي علفت عليها الآمال لدى
تأسيسها)^{١٠}

« البلاد »

ماذا يحاول من يعادى (المعهدا)
فى كل قطر منه قام مجدد
يطوي السنين بلمحة فيريك من
للمصلحين الثائرين بأرضه
لا يهجع الشرق الجديد ولا يني
من نام عن كيد الأعادي أحقبا
يا غافلا عما يراد به أفق
ساروا كأسراب القطا بين النجو
يا شرق جدد ما استطعت عسى الذى
ودع الغيبي يخوض فى غمراته
أقم الصروح على الجماجم مثلما
« ما المجد للملك الهمام بخالد

والشرق أصبح نائراً متجددا
دبكت عزائمه الجبال الركدا
عهد التجدد كل يوم مشهدا
عزم أبى الآ المجرة مقعدا
فى عزمه حتى يعيد السؤددا
فتكت به أنى له أن يرقدا
من غمرة السكرات فالحادي حدا
م ، وأنت بالعرجاء تحبب المدى
ضاق الخناق عليه ان يتهددا
فلقد أراد الله ألا يرشدا
ملك العراق أقام هذا المعهدا
الآ اذا رفع الصروح وخلدا »

* * *

يا صرح آل البيت فيك قد انطوى
مجد عناصره اذا حلتها
كالنسر حلق فى الفضاء وما له
والشمس ما طلعت على عرصاته
سهرت عليه للاسود نواظر
للمجد دهر ، ثم دهر للردى
تجد المهند ، والنهى والعسجدا
وكر سوى التيجان راح أو اغتدى
الآ اكتست ثوب الفخار مجددا
رصدت عيوننا للعدى لن ترقدا

مجد أبى الاله الحسام معاهداً
 مجيد اذا صورته للناظريـ
 واذا رسمت السعد في مثاله
 كشفت له الأقدار أمراً خارقاً
 مجد بذرات الأنير تالألات
 لو كن للانسان علم كامل
 ولشاهد التاريخ في ادواره
 جمعت مناظره تفاصيل العلا
 عن كل قرم لم يناوىء ملكه
 عمن اذا نفروا سمعت زيرهم
 عن تبع ، عن حمير ، عن يعرب
 عن عهد قرطبة، عن الحمراء عن ال
 عن عرش هرون الرشيد عن الألى
 قدوا الملوك أذلة ، وبنوا على
 رفعوا منار العلم فى أعلا الذرى
 فى أمرهم لله سر غامض
 كف على (أورال) تبني معقلاً
 قدم بأرض الصين أحكم أمرها
 فالشرق ان نادى له بسياسة
 واذا دوى فى الأرض صوت مجاهد

وأبى بغير الحق أن يتهددا
 ن ملأت هذا الكون منه سوددا
 فأقم على فرق الثريا فرقدا
 فصغت اليه قبل أن يتولدا
 صفحاته ، وسنا علاه توقدا
 لراه فى طبقاته متجسدا
 من كل ما يحويه يعرض مشهدا
 عمن بنى الحسب الرفيع وأخلدا
 أحد ، وما عرف الغرور وما اعتدى
 يدوي بأقصى المشرقين له صدى
 عن عاد ، عن قوم تساووا محتدا
 وادي الكبير ، عن المكارم والندى
 رصفوا المقاعد لؤلؤاً وزبرجدا
 هام الملوك الى الثريا سوؤدا
 والغرب من ذاك المنار استوقدا
 ما حام دون حماه عقل واهدى
 ويد على (أفريق) ترفع مرصدا
 وعلى أديم الغرب أخرى وطدا
 خفقت بقلب الغرب أعلام الهدى
 ردت عليه الشمس انى ردا

★ ★ ★

ليس القريض معبراً عن وصفه
 ولو انني صغت النجوم معانياً
 لكن دمعي جاد بالمعنى السدي
 ما الشعر الاله دمعته رقرقة

ولو انه بكالورق ناح وغردا
 ونحت من حد الصوارم مذودا
 أعياء القريض ، فكان منه أجودا
 كادت من الزفرات أن تتوقدا

لو كان للدمع الخلود مقدرًا
ونعيت أطلالاً ونحت على العلا
مجد طواه الدهر طوداً شامخاً
يا أرض بيدي فالحياة ذميمة
لأقمت منه نائجاً ومعددا
وندت ذاك المجد حتى الحدا
لله طود صار يوماً فدفدا
ويا سماء اقلعي طال المدى

* * *

مرت قرون الحادثات كأنها
ليل أعد من النجوم رومياً
زحف البلاء بما لديه وكلمها
زحف البلاء بأرضه وسماؤه
ليل تطاول عهده فتلبددا
ومن الشعاع لها سهاماً صردا
كر الجديدان استوى متجددا
وسطا عليه بجمعه فتلددا

* * *

أمحمد ان الندى خلفته
أمحمد أدرك بطانتك التي
خان الزمان وما وعوا ففرقوا
لم يبق للعربي مأوى آمن
وبنو العطارفة الأباة أولى الندى
للعرب قد هتكت حماه يد العدى
لولاك ما بسطت على الدنيا يدا
شيعاً ، فعاد عليهم ، فاستعبدا
ياأوى اليه متهماً أو منجددا
ذلوا لزاد من عدو يجتدى

* * *

يا صرح آل البيت تلك مفاخر
فمن المروعة ان تكون مواسياً
رثت حياة القوم فابعت منهم
حسب العراق من القديم عصابة
ما للحياة سوى ربوعك منهل
ان الذي ألف القديم مقلدا
والعلم يستقصي الحياة ولم يزل
ولواعج أجملتها مستطردا
ومن الشهامة أن أراك مجددا
خلقاً جديداً فالزمان تجددا
شهدت عواقبها القرون على مدى
طابت ربوعك للمعالي موردا
والحر يأبى ان يعيش مقلدا
يجتث منها ما أضر وأفسدا

والعلم يفتح للعقول مغالطاً
والعقل مفلوج اذا أهملته
(والعلم يرحل عن ديار أهلها
وقف التطور عندها مترددا
والعقل فعال اذا ما زودا
تركوا العقول رهينة بيد العدى)

★ ★ ★

كل الشعوب تحررت من رقها
ما كان حقاً يا ابن خير أرومة
ولقد ورثت وأنت أول وارث
ثلت عروش دونه وأسرة
الآ ابن يعرب لا يزال مقيدا
في عقر دارك أن تكون مصفدا
مجداً أقام الخافقين وأقعدا
والناس حول العرش خروا سجدا

★ ★ ★

لا يستقل الشعب حتى يرتقي
فالأرض تأبى أن تقي عرصاتها
وطوى السماء بأخصيه كأنما
ورمى بنيران الجحيم محرقاً
ان الحقوق تمردت الآ على
لا تدل الآ بالسيوف أدلة
واذا اعتمدت على العهود فكن لها
وارباً بنفسك ان تلين لحادث
والمجد لا يبلى وان عبث به
ان الحياة وديعة فاختر لها

أفق السماء محلقة ومهددا
غير الذي بين النجوم استوصدا
يطوي طريقاً في السهول معبدا
ومهددا ، ومقتلاً ، ومبدا
من جرد العضب الصقيل وجندا
فالحق من حد السيوف تولدا
يا عاقداً بالمرهفات مؤيدا
فلكم وميض في الرماد توقدا
أيدي الطغاة فقد يعود كما بدا
إما السها وطناً ، وإما المرقدا

★ ★ ★

يا صرح آل البيت كل رزية
لك نسبة للمهاشمي وآله
فاسلم وعش يا صرح انك خالد
لابد يوماً أن تلاقي مسعدا
أكرم بها من نسبة لن تجحدا
ومن ارتقى للعرش عاش مخلدا

ان الذى فقد الحجى حرم الهدى
ولو انهم علموا لكنت المقتدى
كي لا تجدد للعروبة سؤودا
من عزمه لكنها لن تغمدا
فالحزم يكظم تارة مترصدا
يا صرح آل البيت يلقاه غدا

واعذر اذا خبط الجهول برأيه
جهلوا مقامك فاصطبرت ولم تهن
بنوا جبائل حول ربك ضلة
والشرق جرد للحياة صوارماً
لا يخذعن الحلم غراً شامتاً
ولكل ذي عمل جزاء عادل

(حارث*)

(*) جريدة «البلاد» البغدادية العدد ٢٠ الاثنين ٢ كانون الاول ١٩٢٩
٣٠ جمادى الثانية ١٣٤٨ .

في رثاء سامي سليمان

وما ان ارى حيا له الله واقيا
ولا هارب يلقى من الموت ناجيا
واحمد كل جاءه الموت داعيا
فلم يبق ذا أمر ، ولم يبق ناهيا
ولم يبق جبارا ، ولم يبق طاغيا
فهد من الاطواد ما كان راسيا
امانا ، ولا للشامتين امانيا
وعاد على الاخلاق فاستل (ساميا)
اذا عقد الاقوام للبحث ناديا
وذاك الذي قد كان للعلم حاميا
لما جاء بيت الشعر للشعر حاويا
ولا بات ذوهم عن الهم ساليا
اذا ضلت الآراء ياموت كافيا!

هو الموت لا يبقى من الناس باقيا
قضى الموت ان لا يتقى بتميمة
فذاك سليمان ، ونوح ، وآدم
وافنى ملوكا ، ثم بأسا وقوة
ولم يبق ذا علم ، ولم يبق ذا غنى
وصال علينا حاملا كل غيظه
دهانا فلم يترك لنا بعد ما دها
بدا ناشبا بالشعر فابنزا (فكرة)
عظيمين لاتحوي الصدور سواهما
فهذا الذي قد كان لنحق ناصرا
فلولا يراع الشهم (توفيق فكرة)
ولولا (ابو الخيرات) ماعاش بائس
فمن ذا الذي ابقته بديارنا

★ ★ ★

وكل ابن انثى لا يعين البواكيا
جميعا ، كما انا فقدنا المعاليا
وقد كنت مهديا ، وقد كنت هاديا
مجيبا الى الخيرات فينا ، وداعيا
ترد به البلوى غنيا وعافيا
ولدت جميع الناس برا ، وجافيا
اخا شجن الا وكنت المواسيا
أبى الله الا ان تكون معاديا
وتجتو احتراما حثما كنت جاثيا

فيا (ساميا) ابكيت كل نجية
فقدنا بك الاخلاق والعلم والحجى
لقد كنت يا (سامي) اماما وحجة
وقد كنت برا باليتامى وراحما
وقد كنت بالبأساء خير مجاهد
يهمك شأن الناس طرا كأنما
رؤفا ، رحيفا ما اصاب مصيبة
وللنكر ، والخلق الذميم ، وللخنا
او كانت تليك العلامى سمائها

فلما نعتك الناعيات تحجبت
فطورا اعزبها واعلم ما بها
وصبرت نفسي خيفة وتجلدا

★ ★ ★

علمت بامراض القلوب مشخصاً
وحاربت بالاقلام اكل رزية
وحللت اسرار الطبيعة كاشفا
وعدت على الآداب ، والشعر ناهجا
وكانت تناغمك البدايع حيثما
فتوحي اليك الشعر حسنا مجسما
فلم ار الفاظا تميز كواعبا
لذلك ان بادرت وصف حقيقة
تصور للعنين - ان شئت - لوعة
تجذب نحو الشعر من كان معرضا
ارى الناس صرعى حول شعرك سجدا
ومثلت في تلك المعاني خلايقا
خلايق لو ان المعالي تهتدي
خلايق جاء الدين فيها مبشرا
ولو كنت تهجو كان هجوك حكمة
فوا حزني والشعر بعدك نجمة

★ ★ ★

ولما رأيت الناس ضلت عقولهم
وان دماء الناس شرقا ، ومغربا
ولم تر من تلك العلوم زواجرا
ولا الموت يتنيهم ، ولا الدين حاجز
وكلا بهذا القرن اصبح باغيا
تراق بلا اثم ، ولم تر ناهيا
ولا من دعاة الحق للحق داعيا
ولا صارم غضب يرد الدواهيا

له مهربا كيما يعيش مصافيا
اذا ما احتمى لاقى الردى ، والرواميا
اكهولا ، ولا ابقت لدينا ذراريا
وغدرت هذا العيش لله غاديا
لما كان بعض الناس للناس ماحيا
فأصبحت للموت المفرق داعيا
وغيرك مهما نال لم يك راضيا
تحف بك البشرى كما كنت جائيا
من الناس من ينعى رخيصة وغاليا

★ ★ ★

— لصدقك بالاخبار — شيخا وراويا
فهل كنت فى حجر الحقيقة رابيا؟
نجوت وما ان كان غيرك ناجيا
ولست الى غير المكارم راميا
تقدم ان شاهدت امرا منيفا
وشيخا ، وذا حلم ، وغرا ، وغاويا
لكل من الاقوام قد كنت حاميا
جميعا لقد اضحوا خليلا مواليا
اشق فؤادى لا اشق ردائيا
ولست على ميت من الناس باكيا
غيورا ، وشهما فى الملمات وافيا
لشخصك فى تلك المناقب ثانيا
وعزما ، واقداما يدك الرواسيا
لكنت لذاك الكل فردا مساويا

وضاق على المرء الفضاء فلم يجد
وفى الجو ، واقعر البحار ، وفى الثرى
وما ابقت الايام — يا ويحها — لنا
سئمت من الدنيا جميعا ، واهلها
ولو كان عقل الناس للناس هاديا
وانت الذي اعرضت عن كل منكر
رضيت من الدنيا بثوب ولقمة
خرجت من الدنيا تقيا ، مطهرا
تساوى لدينا بعد دفنك فى الثرى

تخريك التاريخ من نسل آدم
فكانت تباريك الحقيقة دائما
تنزهت عن سمع الخنا ، ولك الهنا
تصيب اذا ما كنت ترمي لحاجة
تطأطأ عند الحق رأسك مثلما
يهابك من يلقاك كهلا ، ويافعا
تنازعت الاقوام فيك كأنما
لك الترك ، والاعجم ، والعرب ، والنورى
يحق — يمينا — عند فقدك انى
بكيتك ملهوفاً وحق لي البكا
بكيتك استاذاً خيراً ، وصاحباً
اقلب طرفي فى الانام فلم اجد
رجحت بنى الدنيا وفاء وعفة ،
فلو اتنا قسنا بشخصك ذا الورى

فدينك يا (سامي) بنفسي وماليا
ولا دافع يلفي لما كان قاضيًا

* * *

سوى فضلك السامي على الناس باقيا؟
بعيني شخصا من معاليك ناعيا
واشكو من البلوى ، واملئ المرثيا
على انني سودت فيك نهاريًا
تعيد زمان اللهو بعدك ثانيًا
وكنت على الباغي حساما يمانيا
سوارى وبل تارة ، وغواديبا
فلما استوى امسى بمقدك زاويا
ولكن فقدنا امة ، واعاليا
وتلك ربوع المجد امست خواليا
يلاحقني من حينما كنت ماضيا
يهدم ركنًا للمعارف عاليًا
ام الخير؟ ام ابكي العلى والمساعيا؟
به فقدت - ويلى - وليا وواليا

* * *

تداعت اواسيه فدينك بانيا!
فألثم كفا علمتسى المعاليا
احاذر يوم الحشر ان لا تلاقيا
فتخبرنا : ان الحقايق ماهيا ؟
سواك اليها فى البرية صاغيا
فمرت طوالا كلهن لياليا
جنايات اقوام ملأن الفيافيًا

ولو بكنت تفدى بالنفوس ، وبالغنى
ولكن قضى ذو العرش انك ميت

انسى لك الفضل العظيم ولم نجد
كأننى ارى فى كل شخص نظرته
فأطرق اجلالا ، وارسل ادمعا
وسودت فيك الصحف، والعيدشاهد
وما ان ارى للعيد - ما عشت - عودة
لقد كنت مصباحا بكل مضلة
فقدناك فقد الراضعات من الحيا
وريا تروي العود كنت بارضنا
وما ان فقدنا يا (نسيب) اخا على
فتلك ديار العلم بعدك افسرت
وكيف اسلي النفس بعدك والاسى
فيا ناعيا رفقا بنا : ان نعيه
ولم ادر هل ابكي المعاهد، والتقى ؟
ام الشعب ؟ ام - ياعين - ابكي شقيقة

ويا بانيا للمقوم بيتا مصمدا
ايجمعنا يوما - وهيهات - جامع ؟
وفى الحشر هل القاك؟ - ياخل - انى
وهل عالم الارواح يجمع بيننا ؟
فقدضاق صدري عن احاديث لم اجد
احاديث أيام خلقن بلا ضحى
احاديث تمليها علي من الدما

وجوه بني الدنيا خيشا وزاكيها
 بتاريخ اعصار التوحش ناسيا
 نشرن فلم يخلق لها الله طاويا
 وابناء نوعي ، ثم نفسي ، وماليا
 مقيلا ، ولا عن اهلها كنت ساليا
 وقضيت اوطاري بها ، وشبايا
 ومن ذا رأى-قل لي-كدجلة واديا
 رأيت نعما في الجوانب جاريا
 وينسى شدا جناتها ، والمغنيا
 وطرف متى نبهته كان داميا
 ولا ارتضي في العيش الا بلاديا
 كما كنت تصغي ، او تجيب ندائيا ؟
 لقاء بني الدنيا بعيدا ودائيا
 ولا عثت يوما عنهم قط ساليا ؟
 تجيب اخا البلوى قريبا ونائيا

★ ★ ★

فتصبح في خط من الارض باليا
 فقد كان هذا النعش للحق هاديا
 اذا استجدت احيت عظاما بواليا ؟
 ونفسا ابت في المجد الا التناهيما
 ولا بد يوما ان نرد العواريا
 لك الذكر في التاريخ ما كان باقيا
 يذكرن اياما به ولياليا
 وارجع مكروبا اعزي القوافيا

احاديث شتى عن جرائم سودت
 احاديث عن عصر التمدن ذكرت
 احاديث دهر كلهن مصائب
 احاديث اوطاني ، واهلي ، وعترتي
 احاديث ارض ما رضيت بغيرها
 عرفت الهوى فيها ، وعنتت ظلها
 احاديث عن وادي الفرات ودجلة
 نسيم الصبا ما هب في جنباته
 ومن ذا الذي ينسى الرصافة والمها؟
 فلي كبد حرى اذا ما ذكرتها
 بلادي اراها في البلاد عزيزة
 فهل انت مصغ للحديث وللندا ؟
 ام استاء ذاك القلب منا فلم ترم
 وهل انت سال اخوة ما تركتهم
 اجبني ! فاني قد عهدتك دائما

يعز على الاخوان تحشى بأعبر
 فيا قبره بالله رفقا بنعشه
 ايلى الثرى كفا عهدت بناتها
 وصدرا حوى علما ، وفضلا ، وحكمة
 نعم ، هذه الدنيا حياة معارة
 فلا تبعدن ان المكارم خلدت
 وما مات من ابقى المحامد بعده
 اعزي بك الاقلام ، والصحف ، والنهي

فصبرا جميلا ايها الشعب : ان ذا
هلم بنا يا شعب ! نجتمع شتاتنا
فآلامنا شتى ، ووقتك ضيق
عليك سلام الله يا قبر ! كلما
مصاب به قد خاب ما كنت راجيا
ونأسو قروحا في الضمير دواميا
وما ضل من - يا شعب - شمر ساعيا
علا الغصن قمري وغرد باكيا

شيشلي ١٢ صفر ١٣٣٦

فهومي المدرس *

(*) نقلا عن كتاب (سليمان باشا زادة سامي بك) المطبوع في
(أوقاف اسلامية - مطبعة سى) ١٣٣٦هـ - ١٩١٨م المتضمن مجموعة المراثي
التي قيلت في مدير دار الفنون المرحوم سامي سليمان *

جامعة آل البيت
الربيعية

سامية المال حفرة وذر الودواق الختم

٥٧

سيد الختم
اقدم لعلكم فيه رقة يا فاضل سامية بد الحوي سبر المارف العام تنوي على بعده مد حفرة ته
تقص نظم جامعة آل البيت في اقدم نزل شيئاً . غير اني اظن ان حفرة المولى الاله بد الحوي والواقفة
في حفرة الرتبة الجمة مع صورة النظم المعدلة . فب فان ينبغي وصفه مختصاً وان لم يجر
من لافقة اما النظم - كانه مدع لى سالككم - فقد اقرت اللجنة
الوزارية عن ذاك انما انما استرت يومه قبله بانضم آراء ذوي الالافها من الذين
المفترقهم فوالذالكات من مدعى الحقوق ومفترقهم ووقع عليه عامة الاعضاء والذين همضوا
الجبته ووافقه عليه سبر الالاف السامة ومفترقا لعلقتها بشبهة الطب . ولم يجه الالاف
عنه على حفرة الودواق للمصارفة عليه . والاول لعلكم سيدى .

بمذ اللامعة

٥١ : بيان ١٩٤٤

فهم المدرس

يقدم تقرير لعدد الزيادة الالافية

صلى

صورة اول كتاب صادر عن
جامعة آل البيت - دائرة الأمانة بخط أمين الجامعة المرحوم فهمي المدرس

٦٩

جامعة آل البيت
دائرة الأمانة
٥

مكتبة دار الكتب العراقية
عدد ١٠٠٠
١٩٤٤

صاحب العاقبة وزير الأوقاف النجفي

من المعلوم لدى صاحبكم ان الدراسة في جامعة آل البيت تزداد في ١٥ ربيع ١٩٤٤ وقد
فما قالو قد رعى تهيبه الانبا بالوقوف عليها فتح الجامعة كالتحيا بالمدربين ، وتعيين الموظفين
واعمشة شروا القبول للمعجب في جميع أنحاء البلاد العراقية ، وتقرير الميزانية ، والناشئة والتوسيع
وقا بين رسائل النقل وفيها . ومنظر ما وضعت ترفقه عن تعيين النسخ المدرج للمصارف عليه
للإمضاء الرضا المؤثر . والله يتقدر فتح الجامعة في العزم المذكور انما تأخر البدء بالعمل انما من ذلك
وعمد كل فالورع لما يكتم بيدي ٤٠ تموز ١٩٤٤

أمين الجامعة
فهمي المدرس

لعمري
تكتب لرئيسه واوليهم
٤٠٤٥٠٤
النجف

صورة كتاب آخر صادر عن

جامعة آل البيت - دائرة الأمانة بخط أمين الجامعة المرحوم فهمي المدرس

صاحب العالی دفتر وزیر المعارف المحترم

ارجان نمبر استغاثہ من مديرة المعارف العامة وكم النقل والذمة سيدي

فهمي المدرس

٤٥ / ٨ / ٢٨

صورة استقالة

المرحوم فهمي المدرس من مديرية المعارف العامة بخطه

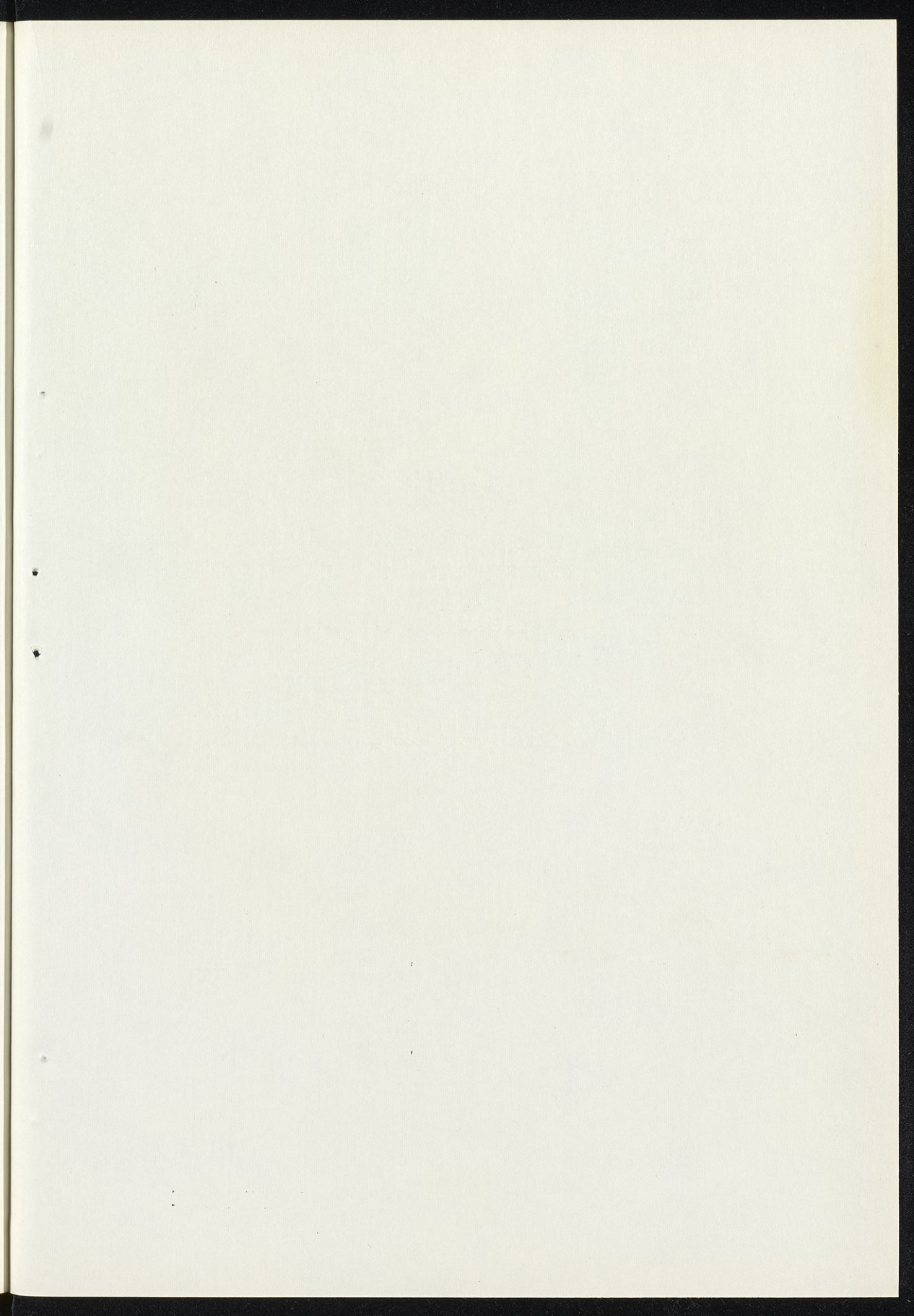
الفهارس

١ - فهرس آيات القرآن الكريم

٢ - فهرس أعلام الأشخاص

٣ - فهرس أسماء الكتب والمجلات والجرائد

٤ - فهرس موضوعات الكتاب



الفهرس الأول

آيات القرآن الكريم حسب ورودها في الكتاب

الصفحة	الآية	اسم السورة رقم الآية
٣٧	ذلك هو الخسران المبين •	الحج ١١
٤٢	ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم •	الرعد ١١
٥٠	فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله •	الروم ٣٠
٥٦	سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا •	الفتح ٢٣
٦١	وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون •	النحل ١١٨
٦٢	ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون •	الباقية ٢٢
٦٧	ادخلوها بسلام آمنين •	الحجر ٤٦
٧٢	خذوه فقلوه ثم الجحيم صلوه •	الحاقة ٣١-٣٠
٧٣	انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون •	الزخرف ٢٣
٧٤	نعم المولى ونعم النصير	الانفال ٤٠
٧٥	ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم •	البقرة ٢٢١
٧٧	فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض •	الرعد ١٧
٧٨	واذا المؤودة سئلت •	التكوير ٨
٧٩	اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتوهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى اخدانٍ ومن	المائدة ٥

الصفحة	الآية	اسم السورة رقم الآية
	يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين .	
٨١	ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه ابواه فلأمه الثلث فان كان له اخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها او دين .	النساء ١١
٨٣	وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا إمّا يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً .	الاسراء ٢٣-٢٤
٨٣	للمذكر مثل حظ الانثيين .	النساء ١١
٨٤	فان كان له اخوة فلأمه السدس .	النساء ١١
٨٥	ومن آياته انه خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا .	الروم ٢١
٨٥	نسبا وصهرا .	الفرقان ٥٤
٩٠	ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً .	الاسراء ٣٦
٩٨	فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا اذا هم يسخطون .	التوبة ٥٨
٩٩	خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين .	الأعراف ١٩٩
١١٢	الله على ما نقول وكيل	يوسف ٦٦
١١٢	ولا ينبؤك مثل خبير	فاطر ١٤
١٢٧	ولا تقف ما ليس لك به علم . .	الاسراء ٣٦
١٢٨	ولا يحيق المكر السىء الا بأهله .	فاطر ٤٣

الصفحة	الآية	رقم الآية	اسم السورة
١٣٧	ان الباطل كان زهوقا	٨١	الاسراء
١٤٣	فذكر ان نفعت الذكرى	٩	الاعلى
١٤٤	وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها	٦	هود
١٤٤	قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح .	٤٦	هود
١٤٥	ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون .	١٣٩	آل عمران
١٤٧	لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس .	٢٧٥	البقرة
١٤٧	واما ينزغناك من الشيطان نزغ فاستعد بالله .	٢٠٠	الاعراف
١٥٢	لمثل هذا فليعمل العاملون	٦١	الصافات
١٦٠	والسلام على من اتبع الهدى .	٤٧	طه
١٦١	باسط ذراعيه بالوصيد	١٨	الكهف
١٦٦	كانهم خشب مستندة	٤	المنافقون
١٦٦	ولات حين مناص	٣	ص
١٧٤	وقل اعملوا فسيرى الله عملكم	١٠٥	التوبة
١٧٥	فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا اذا هم يسخطون .	٥٨	التوبة
١٧٩	يوم لا ينفع مال ولا بنون	٨٨	الشعراء
١٨٩	حتى يلجَ الجملُ فى سمِّ الخياط	٤٠	الاعراف
١٩١	فمنهم من قضى نجبه ومنهم من ينتظر	٢٣	الاحزاب
٢٠١	اقل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا	١٠٩	الكهف
٢٠١	وما اوتيتهم من العلم الا قليلا	٨٥	الاسراء
٢٠٢	الله اعلم حيث يجعل رسالته	١٢٤	الانعام
٢٠٣	الم ترَ ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض .	١٨	الحج
٢٠٤	وما ارسلناك الا رحمة للعالمين	١٠٧	الانبياء

الصفحة	الآية	اسم السورة رقم الآية
٢٠٤	ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه .	آل عمران ٨٥
٢٠٤	وكان حقاً علينا نصر المؤمنين .	الروم ٤٧
٢٢٠	يا ايها النبي إنا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً . وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلاً كبيراً .	الاحزاب ٤٥-٤٧
٢٢٠	ان الله يأمر بالعدل والاحسان	النحل ٩٠
٢٢٤	انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض .	المائدة ٣٣
٢٢٧	لعل الله يحدث بعد ذلك امراً	الطلاق ١
٢٢٨	قل لو كان البحر مدداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً .	الكهف ١٠٩
٢٢٩	اليوم اكملت لكم دينكم	المائدة ٣
٢٣٢	وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرّ مرّ السحاب .	النمل ٨٨
٢٣٢	او لم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من اطرافها .	الرعد ٤١
٢٣٣	ومن آياته خلق السموات والارض وما بثّ فيها من دابة .	الشورى ٢٩
٢٣٣	لا الشمس ينبغى لهما ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون .	يس ٤٠
٢٣٣	والله انبتكم من الارض نباتاً .	نوح ١٧
٢٣٣	ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين	المؤمنون ١٢
٢٣٣	هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً .	الدھر ١

الصفحة	الآية	اسم السورة رقم الآية
٢٣٣	والله جعل لكم الارض بساطا ، لتسلكوا منها سبيلا فجاجا .	نوح ١٩-٢٠
٢٣٤	وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين	الذاريات ٥٥
٢٣٧	اقرأ باسم ربك	العلق ١
٢٤٠	فان حزب الله هم الغالبون	المائدة ٥٦
٢٤٠	ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .	الرعد ١١
٢٤١	ان النفس لأماراة بالسوء	يوسف ٥٣
٢٤٣	فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره	الزلزلة ٧
٢٤٨	لمثال هذا فليعمل العاملون	الصافات ٦١
٢٥٤	كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً .	النور ٣٩
٢٥٦	وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت .	المائدة ٦٠
٢٥٧	على شفا جرف هار	التوبة ١٠٩
٢٦٥	وما النصر الا من عند الله	آل عمران ١٢٦
٢٦٦	وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان .	المائدة ٢
٢٦٧	يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص .	الصف ٤
٢٦٧	ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خاصة .	الحشر ٩
٢٦٨	ولا يحيق المكر السىء الا بأهله	فاطر ٤٣
٢٦٨	سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون .	البقرة ٦
٢٧٢	وما عند الله خير وابقى	القصص ٦٠
٢٨٧	وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله .	البقرة ٦١
٢٨٨	ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين	آل عمران ٥٤
٢٨٩	وبشر المؤمنين .	البقرة ٢٢٣

الصفحة	الآية	اسم السورة رقم الآية
٢٩٠	ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون أن كنتم مؤمنين *	آل عمران ١٣٩
٢٩١	يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت	البقرة ١٩
٢٩٢	يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد *	الحجج ٢
٢٩٢	كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً	النور ٣٩
٢٩٢	لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس *	البقرة ٢٧٥
٢٩٣	ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً	البقرة ٢٦٩
٢٩٤	الله نور السموات والارض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاج كآنها كوكب درى ، يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار *	النور ٣٥
٢٩٤	ولتعلمن نبأه بعد حين	ص ٨٨
٢٩٤	هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة *	الجمعة ٢
٢٩٥	انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم *	المائدة ٣٣
٢٩٦	لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد *	فصلت ٤٢

الفهرس الثاني

اعلام الأشخاص

٢٨٧، ٢٨٢ تشرشل

٢٦٣ توفيق ابو الهدى

٢٧٣ توفيق السمعاني

٣٣٢ توفيق فكرة

- ث -

٧ ابو الثناء الأتوسى

- ج -

١٨ ، ١٧ جازين بيرسى

٢١ جبران ملكون

٢٣١ جبلة بن الایهم

٩٥ ابو جعفر المستنصر (الخليفة)

٦٧ جمال الدين الافغانى

٢٨١ جمال الدين الجميل

٢٠٥ جمال باشا السفاح

٣٠٣، ٣٠٢ جمیل صدقى الزهاوى

٢٠٦ جورج بيكو

٢٣٦ جون ويليام دربير

- ح -

٩ حازم بك (الوالى)

٢٧٤ حبيب هداية

٨ حسن باشا (الوالى)

حسن أبو السعود سيف

٢٥٠ (الدكتور)

١٩ حسن الدجيلي

١٦ حسون ابو الجين

- ا -

٢٤ ابراهيم الدروبي

١٠١ احمد أقايف (استاذالتاريخ)

احمد الحافظ (مدرس)

٦ السليمانية)

٢٩ احمد حامد الصراف

٣٢٢ احمد الداود

٩٥ احمد رفيق (المؤرخ)

٢٨ احمد عزة الاعظمى

٢٩ اسماعيل الراشد

٦ اسماعيل الموصلى

٢٦١ اصفر

٨٧ اغرائيم

٣١٢ امجد الزهاوى

١٠١ امر الله (ناظر المعارف)

٢٣ انور فهمى المدرس

- ب -

٢٣ ، ١٥ بتول فهمى المدرس

ابو البقاء صالح بن شريف

١٤١ ، ١٤٠ الرندى

١٩٩ ، ١٩٧ ، بلفور

٢٦٤ ، ٢٦٢

١٢٩ بهجت زينل

١٥ بيرسى كوكس

- ت -

٢٤٢ ، ١٩٥ الترمذى (المحدث)

- س -

- ساطع الحصرى ٣١١،٢٨،١٩
٣١٥
سالم محمد آغا ١٢١
سامى سليمان (مدير دار
الفنون) ٣٣٧،٣٣٥،٣٣٢،١٠١
سعد زغلول ٦٧
سفورزا (الكونت) ٢١٨
سليمان (جد المدرس) ٦
سليمان البستاني ١٠١
سميث (المستر) ٣١٢
سييف الاسلام (الامير) ٢٦٣

- ش -

- شاكر النعمة ٢٧٣

- ص -

- صادق البصام ١٧٧
صالح باش اعيان ١٥
صالح زكى (المستشار) ١٠١
صلاح الدين الايوبى ١٥٨

- ض -

- ضياء الدين احمد بن عبدالعزيز ٩٥

- ط -

- طارق بن زياد ١٣٩
طه الهاشمى ٢٧

- ع -

- عباس العزاوى ٢٦،٨،٦
العباس بن هرداس ٨٨

- حسين بن على (الملك) ٢٠٦،١١
حسين فوزى (مفوض الشرطة) ١٧
حمورابى ١٣٣

- خ -

- خالد محسن اسماعيل ٣٠
خيرى العمري ٢١،١٨،٥

- د -

- أبو داود (المحدث) ٢٤٢،١٩٥
داود مصطفى البياتى ٢٥٠
دونالد مكنزى ٢٥٣
دينول (الجنرال) ٢٨٥

- ر -

- الرازى (فخرالدين) ٨٣
رؤوف الجادرجى ٣١٢،١٠٠

- رزوق عيسى ٩
رزوق غنام ٩٨
رستم حيدر ١٨،١٧
ابن رشد ١٤٠
الرشيد (هارون) ١٣٣

- رشيد على الكيلانى ٢٨٧،٢٨٤،٢٣

- رضا شاه بهلوى ١٥٦

- رفائيل بطى ١٣١،٢٦،٢١،٢٠،٥

- رينتشارد (القنصل الالمانى) ٧

- ز -

- زغلول = سعد زغلول
زكى مبارك (الدكتور) ٣٠٨،٣٠٧
زيد بن عمرو بن نفيل العذرى ٨٨

٨٨ عثمان بن حويرث الأمدى
٢٤٥ عصمت بن اونونو
٢٣١ على بن ابى طالب
٢٦ على ظريف الاعظمى
عمر بن الخطاب ١٥٨، ١٩٧،
٢٣٢، ٢٣١، ٢١٣
٢٣١ عمرو بن العاص

- غ -

الغازى = مصطفى كمال
٢٩٣ غاليديو
٢٧١، ٢١٣ غاندى (المهاتما)

- ف -

الفاروق = عمر بن الخطاب
١٩ فاضل الجمالى (الدكتور)
٢٣ فاطمة ابراهيم
فخرى النشاشيبي ٢٦٦، ٢٦٧،
٢٧٢، ٢٦٩، ٢٦٨
٧١ ابو فراس الحمدانى
فرانسوا سبلوستز (البابا)
٢٣٠، ١٣٨
فيصل بن الحسين (الملك)
٢٠، ١٧، ١٥، ١٤
٢٦٣ فيصل السعود (الملك)

- ق -

٨٧ قسطنطين (الملك)

- ك -

٣٠٨ كايثانى (السنيور)
٢٨، ٢٧، ٢٤، ٢٣ كمال ابراهيم
كمال اتاتورك = مصطفى كمال

٢٨ عبدالاله حافظ
٢٨٠ عبدالباقي العانى
٣٠ عبدالحميد الرشودى
عبدالحميد عبدالمجيد (السلطان)
١١٦، ١١، ١٠
١٤٢ عبدالرحمن الثالث
١٣٩ عبدالرحمن انداغل
٥ عبدالرحمن سليم (المدرس)
عبدالرحمن شرف (مؤرخ)
٩٥ الدولة العثمانية)
٦ عبدالرحمن القره داغى
٢٧٤ عبدالرحيم آصف
عبدالرزاق الحسنى ١٧، ٩،
١٢٩، ٩٧، ٢٠
١٢٩ عبدالرزاق الحصان
٦ عبدالسلام الشواف
عبدالعزيز (خازن كتب
المستنصر بالله)
٩٥ عبدالعزيز السعود (الملك)
٢٦٤، ٢٦٣
١٠١ عبدالعزيز شاويش
٢٨٠، ٢٦ عبدالغفور البدرى
٢٧٠ عبدالقادر حمزة
٢٦ عبدالقادر الزهاوى
٢٥٣ عبدالكريم مراد
١٤ عبداللطيف المدلل
٨٨ عبدالله بن جحش الازدى
٢٦٣ عبدالله بن الحسين (الملك)
٩٧، ١٥ عبدالمحسن السعودون
٢٤ ، ٦ عبدالمنعم الغلامى
٢٢ عبدالهادى الاعظمى
٣٠٦، ٣٠٥ عبود الكرخى

مصطفى أفندي (محرر)
 ٩ (الزوراء)
 مصطفى فهمي (ناظر)
 ١٠٠ (الديون)
 مصطفى كمال ١٥٣، ١٥٠، ٦٧
 ٢٤٥، ٢٤٤، ٢٤٣، ١٥٤
 ٢٤٨، ٢٤٧، ٢٤٦
 المطلع ومطلع (توقيع مستعار
 للسيد احمد عبدالغنى الراوى)
 ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
 ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ،
 ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ،
 ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢١ ،
 ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٧
 مظهر سعيد ٣٠١
 معروف الرصافي ٢٤، ١٣
 ٣٠٨، ٣٠٧، ١٠٠
 معروف الكرخي ٦
 المعري (ابو العلاء) ٣٠٨
 المفتي (أمين الحسيني) ٢٥٩
 المقوقس ٢٣٢
 مكدونالد ٢١٥
 ملكولم ماكدونالد ٢٦٤
 مهدي الرحال ٧
 موسى ميرزا هادي ٧
 موسى بن نصير ١٣٩
 موسولينى (السنيور) ٢١٨
 موصلى (توقيع مستعار ؟) ٢٧٣

- ن -

١٣١ نابليون

٨٧ كلو (الملك)
 ٢٨٧، ٢٨٦، ٢٨٤ كورن واليس
 ٢٥٣ كنت مكنزى

- م -

ابن ماجه (المحدث) ٢٤٢، ١٩٥
 المأمون (الخليفة) ٣٠٧
 مارك سايكس ٢٠٦
 مؤيد فهمى المدرس ٢٣
 محمد أمين الجرججى ١٦
 محمد بهجة الاثرى ١٦، ٨، ٧
 محمد جعفر ابو التمن ١٦،
 ٢٢، ٢٠
 محمد حسن كبه ١٦
 محمد حسين هيكل (الدكتور)
 ١٨٧
 محمد الخضير ١٤
 محمد سعيد النقشبندى ٧
 محمد صالح السهورردى ٦
 محمد طاهر ١١٨، ١١٧
 محمد عبد الله البسام ١٤
 محمد فهمى (مفتى استانبول)
 ١١٦، ١١٥
 محمد مهدي البصير (الدكتور) ١٦
 محمد ناجى القشطينى ٥،
 ٣٠٨، ٢٦، ١٨، ١٣
 محمود شكرى الألوسى ٨، ٧
 محمود عزمى (الدكتور) ٢٥٠
 محمود فهمى درويش ٥
 مدحت باشا ٩، ٨
 مراد الداغستانى (المؤرخ) ٩٥
 مراد سليمان ٢٦

٢٠٩ هتلمر (أدولف)
١١ أبو الهدى الصيادى

- و -

٨٨ ورقة بن نوفل
٢٢٩ ويليام (المستشرق)
١٥٨ ويلهلم الثاني

- ى -

١٤ ياسين الهاشمى
٢٦٣، ٢٥٩ يحيى (حميد الدين)
يوسف عزالدين (الدكتور)
٢٨، ١٠
٣١٢ يوسف عطاء
٢٨ يوسف غنيمه
٢٧٣ يونس بحرى

ناجى الاصيل (الدكتور)

٢٣، ١٢، ١١

١٣، ٧ ناصرالدين الكيلانى

١٢٢ ناظم باشا

١١٩، ١١٨ ناظم حسن تحسين

٢٢ نعمان الاعظمي (الواعظ)

٧ نعمان الالوسى

١٠١ نعيم بابان (استاذ الفلسفة)

٢٤٢، ١٩٥ النسائى (المحدث)

١٤٤ نوح (عليه السلام)

٢٣، ٢٠، ١٩ نورى السعيد

٢٦٤، ٢٦٣، ١٢٩

- ه -

٢٤، ٢٢، ٥ هاشم الاعظمى

الفهرس الثالث

أسماء الكتب والمجلات والجرائد*

٢٥	تاريخ أدبيات عربية (ك)	- أ -	٢٨١	الاتحاد (م)
٢٣٦	تاريخ تكامل العقل (ك)		١٣٧، ٢٠	الاخاء الوطني (ج)
	تاريخ جامع الامام الاعظم (ك)		٣٠٩، ١٥٧، ١٥٢	
٢٤، ٢٢، ٥			٢٨٠	الاستقلال (ج)
٩	تاريخ الصحافة العراقية (ك)		١٣	اقدام (ج تركية)
	تاريخ العراق بين احتلالين		٧	أعلام العراق (ك)
٢٦	(ك)			الاقلام (م لصاحبها علي ظريف
٨	تاريخ مساجد بغداد (ك)		٨٠، ٧٧، ٢٦	الاعظمى)
١٠٩، ٩٧	التقدم (ج)		٩٨، ٨٧، ٨٤	
١١٤، ١١٠			٢١، ١٨	الاقلام (م)
	- ث -		٢٤، ٦	الانساب والاسر (ك)
٢٧٣	الثغر (ج)		٣٠٢	الوشال (ديوان)
٣٠٢	الثمالة (ديوان)			الايام (ج صاحبها عبدالقادر
٢٦، ١٤	ثروت فنون (م تركية)		٢٩، ٢٣	البراك (ك)
	- ح -			- ب -
٩	الحرية (م)		٢٦	بغداد (ج)
٢٥	حكمت حقوق اسلامية (ك)		٢٤	البغداديون (ك)
١٧٧	الحياد (ج)		٢١، ٢٠، ٥	البلاد (ج)
	- د -		٣٠١، ٢٩٩، ٢٩٠، ١٦٠	البلاد (ج صاحبها عبدالقادر
١٧٧	الدفاع (ج)		٢٤، ٢٣	البراك (ك)
٥	الدليل العراقي الرسمي (ك)		٢٧٠	البلاغ (ج مصرية)
٣٠٢	ديوان الزهاوى			بيان موجز عن جامعة آل البيت
٣٠٦، ٣٠٤	ديوان الكرخى		٢٠، ١٥	(ك)
	- ذ -			- ت -
٦	ذكرى أبي الثناء (ك)			تاريخ الادب العربي الحديث
			٦	(ك)

* ك = كتاب ، م = مجلة ، ج = جريدة

العالم العربي (ج صاحبها)
سليم حسون (ك) ١٩

٥٥،٤٩،٤٢،٣٧

٩٦،٧٤،٦٨،٦١

العراق (ج) ١١٤،١١٢،٩٨

١٣٥،١٢٨

العراق فى دورى الاحتلال

والانتداب (ك) ١٧

العقاب (ج) ٢٧٣،٢٤٨

- ف -

فهمى المدرس - من رواد الفكر

الحديث (ك) ٢٨،١٠

- ق -

القضية العربية (ك) ٢٨

- ك -

الكرخ (ج) ٣٠٥

الكرخى (ج) ٣٠٥

الكفاح (م) رئيس تحريرها كمال

الدين الطائى (١٦٦،١٧٤،١٨٠،

١٨٧،١٩٥،٢٠٠،٢٥٧،

٢٦٥،٢٧٢،٢٧٤،٢٧٥،

٢٧٦،٢٨٠،٢٨٢،٢٩١،

٢٩٦

- ل -

لب الالباب (ك) ٧،٦

اللباب (ديوان) ٣٠٢

اللسان (م) ٢٨

لسان العرب (المعجم) ١٢٦

لسان العرب (م) ٢٩

ذكرى فهمى المدرس (ك) ٥

الذكرى المحمدية (م) ٢٢٧،

٢٤٢،٢٣٤

- ر -

الرابطة الاسلامية (م دمشقية)

١٤٩،١٤٥،١٤١

الرباعيات (ديوان) ٣٠٢

رسائل التعليقات (ك) ٣٠٧

الرسالة (م مصرية) ٣٠٢

- ز -

الزمان (ج مديرتها رفائيل

بطي) ١٣١

الزمان (ج صاحبها توفيق

السمعانى) ٢٧٣،٥

الزوراء (ج) ٩،٨

- ش -

شهبال (م تركية) ٢٥،١٤

- ص -

صدى الاخبار (ج) ٥

صدى التعاون (ج) ٣٠٥

صدى العهد (ج) ١٢٩

صدى الكرخ (ج) ٣٠٥

- ط -

الطان (ج تركية) ٢٤٧

- ع -

العالم الاسلامى (م رئيس

تحريرها محمد بهجة الأثرى) ٢٠٤،

٢١٠،٢١٩

الملل والنحل (ك) ١٢٦،١٠٧

المنار (ج) ١٥

مه تود برليج (ك بالتركية) ١٠١

- ن -

الناشئة الاسلامية (م) ٢٨٠

نجمة الهند (ج هندية) ٢١٤

نداء الشعب (ج) ١٣٢

النظام (ج دمشقية) ١٣٥

- ي -

اليوم (ج) ٢٨١

- م -

المجلة (مجلة الاحكام

العدلية) ١٢٦

مرآت المجلة (ك بالتركية) ١٢٦

المزمارة (ج) ٣٠٥

مسند الامام أحمد (ك)

١٤٧،٧٧

المعرض (م) ٢٨

مقالات فهمى المدرس (ك)

٢٦،١٢

الملاء (ج) ٣٠٥

الفهرس الرابع

موضوعات الكتاب

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
	الاجتماع - ٣ -	٣	صورة المرحوم فهمى المدرس
٦٩	النهضة فى الشرق وروح	٥	مقدمة الكتاب (فهمى المدرس)
	الاجتماع - ٤ -	٦	دراسته
٧٥	الحكمة فى تحريم نكاح	٧	وظائفه
	المشركة	١٣	مكانته فى الاستانة
٧٨	حكمة تحليل الكتابية	١٤	الى الشام
	للمسلم وعدم تحليل	١٥	عودته الى الوطن
	المسلعة للكتابى	١٨	المدرس وجامعة آل البيت
٨١	حكمة التشريع	٢٠	المدرس والحزب الوطنى
٨٥	فلسفة التشريع	٢٢	اثنا عشر يوما فى المعارف
٨٨	الادب الجاهلى	٢٢	فى دار العلوم
٩٠	المكتبة العامة	٢٢	المدرس فى اعوامه الاخيرة
٩٧	حول الصيد فى الماء العكر	٢٤	وفاته
١١٣	حرية النشر ومقال (المطلع)	٢٥	مؤلفاته
١٢٩	متى سار المعارضون وراء	٢٨	تواقيعه
	العواطف	٢٩	مجله
١٣٣	الشعب ناضج والشعب غير		- المقالات -
	ناضج	٣٣	التجنس العراقى والتوظيف
١٣٨	الاخلاق بين العرب	٣٨	الوحدة والحكم المطلق
	والغرب - ١ -	٤٣	التربية الابتدائية والوحدة
١٤٢	الاخلاق بين العرب		العراقية
	والغرب - ٢ -	٥٠	النهضة فى الشرق وروح
١٤٦	الاخلاق بين العرب		الاجتماع
	والغرب - ٤ -	٥٦	النهضة فى الشرق وروح
١٥٠	الجمهورية التركية فى عامها		الاجتماع - ٢ -
	العاشر	٦٢	النهضة فى الشرق وروح

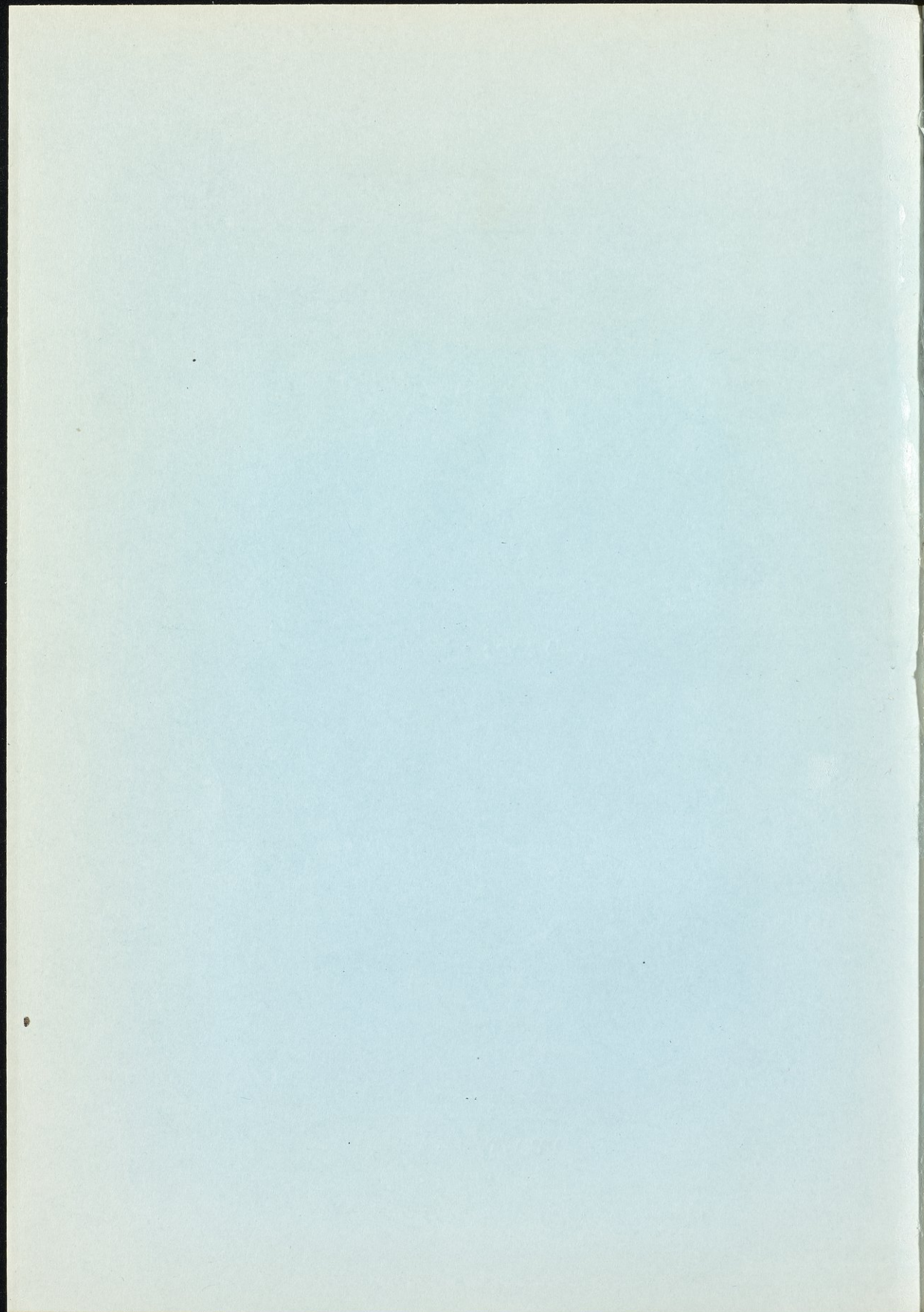
رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٢٥٨	فلسطين بين المؤتمرات والدماء المسفوحة	١٥٣	الجمهورية الكمالية في عامها الحادي عشر
٢٦٦	فلسطين بين الجهاد المقدس وشدوذ النشاشيبي	١٥٨	فلسطين بضعة من العراق الشرق والساليب الاستعمار
٢٧٣	المعارف وكلمتنا الاخيرة	١٦٧	يجب ان تبني التربية على اسس التعاليم الاسلامية
٢٧٥	المعارف والاصلاحات المنتظرة	١٧٥	الامية وآفاتها وواجب المعارف
٢٨٣	العراق بين الموت والحياة الحرة	١٨١	حول التعليم القروى والتخصص
٢٩١	المدنية ودين الاسلام	١٨٨	المعارف بعد ثمانية عشر عاما
	- اشتات منفردة -	١٩٦	فلسطين بين الوعد والوعيد
٢٩٩	دار العلوم الدينية والعربية - هدفها الثقافى السامى	٢٠١	عظمة محمد (ص)
٣٠٢	مقدمة ديوان الثمالة للشاعر جميل صدقى الزهاوى	٢٠٥	فلسطين بين التقسيم والامبراطورية العربية
٣٠٤	كلمة فى الشعر واللغة	٢١٢	فلسطين بين المشانق والمآذب
٣٠٧	رأى الاستاذ فهمى المدارس فى كتاب «رسائل التعليقات» لمرصافى	٢٢٠	اليوم النازى عشر من ربيع الاول وروعة دين الاسلام والوضع الحاضر
٣٠٩	نص استقالة الاستاذ فهمى المدرس من الحزب الوطنى العراقى	٢٢٨	الاسلام ومدارك البشر ورأى الاجانب فيه
٣١٠	نص استقالة الاستاذ فهمى لمدرس من مديرية المعارف العامة	٢٣٥	الاسلام بين الشرق والغرب ورأى الاجانب فيه
٣١١	نص اول كتاب صادر عن جامعة آل البيت دائرة الامانة	٢٤٣	الغازى (اتاتورك) والمثل الاعلى
٣١٢	نص ثانى كتاب صادر عن جامعة آل البيت دائرة الامانة	٢٤٩	المعارف بعد ثمانية عشر عاما
٣١٣	نص ثالث كتاب صادر عن جامعة آل البيت دائرة الامانة		

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
٣٣٨	صورة زكغرافية لاول كتاب صادر عن جامعة آل البيت	٣١٤	نص سابع كتاب صادر عن جامعة آل البيت - دائرة الامانة
٣٣٩	صورة زكغرافية لثاني كتاب صادر عن جامعة آل البيت	٣١٥	نص ثامن كتاب صادر عن جامعة آل البيت - دائرة الامانة
٣٤٠	صورة زكغرافية لاستقالة الاستاذ فهمى المدرس من مديرية المعارف العامة	٣١٦	نص تاسع كتاب صادر عن جامعة آل البيت - دائرة الامانة
- الفهارس -		٣١٦	نص حادى عشر كتاب صادر جامعة آل البيت - دائرة الامانة
٣٤٣	١ - فهرس آيات القرآن الكريم	٣٢٢	نص كتاب صادر عن جامعة آل البيت - دائرة الامانة برقم ٤٧٩
٣٤٩	٢ - فهرس اعلام الاشخاص	٣٢٣	نص كتاب صادر عن دار العلوم برقم ٥٠٣
٣٥٤	١ - فهرس اسماء الكتب والمجلات والجرائد	- نماذج من شعره -	
٣٥٧	٤ - فهرس موضوعات الكتاب	٣٢٧	نهضة الشرق
		٣٣٢	فى رثاء سامى سليمان

جدول الغلط وصوابه

الغلط	الصواب	سطر	صفحة	الغلط	الصواب	سطر	صفحة
على ايدي	سبأ ايدي سبأ	١٩	١٤	وهم	هم	١٤	١٧٧
١٩٤	١٩٢٤	٢١	١٩	بالعلم	بالعمل	٢٤	١٨٤
الحكولة	الحكومة	٤	٢١	اقترف	اقتراف	١٣	١٨٧
ولكل	لكل	١٨	٤١	التحدد	التحدد	١٩	١٩٣
ادراتنا	ادارتنا	٢١	٤٨	الحضارة	للحضارة	٦	١٩٤
ظاهر	ظاهرة	٧	٥٠	لايقل	لايفل	٤	٢٠٣
ذى	ذو	٢١	٥٢	الم تر ان الله له	الم تر ان الله له		
الامة	بأمة	٢١	٦٠	اكتوبر	اكتوبر	٢١	٢٠٣
ينبذ	وينبذ	٢٠	٦٣	الموثب	الموثب	٢١	٢٠٦
تهذيب	تهذبت	١٨	٦٦	ويتمازج	ويتمازج	١٠	٢١٨
يحضرون	يحضرن	٤	٦٨	يقتلوا	يقتلوا	١١	٢٢٠
آدب	آداب	٩	٦٩	خاصة به	خاصا به	٢٠	٢٢٥
تغطيها	تغبطها	٢	٧٤	الآية	الآية	٢٢	٢٢٢
النشء	النشء	١٢	٧٦	النحل	النمل	٢٥	٢٣٢
الضرائر	الغرائز	١٢	٧٨	تصدر	تصور	٧	٢٤١
لها	لهذا	٢٤	١١٦	التعليم	التعليم	١٣	٢٥٢
بالرجل	بالرجال	٦	١٢١	الطاغوث	الطاغوث	٢٠	٢٥٦
ليضمك	ليضحك	١٤	١٢١	كتاه	كتاب	٢٤	٢٥٩
احراز	احرار	٨	١٣٧	احداثها	احداثها	١٨	٢٦٧
الغرب	العرب	٧	١٣٩	ابتعلت	ابتعلت	٤	٢٨٢
الاحتلال	الاختلال	٣	١٤٠	فردت	فرددت	١٥	٢٨٩
العظة	العظمة	٥	١٤٢	لجج	لجج	١٣	٢٩١
اردتم	رأيتم	٢١	١٤٤	بالوصيط	بالوصيد	٨	٢٩٢
تحیی	تحيا	١٤	١٤٩	بينهما	بينها	١٢	٣٠٤
ستكتفى	ستكتفى	١٩	١٥٥	فحذار	فحذرا	١٠	٣١٥
النبا	للنبا	٢٢	١٥٨	الحمراء	الحمرا	١٢	٣٢٨
ساعات	وساعات	١٣	١٦١	الا أن	الا أن	١	٣٣٣
وحدوداً	وحددوا	١٤	١٦٧				
القراءة الجميلة	القراءة الجميلة						
		٢٥	١٦٩				

ملاحظة : تحذف السطور ١٤-٢٣ من الصفحة ١٩٢



١٩
ثمن النسخة (٧٠٠ فلس

مطبعة أسعد - بغداد

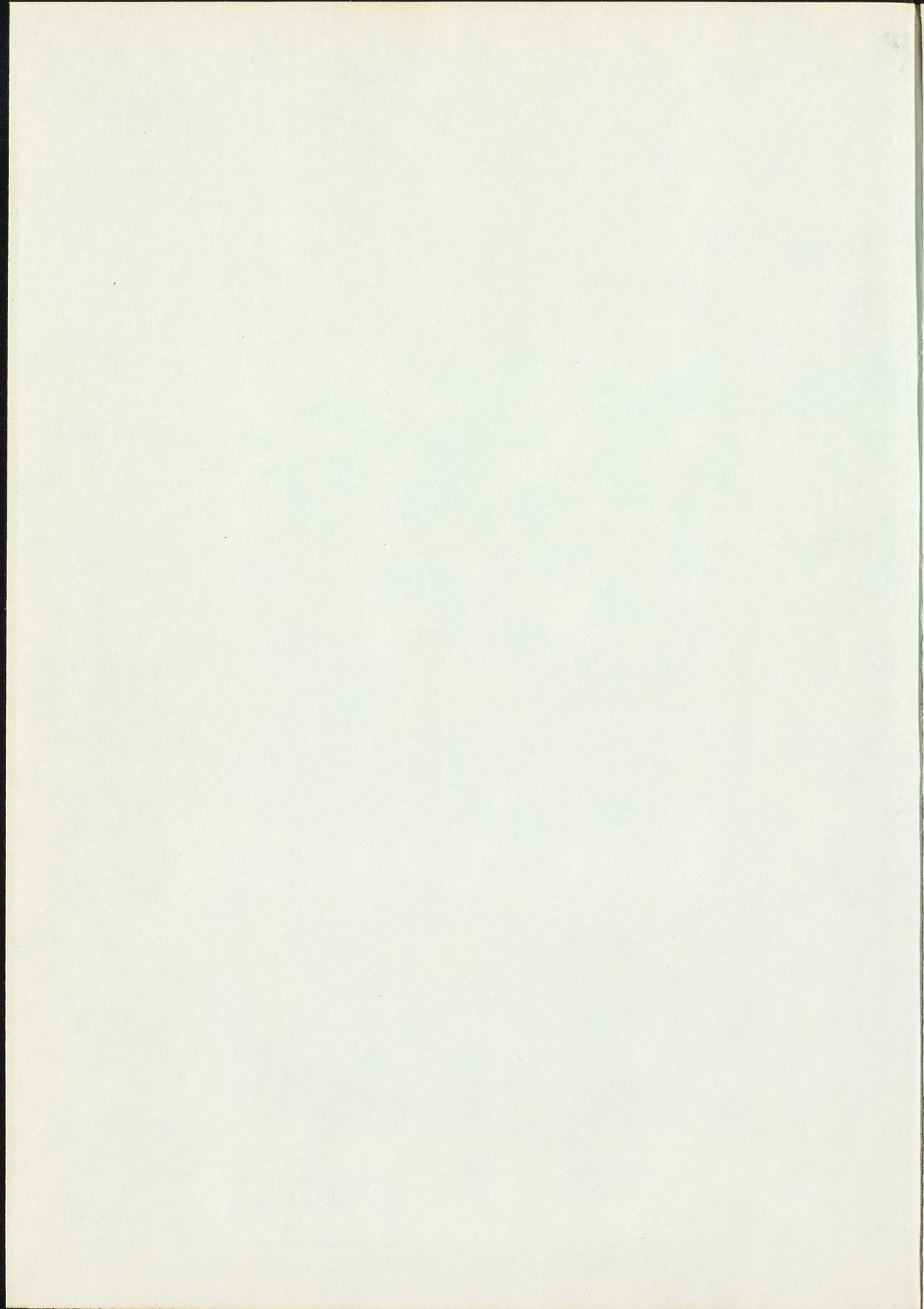
١٩٧١/٣/١ - ١٠٠٠/٢

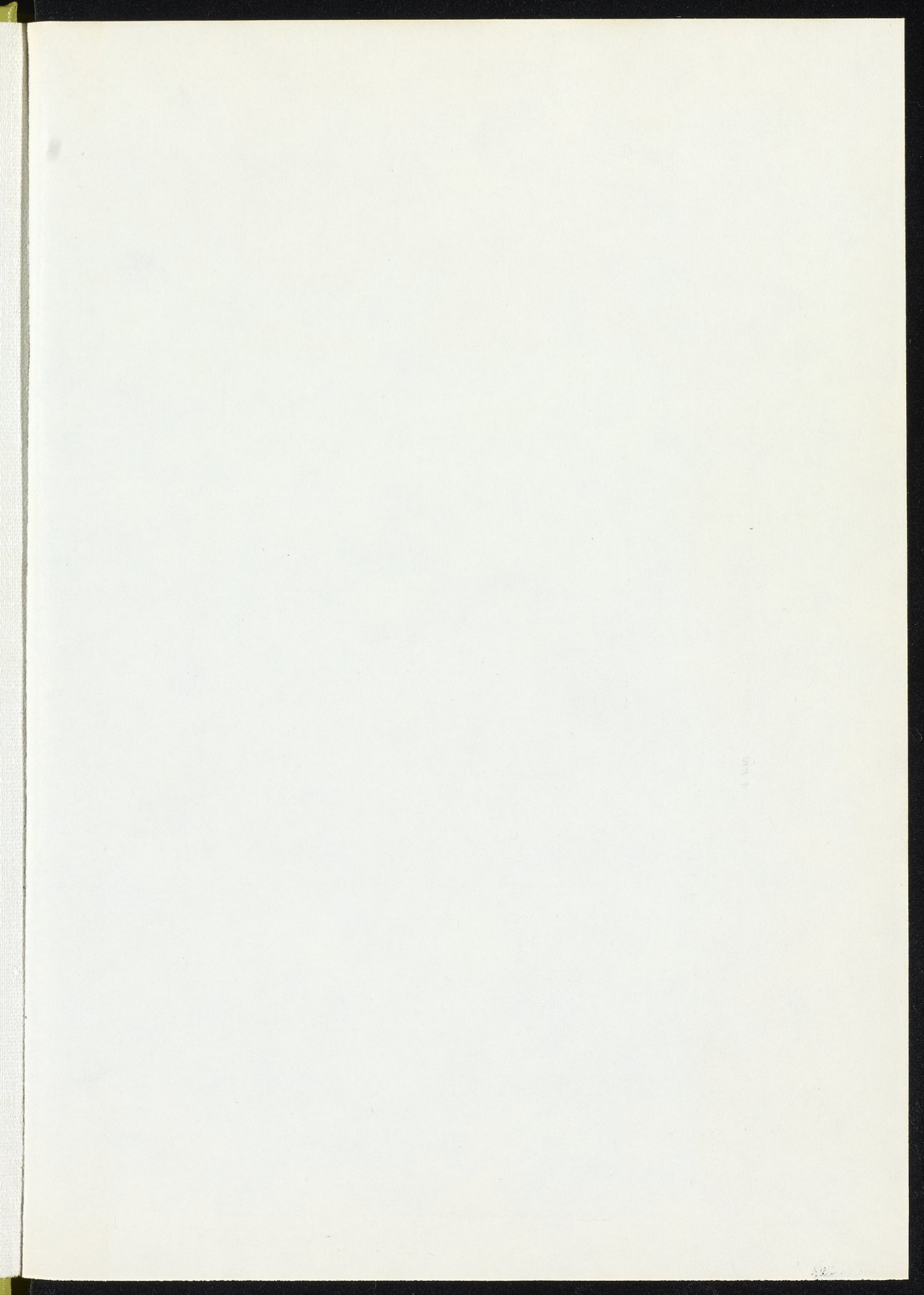
GENERAL BOOKBINDING CO.

73 07WB 4 318 P

QUALITY CONTROL MARK

6777





COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0066472423

AC
L06
.F28

MAY 9 1973

